مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السابعة والعشرون : العدد مئة وستة - شوال ١٤٤٠ هـ / جون (حزيران - يونيو) ٢٠١٩ م

رفع الإيهام في جواز حذف همزة الاستفهام

محمد العلمي: محمد بن محمد بن إبراهيم الحسني الفاسي ، ١٣٧٣هـ

تاريخ النسخ: ١٥شعبان ١٣٢٠هـ

Raful Eehaam fi jawazi Hazfi Hamzatil Istifhaam
Mohammed Al-Alami, Mohammed bin Mohammed bin Ibrahim Al-Hasani Al-Fasi (D 1373 AH)
Scribed in: 15 Shaaban 1320 AH

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحو كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

مركـــز جمعـــة المـــاجـــد للثقـــــافة والتـــــــراث

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٠٦) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;
Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (106). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.
Thank you for your kind cooperation
We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبـادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك

Subscription Order Form

سنة ☐ One Year

أكثر من سنة ☐ More Than One Year

عدد السنوات ☐ of Years

للأعداد : ..... Issues

عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date :

شيك ☐ Check

حوالة مصرفية ☐ Bank Draft

حوالة بريدية ☐ Postal Draft

التاريخ : ..... Date :

التوقيع : ..... Signature :

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
دبي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة السابعة والعشرون : العدد مئة وستة ـ شوال ١٤٤٠ هـ / جون (حزيران ـ يونيو) ٢٠١٩ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

مدير التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير
أ. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير
د. أبوبكر الصديق
د. محمد أحمد القرشي
د. فكري عبد المنعم النجار
د. محمد فاضل الحطاب

الاشتراك السنوي

	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها
ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الإفتتاحية

خصائص الفن الإسلامي.

مدير التحرير ٤

المقالات

عودة الضمير إلى غير مذكور في القرآن الكريم

د. محمود محمد علي الحسن ٦

أهمية الأعراف السوسية في تنظيم الشؤون القبلية وموقف سلاطين وعلماء المغرب منها

د . محمد الصافي ٢٠

شعر ابن نفاذة السُّلَمِيّ (ت: ٦٠١ هـ)
تحقيق وتقديم وشرح

أ. د. عبد الرازق حويزي ٤٤

بدو سيناء بعيون الرحالة الأوربيين عصر سلاطين المماليك

د. مصطفى وجيه مصطفى ٨٦

ســاباط مســجد آمالو بمدينة بجاية المحدث نتيجة عوامل دينية (أنموذجا)

أ. د. حيـاة مكـي ١٢٦

كفاية الطالبين
لعُثْمَان بن عَمْر اليُونُسِي

الدكتور إسلم بن السبتي ١٥١

الملخصات ٢٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

خصائص الفن الإسلامي

استعملت كلمة الفن في العربية حديثًا عوضًا عن كلمة "صناعة" المتعارف عليها قديمًا، فكل ما اقترن بكلمة فن، وبخاصة الفنون الجميلة عرفه المسلمون تحت عنوان الصناعة؛ حيث كانوا يقولون: صناعة الأدب، وصناعة الشعر، وصناعة النحو، وصناعة الحكمة، وصناعة المنطق، وصناعة الموسيقى، وصناعة الطب، وصناعة الخط والكتابة، وغيرها في مختلف العلوم والقضايا.

وأضحت هذه الكلمة، المصطلح الفني لهذا المعنى بعد أن اختارها المؤلفون عنوانًا لكتبهم، فقد ألف أبو هلال العسكري كتابه في النظم والنثر، وسماه "كتاب الصناعتين"، واستعملها القلقشندي في عنوان كتابه المشهور "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، وقد جاء في هذا الكتاب في صدد الحديث عن صنعة الأدب: (والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف)، كما جاء قوله: (والكتابة إحدى الصنائع فلا بد فيها من أمور)، ووسم ابن جني كتابه بـ: "سر صناعة الإعراب"، وعنون أبو الحسن الجيلي كتابه "أصول صناعة الأحكام"، وصنف ابن الرشيق القيرواني كتابه "العمدة في صناعة الشعر ونقده"، وألف ابن معطي كتاب "البديع في صناعة الشعر"، وألف البيروني "التفهيم لأوائل صناعة التنجيم"، وصنف أبوصقر القبيصي "المدخل إلى صناعة أحكام النجوم"، وصنف الفارابي "المدخل إلى صناعة الموسيقي"، وجاء في كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري، قوله: (وكنت ممن جعل صناعة الكتابة فنه الذي يستظل بوارفه)، وجاء عن ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد" عند حديثه عن الألحان: (وكرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم والنوادر والأمثال عطلا من هذه الصناعة التي هي مراد النفس).

ومما سبق عرضه يتبين لنا بوضوح تام كيف كان يتم استعمال كلمة "صناعة"، وتداولها بين أهل العلم في تناولهم الحديث عن الكتابة والشعر والموسيقى والرسم والزخرفة وغيرها من العلوم الشريفة والأعمال المنيفة، وهو مايطلق عليه اليوم اسم الفنون أو الفنون الجميلة.

ولعل خير وسيلة تعرفنا على الفن الإسلامي، هي الوقوف على خصائصه الذاتية، وسماته المميزة. ومن خلال ذلك، يمكننا استكمال صورته الواضحة الجلية، بعيدة عن كل غبش أو التباس.

ونستطيع إجمال أهم هذه الخصائص في النقاط الآتية:

١ – إن وحدة الفن هي السمة الرئيسة التي يتميز بها الفن الإسلامي - بكل أنواعه - على غيره من فنون الأمم الأخرى.

هذه الوحدة، التي تخطت عامل المكان فلم يفرقها بعد المسافات بين ديار المسلمين وامتدادها، كما تخطت عامل الزمان فلم يغيرها مرور الأيام وتتابع القرون، هذا ما قرره دارسوا الفن الإسلامي:

ويقول (دومنغايم): "إنه رغم اختلاف الأقطارالإسلامية وابتعادها فإننا نلاحظ قرابة وشيجة لاتنقطع بين لوحة الجص المنحوتة في قصر الحمراء، وصفحة من قرآن في مصر، وتزيين لوعاء من النحاس الفارسي". ويقول (غوستاف لوبون): "إنه يكفي نظرة على أثر يعود إلى الحضارة العربية كقصر أو مسجد، أو على الأقل أي شيء، محبرة أو خنجر أو مغلف قرآن؛ لكي تتأكد من أن هذه الأشغال الفنية تحمل طابعا موحدا، وأنه ليس من شك يمكن أن يقع في أصالتها،وليس من علاقة واضحة مع أي فن آخر، إن أصالة الفن العربي واضحة تماما".

ويؤكد الدكتور ديماند هذه الظاهرة في كتابه "الفنون الإسلامية" فيقول: "قد يكون من الصعب في أغلب الأحيان أن نحدد بدقة الإقليم الذي يصح أن يرجع إليه من بين الأقطار الإسلامية الفضل في ابتكار نوع من أنواع الخزف، أو شكل معين من أشكال زخرفته، إذ أننا نلقى كثيرا هذه الأنواع والأشكال المختلفة

بعينهافي أقطار عديدة من العالم الإسلامي"، ويقول أيضا: "أن التشابه بين الخزف المملوكي والخزف الإيراني يكاد يكون تاما، حتى أن بعض القطع المملوكية قد نسبت إلى إيران".

ومظاهرهذه الوحدة ودلالاتها كثيرة ومتعددة، منها:

أ - انعدام الفرق بين الفن الذي خصت به المساجد وبين الفن الذي ساد الأماكن الأخرى سواء أكانت عامة أو خاصة، يقول أرنست كونل: "غير أن الاختلاف بين الفن لخدمة الدين والفن المدني ليس واضحا في البلاد الإسلامية ووضوحه في الغرب، وصحيح أن دور العبادة الإسلامية اتخذت أشكالا معمارية خاصة اقتضتها احتياجات العملية، ولكن زخرفتها لم تخرج عن القواعد المتبعة في العمارة المدنية".

ب - العامل الثاني في بناء هذه الوحدة هو اختفاء جنسية الفنان، وبقاء الإسلام هوية واحدة لكل فنان مسلم، يقول كونل: "وكان لتشجيع الحكام والكبراء أثر كبير في ازدهار العمارة وبعض فروع الصناعة، كما تشهد بذلك آثار كثيرة أقيمت طبقا لرغباتهم وتوجيهاتهم حسب اتجاهاتهم الثقافية، بغض النظر عن جنسية الفنانين الذين أقاموها لهم، ومن هنا يتعذر في الفن الإسلامي تقرير وجود اتجاه عربي أو فارسي أو تركي أو هندي موحد؛ لأن المعماريين والصناع كانوا يستقدمون من مختلف البلاد الإسلامية على اختلاف اتجاهاتها الثقافية للقيام بتلك الإنشاءات طبقا لإرادة مستقدميهم وتوجهاتهم الخاصة".

ج - وهناك مظاهر كثيرة أخرى تضافرت على إبراز هذه الوحدة منها؛ استبعاد رسم الإنسان، وعدم تقليد الطبيعة، والاهتمام بالزخرفة والتزيينات الهندسية، وعدم التفكير في إقامة التماثيل والأصنام.

٢ - إن وظيفة الفن هي صنع "الجمال"، وحين يبتعد الفن عن أداء هذه الوظيفة، فإنه حينئذ لا يسمى "فنا" ذلك أنه تخلى عن عمله الأصيل، وقد نسميه "مهارة" أو "دقة".

٣ - للفن في التصور الإسلامي غاية وهدف إذ كل أمر يخلو من ذلك فهو عبث وباطل، والفن الإسلامي فوق العبث والباطل، فحياة الإنسان ووقته أثمن من أن يكون طعمة للعبث الذي لا طائل تحته.

٤ - إن الغاية التي يهدف الفن الإسلامي إلى تحقيقها، هي إيصال الجمال إلى حس المشاهد "الملتقي"، وهي الارتقاء به نحو الأسمى والأعلى والأحسن؛ أي نحو الأجمل، فهي اتجاه نحو السمو في المشاعر والتطبيق والإنتاج، ورفض للهبوط، فالإسلام إذن لم يكن يوما ضد الفن، ولكنه ضد الوثنية بأشكالها وأنواعها، وقد وقف ومازال يقف حائلا بين الإنسان وهبوطه لمهاوي الضلال والهلاك.

٥ - للفن شخصيته المستقلة، فليس هو فرعا من الفلسفة، أو فرع من فروع العلم – وإن كان العلم هو بعض ما يحتاجه الفنان - ولذا فليس من مهمات الفن البحث عن الحقيقة أو الكشف عنها. وحينما يطلب إليه ذلك فلقد حمل ما لا طاقة له به، فقد يحدث أن يكون الفن في بعض الأحيان طريقة لاكتشاف حقيقة ما، ولكن هذا ليس مهمة دائمة يكلف بها؟إن الذين جعلوا اكتشاف الحقيقة من أغراض الفن، دفعهم إلى ذلك تصورهم الخاطىء عن تحديد مكانة الفن ومهمته.

٦ – إن الفن الإسلامي ينبع من داخل النفس، فتجيش به العواطف والأحاسيس، فإذا به ملء السمع والبصر، وهو بهذا تعبير عن الالتزام، وليس صدى لإلزام قهري أو أدبي .

٧ - إن ساحة الجمال في الإسلام هي الوجود كله، وأن الإسلام أوصل الجمال إلى مجالات لم يعرفها من قبل، ونؤكد هنا أن ساحة الجمال نفسها هي ساحة الفن، وهي ساحة لا تضيقها الحدود، ولا تحصرها الحواجز، ذلك أنها مساحة منهج التصور الإسلامي.

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

عودة الضمير إلى غير مذكور في القرآن الكريم

د. محمود محمد علي الحسن

سوريا

مما لا شكَّ فيه أن الضمائر هي صور لفظية مختصرة تنوب عن الأسماء، واستعمالها في التراكيب هو نوع من الإيجاز والاختصار، وهي من أنواع المعارف التي تُقابل النَّكرة؛ لذلك لا يسوغ استعمالها إلى إذا كانت تعود إلى اسم محدَّد دون غيره.

وضمائر المتكلم والمخاطب تدلُّ على صاحبها بدقة، أما ضمائر الغيبة فلا بدَّ أن يكون صاحبها مذكورًا أو معهودًا في الذهن، وقد يكون غير مذكور لغرض بلاغيّ أو دلالي يتمثَّل غالبًا في الإيجاز والتفخيم والتشويق والتخييل والانتقال من الخصوص إلى العموم، كما سيظهر في البحث، وفي حال عودة الضمير إلى غير مذكور لا بدَّ من قرائن لفظية أو دلالية أو ذهنية تربط الضمير بصاحبه وتُسوِّغ لهذا الاستعمال.

وهذا البحث مخصَّص للحديث عن عودة ضمير الغيبة إلى غير مذكور في القرآن الكريم، ويسعى إلى تسليط الضوء على هذا الاستعمال، وبيان مدى فصاحته، وما يتطلّبه من قرائن مسوِّغة له، وما يترتب عليه من خصائص دلالية وبلاغية، تجعله من الأساليب التي يجوز للكُتّاب والشعراء احتذاؤها والتأليف على منوالها.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث جديد في بابه، ولم يُدرَس من قبل، وكلُّ ما عثرت عليه مما يتصل به لا يتجاوز الآراء العامة والإشارات الموجزة المبثوثة في كتب النحو والتفسير، ولهذا وجدتُه موضوعًا صالحًا للدراسة، وأردفته بما دعت إليه الحاجة من شواهد الحديث الشريف والشعر.

وقد اشتمل البحث على مقدِّمة وخاتمة وثلاثة مباحث:

عرضتُ في المبحث الأول آراءَ النحاة والبلاغيين في عودة الضمير إلى غير مذكور، ثم تحدَّثتُ في المبحث الثاني على القرائن التي تربط الضمير بصاحبه غير المذكور، والتي تُسوِّغ لهذا الاستعمال من جهة الفصاحة والبلاغة، وخصَّصتُ المبحثَ الثالثَ لعَرضِ

صُورٍ من عودة الضمير إلى غير مذكور في أسلوب القرآن الكريم.

والمنهج المتَّبع في البحث هو المنهج الوصفي الذي يقوم على الاستقراء والتحليل والاستنتاج، حيث يسود الاستقراء في جمع الشواهد والآراء، على حين يُعتمَد التحليلُ في تأمّل المادة العلمية والإحاطة بها وتصنيفها وترتيبها، ويُلجَأ إلى الاستنتاج في الوصول إلى الأحكام واستخلاص النتائج.

وعلى الله أعتمدُ، وهو الموفق للصواب.

المبحث الأول

آراء النحاة والبلاغيّين في عودة الضمير

تُقسَم الضمائر من حيث دلالتها على ما تعود إليه ثلاثة أقسام: إذ تكون للمتكلِّم، أو المُخاطَب، أو الغائب. ولا خلاف في أنّ ضمير المتكلِّم والمُخاطب يُعيِّن صاحبَه ويدلُّ عليه بلفظه، أما ضمير الغائب فلا بُدَّ من تعيين صاحبه بدلالة السياق أو المقام.

وبناء على ذلك فإن ضمير الغائب "إمّا أن يعودَ إلى اسم سبقه في اللَّفظ. وهو الأصل، مثل: الكتابَ أخذتُه. وإما أن يعود إلى متأخرٍ عنه لفظاً، متقدّم عليه رُتبةً، أي بحسَب الأصل، مثل: أخذَ كتابَه زهيرٌ، فالهاءُ تعود إلى زهير المتأخر لفظًا، وهو في نيّة التقديم، باعتبار رُتبته لأنه فاعل. وإما أن يعود إلى مذكور قبله معنًى لا لفظًا، مثل: اجتهِدْ يكنْ خيرًا لك، أي يكنِ الاجتهادُ خيرًا لك، فالضمير يعود إلى الاجتهاد المفهوم من: اجتهِدْ.

وإما أن يعود الى غير مذكور، لا لفظًا ولا معنًى، إن كان سياقُ الكلام يُعيِّنُهُ، كقوله تعالى ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هود: ٤٤]، فالضمير يعود الى سفينة نوحٍ المعلومة من المقام، ومثل قول الشاعر[١]:

إذا ما غَضِبْنا غَضبةً مُضَرِيّةً

هَتكْنا حِجابَ الشَّمْسِ، أو قَطرَت دَما

فالضمير في "قطرَت" يعودُ إلى السُّيوف، التي يدُلّ عليها سياق الكلام"[٢].

فضمير الغائب ينبغي أن يعود إلى مذكور، لكن النحاة أجازوا عودته إلى غير مذكور، بشرط أن يدلّ عليه السياقُ أو المقام، فإن لم يدلّ عليه دليلٌ امتنع؛ لأن ذلك يؤدي إلى الوقوع في اللبس، أو استحالة فهم الكلام[٣].

وأمّا البلاغيون فعَدُّوا عودةَ الضمير إلى غير مذكور من باب الحذف، الذي يصبّ في أحد نوعَي الإيجاز، وهو إيجاز الحذف وهو عندهم: إسقاط جزء من الكلام لدلالة السياق عليه[٤]، وهو فضيلة من فضائل الكلام، ونوع شريف من أنواعه، وينطوي على محاسن بيانية وبلاغية[٥].

جاء في كتاب الصناعتين: "ومن الحذف أن تُضمر غيرَ مذكور، كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ [ص: ٣٢] يعني الشمس بدأت في المغيب، وقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر: ٤٥] يعني على ظهر الأرض، وقوله تعالى: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤﴾ [العاديات: ٤] أي بالوادي، وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣﴾ [الشمس: ٣] يعني الدنيا أو الأرض، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾ [الشمس: ١٥] يعني عُقبى هذه الفعلة"[٦].

فالأصل في استعمال ضمير الغائب أن يكون عائدًا إلى مذكور، وفي أحوال المذكور صورتان[٧]:

الأولى وهي الأصلُ: أن يكون متقدِّمًا على

الضمير، بحيث يُفهَم مدلولُ الضمير بمجرَّد التلُّفظ به، ودون الحاجة إلى إعمال الذهن، وهذا من سمات الفصاحة في الكلام، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢].

الثانية: أن يكون المذكور الذي يعود إليه الضمير مؤخَّرًا في اللفظ، مقدَّمًا في النيّة؛ لأن رتبته التقديم، نحو: ضربَ غلامَه زيدٌ، وكقولهم: "في بيتِه يُؤتَى الحكم"[٨]، ومثله في القرآن الكريم: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [طه: ٦٧]، وقوله: وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ [الرحمن: ٣٩].

أما إذا كان المذكور متأخِّرًا في اللفظ والرتبة فجمهور العلماء لا يُجيزون هذا الاستعمال، ويَعدّون كلَّ ما جاء عليه من باب الخطأ وضعف التأليف، مثل قول حسان بن ثابت[٩]:

فلو كـانَ مَجدٌ يُخلِدُ اليَـومَ واحـدًا

مِنَ النّاسِ أبقَى مَجدُهُ اليَومَ مُطعما

فالهاء في "مَـجـدُه" تعود على "مُطعما" وهو متأخر في اللفظ والرتبة؛ لأنه مفعول به، وضميره متَّصل بالفاعل. ونحوه قول النابغة[١٠]:

جـزَى ربُّـه عنّـي عَـدِيَّ بـنَ حاتمٍ

جَـزاءَ الـكـلابِ الـعـاويـاتِ وقـد فَعَلْ

فالهاء في "ربُّه" تعود على "عَـدِيّ"، وهو متأخر في اللفظ والرتبة؛ لأنه مفعول به، وضميره متَّصل أيضًا بالفاعل. ومثل هذه الشواهد حملها العلماء على الشذوذ وضعف التأليف، ولم يُجيزوا احتذاءَها ومحاكاة أسلوبها[١١].

وقد أفضَت في بعض الأحيان آراءُ النحويِّين ومذاهبُهم إلى القول بعودة الضمير إلى متأخِّر لفظًا ورتبة، كما في باب التنازع، ومن أمثلته قولهم: أكرمَني وأكرمتُ زيدًا، فالفعلان: أكرمني وأكرمتُ تنازعا العمل في زيد، والأول يطلبه فاعلاً والثاني يطلبه مفعولاً به، ولما جاء منصوبًا فالعامل فيه "أكرَمتُ"؛ لأنه هو الذي يطلبه على وجه النصب، وفاعل "أكرَمَني" محذوف عند الكسائي والكوفيين، على حين أنه ضمير مستتر يعود إلى "زَيدًا" عند البصريِّين؛ أي إن مذهب البصريين هو الذي أفضى إلى وجود ضمير يعود على متأخر لفظًا ورتبةً؛ لأنه مفعول به[١٢].

وفي المقابل ورد في الكلام الفصيح المحتج به استعمالاتٌ لضمير الغيبة يعود فيها إلى غير مذكور، كما توضَّح سابقًا، وفي هذه الحالة لا بدّ من وجود قرائن لغوية وأسلوبية أو ذهنية تدلُّ على صاحبه وتحدِّده، وإلا حُكم على السياق بالخطأ والفساد.

فممّا يدخل ضمن الأساليب وتوجيهات النحاة الضميرُ العائد على محذوف مفسِّر بالتمييز أو بجملة بعده. فالمفسَّر بالتمييز هو الضمير الذي يُعرَب فاعلاً في أسلوب المدح والذم نحو: نِعمَ رجلاً زيدٌ، وبئسَ رجلاً بكرٌ، ففاعل نِعمَ وبئسَ ضمير مستتر، يعود على محذوف مفسَّر بالتمييز "رجلاً"، وهذا التوجيه منشؤه المذاهب النحوية وتعليلات النحاة التي يُراد بها توجيه الأساليب بحيث تتوافق مع القواعد الثابتة.

والمفسَّر بالجملة ضميرُ الشأن وضمير القصّة، نحو: هو زيد منطلق، وكان زيدٌ جالسٌ، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: ١]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣] والتقدير: الشأنُ زيدٌ منطلقٌ، وكان الشأنُ

زيدٌ جالسٌ، والشأنُ اللهُ أحدٌ، وإنّ الشأنَ لا يُفلح الظالمونَ. ومنه قول الشاعر[١٣]:

إذا مِتُّ كانَ النّاسُ نِصفانِ: شامتٌ،

وآخــرُ مُـثـنٍ بـالّـذي كـنـتُ أصنـعُ

أرادَ كان الشأنُ: الناسُ نِصفانِ.

وضمير الشأن يُسمَّى أحيانًا ضمير القصة أو الحكاية إذا كان مؤنثًا، فمما يُؤوَّل بالشأن نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل: ٩]، ومما يُؤوَّل بالقصّة نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦][١٤].

وضمير الشأن أو القصة في الآيات القرآنية يعود حقيقة إليهما، أما في الأمثلة السابقة فهو نوع من التعليل النحوي لاستعمالات غير متوافقة مع القواعد الثابتة، كمجيء خبر كان مرفوعًا. ففي قول الشاعر "كانَ النّاسُ نِصفانِ" جاء "نِصفان" مرفوعًا، فامتنع أن يكون خبرًا لـ"كانَ" وفق ما هو مستقرٌّ عند النحاة من وجوب أن يكون منصوبًا، فذهبَ النحاة إلى أن اسم "كانَ" ضمير الشأن المحذوف، وخبرها الجملة الاسمية بعدها وهي "الناسُ نِصفانِ"، ومن الواضح أن الغرض من هذا التوجيه هو ردُّ الاستعمالات غير المتوافقة مع القواعد النحوية الثابتة إلى بابها.

تلك كانت صورتين من صور عودة الضمير في التركيب إلى غير مذكور، وهما مضبوطتان نحويًّا بما قدَّمه النحاة من توجيه وتعليل.

أما الصورة الثالثة فهي موضوع البحث، وفيها يكون ضمير الغائب عائدًا إلى غير مذكور، بدلالة عناصر السياق اللغوية، أو الاعتبارات الذهنية الراسخة لدى المتلقي، بحيث قامت تلك الاعتبارات اللغوية والذهنية مقام ذِكره، فكان عدم ذكر العائد إليه يصبّ في باب إيجاز الحذف، وهو من الأساليب البلاغية المشهورة.

ومن الأمثلة على عودة الضمير إلى غير مذكور بدلالة السياق والاعتبارات الذهنية قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾ [القيامة: ٢٦]، فالضمير المستتر في "بلَغَت" عائد إلى الروح، وهي فاعل. ودلَّ عليها بلوغُ التّراقي[١٥]، وتصوير لحظات الموت وخروج الروح من الجسد، وهو قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٠]، يُضاف إلى ذلك وجود اعتبارات ذهنية لدى المتلقي تقضي بالدلالة السابقة.

ومن أمثلة عودة ضمير الغيبة إلى غير مذكور قول حاتم[١٦]:

لَعمرُكِ ما يُغني الثّراءُ عَنِ الفَتى

إذا حَشرجَت يَومًا وضاقَ بها الصَّدرُ

أراد: حشرجَت النَّفسُ؛ أي تردَّدَت في الحلق ولم تخرج، وهي الغَرغرةُ عند الموت. ففاعل "حشرجَت" ضمير مستتر يعود إلى غير مذكور وهو النَّفسُ أو الروح، ودلّ عليها فعل الحشرجة وضيق الصدر بها، إضافة إلى قوة العلم بها لدى الناس.

وقال طرفة[١٧]:

على مِثلِها أمضِي إذا قالَ صاحبِي

ألا لَيتَنِي أفديكَ منها وأفتدِي

فالضمير في "مثلها" يعود إلى الناقة التي وصفها بأبيات سابقة، أما الضمير في "مِنها" فيعود إلى الفلاة، وهي غير مذكورة، وإنما دلّ

عودة الضمير إلى غير مذكور في القرآن الكريم

عليها ركوب الناقة والخوف منها المعبَّر عنه بتمني الافتداء.

وقال قطري بن الفجاءة[١٨]:

أقــولُ لــهـا، وقَــد طــارَتْ شَـعـاعًـا

مِـن الأبـطـالِ: وَيْـحَـكِ لا تُـراعِـي

فالضمير في "لها" عائد على النفس، وهي غير مذكورة، وإنما دلّ عليها الألفاظ التي تُفيد الخوف في ساحة الحرب والتصبير على ويلاتها، وهي: طارت شعاعًا، الأبطال، ويحك، تُراعي. وهذه الألفاظ مجتمعةً، إضافة إلى مقام تصوير الشجاعة في الحرب، هي التي دلَّت على غير المذكور الذي يعود إليه الضمير.

يتضح من الشواهد السابقة أن ضمير الغائب حين يعود إلى غير مذكور فإن القرائن اللغوية والاعتبارات الذهنية تدلُّ عليه دلالةً شِبهَ قطعيّة، فتقوم مقام ذِكره، ويكون استعمال الضمير عائدًا إليه مُستساغًا، عندما تكون القرائن اللغوية مختصة به، ملازمةً له في الإسناد، فإن لم تكن مختصةً به، أو تصلح للدلالة عليه وعلى غيره، فعندها يضعف الأسلوب، ويدخل التفسير باب الاحتمالات، ويحتاج المتلقي لإدراك المعنى إلى مزيد من الشروح وإعمال الفكر، وبخاصة إذا كان الشاعر يقصد محذوفًا وغيرُه أولى بالتقدير منه، كما في قول لبيد[١٩]:

حـتّـى إذا ألـقَـتْ يَـدًا فـي كـافـرٍ

وأجَـنَّ عَـوراتِ الـثُّـغـورِ ظَلامُـها

فالفعل "ألقَت" فاعله ضمير مستتر يعود إلى غير مذكور، وقد قصد الشاعر به الناقةَ، على حين أن الفعل "ألقَت" ألصق بالشمس، وأكثر ملازَمةً لها، والتقديران يُناسبان المعنى، لكنه حين قصد محذوفًا غيره أولى بالتقدير منه وقع اللبس، واحتاج البيت إلى الوقوف على أقوال الشُّراح[٢٠].

المبحث الثاني

القرائن المُسوِّغة لعودة الضمير إلى غير مذكور

ظهر في المبحث السابق أن ضمير الغيبة قد يُستعمل عائدًا إلى اسم غير مذكور في السياق، وتَوضَّح أن هذا الأسلوب لا بدَّ فيه من وجود قرائن لفظية ودلالية وذهنية تربط الضمير بصاحبه المحذوف فتجعل استعماله مستساغًا من جهة المعنى، ومقبولاً من حيث سلامة النظم وُحسن التأليف.

وقد عرضتُ في المبحث السابق بعض القرائن اللغوية التي تدلُّ على صاحب الضمير غير المذكور. وهذا المبحث مخصَّص للحديث عمّا يُلابس هذا الاستعمال من القرائن الدلالية والذهنية، المسوِّغة لهذا الأسلوب.

فمن القرائن التي تسوِّغ لعودة ضمير الغيبة إلى غير مذكور العناصر اللغوية، التي تكون عادة مختصة به ملازمة له، بحيث يدلّ إسنادها إلى الضمير على صاحبه غير المذكور، وهي أقوى القرائن دلالة على المراد، وقد مرَّ في المبحث السابق أمثلة عليها. ومنها نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦]، فالضمير في "عليها" عائد إلى غير مذكور وهو الأرض[٢١]، التي دلّ عليها حرفُ الاستعلاء "على" ومعنى الفناء.

وجاء في الحديث الشريف أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان "يُصلِّي الظُّهرَ بالهاجِرةِ، والعَصرَ والشَّمسُ نَقِيّةٌ، والمَغرِبَ إذا وَجَبَت..."[٢٢]. فقوله

"وَجَبَت" يعني الشَّمسَ؛ أي سقطَ قرصُها، وذهب في الأرض، وغاب عن أعين الناس، ففاعل "وَجَبَت" ضمير مستتر يعود إلى غير مذكور وهو الشمس، التي دلَّ عليها وجوبُها أي سقوطها، وصلاة المغرب[٢٣].

وقال تميم بن أبي[٢٤]:

وهَبَّت شَمالاً تَهتِكُ السِّترَ قَرَّةً

تكادُ قُبَيلَ الصُّبحِ بالماءِ تَنضَحُ

فالفعل "هَبَّت" إذن فاعِلُه ضمير مستتر يعود إلى غير مذكور، وهو الرِّيح، وهذا الفعل يكاد يُلازمُ الإسنادَ للريح على الحقيقة، ولذلك فهو كافٍ للدلالة عليها، والتسويغ لهذا الاستعمال.

ومن القرائن المسوِّغة لعودة الضمير إلى غير مذكور تعاضدُ النصوص، بحيث يُعرَف صاحب الضمير من تحديده وذكره في نصٍّ آخر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر: ١]. فالهاء في "أنزلناهُ" عائدٌ إلى القرآن الكريم، وهو غير مذكور في سياق الآية[٢٥]، وحين نتأمل فعل الإنزال لا نجده مختصًّا بالقرآن، بل يصلح لكل مُنزَل كالغيث والملائكة والكتب وغيرها، فلا بدَّ من قرائن أخرى لتحديد المراد بدقة. وهذه القرائن تتمثل في تقييد إنزاله بليلة القدر، وهذا التقييد مُفسَّر في نصوص أخرى بأنه إنزال للقرآن، كما في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ١ - ٣]، ففي هذا السياق تصريح بأن الإنزال للقرآن دون غيره؛ أي إن الاحتكام إلى هذا السياق وكونه محفوظًا مردَّدًا يجعل دلالة الهاء في سورة القدر على القرآن قطعية، يُضاف إلى ذلك أن الليلة المباركة لم تُحدَّد في هذا السياق بليلة معينة، لكن تحديدها بليلة القدر، دون غيرها من الليالي، يستند أيضًا إلى السياق الوارد في سورة القدر.

يُضاف إلى ذلك أن في استعمال الضمير، العائد إلى القرآن الكريم غير مذكور، دون لفظه الصريح فائدة بلاغية تتمثل في تعظيمه وتفخيم شأنه، "حيثُ يُجعَل لفرط شهرته كأنه يدلُّ على نفسِه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذِكرِ شيءٍ من صفاتِه"[٢٦].

ومِن تعاضد النصوص للدلالة على غير المذكور قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يأتِي عَلَى النّاسِ زَمانٌ، لا يُبالِي المَرءُ ما أخَذَ مِنهُ، أمِنَ الحَلالِ أم مِنَ الحَرامِ"[٢٧]. فالضمير في "منهُ" عائد إلى المال، وهو غير مذكور في السياق، ولذلك اقتضى وجود قرائن تحدِّد المراد بدقة. وأولى هذه القرائن فعل الأخذ، وهو فعل يُفيد تخصيصَ غير المذكور دون تحديده؛ لأنه يصلح له ولغيره، فهو قرينة تخصيص لا تحديد، فلا بد من قرائن أخرى أيضًا. والقرينة الثانية تقييده بالحلال والحرام، وهما من المعاني التي يُتحرّى عنها في كسب المال وغيره من الأفعال، فهي أيضًا قرينة تخصيص لا تحديد، لا تكفي للدلالة على غير المذكور إلا بالاستناد إلى اعتبارات أخرى.

والقرينة الثالثة هي ورود الحديث في رواية أخرى فيها لفظ المال، وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يأتِي عَلَى النّاسِ زَمانٌ مَا يُبَالِي الرَّجُلُ مِن أينَ أصابَ المالَ مِن حَلالٍ أو حَرام"[٢٨]. ولأن الأحاديث النبوية مَحفوظة ومُتدارَسة وفي مُتناول العلماء، فلا بأس أن يكون بعضُ ألفاظها ودلالاتها مفسَّرًا ببعضٍ، علمًا أن اختلاف الروايتين السابقتين قد يكون له ما يسوغه من دلالات المقام والظروف المحيطة بالمقال،

فمن الممكن أن الرواية الأولى قالها النبي صلى الله عليه وسلم، والمال حاضرٌ في مجلسه، فلم يحتج إلى التلفظ به، واستعمل ضميره باعتباره يعود إلى حاضر في حكم المشار إليه، على حين أن الرواية الثانية ربما قالها النبي عليه الصلاة والسلام، والمال غائب عن نظر المخاطبين، والله تعالى أعلم.

ومن القرائن التي تحدِّد غير المذكور ظروفُ المقام وما يُلازمه، بحيث يكون إدراكُ صاحب الضمير مبنيًّا عليها، ومثل هذه النصوص لا بدّ أن تبقى مناسباتها وظروفها محفوظةً ليُتاح فهم النص لدى الأجيال المتلاحقة ممّن لم يُعاين تلك الظروف.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٧]. فالضمير في "به" عائد إلى البيت الحرام[٢٩]، ولا تُوجد قرائن لغوية تدلُّ على ذلك، وإنما الذي دلَّ على غير المذكور وسوَّغ لهذا الاستعمال اعتبارات ذهنية مأخوذة ممّا يُلازم المقام من ظروف، قال الزمخشري: "والذي سوّغ هذا الإضمارَ شهرتُهم بالاستكبار بالبيت، وأنه لم تكن لهم مفخرة إلا أنهم ولاته والقائمون به"[٣٠].

وفي الحديث الشريف أنه ذُكر للنبي صلى الله عليه وسلم الطاعون، فقال: "إنّي لأرجو ألاّ يَطلُعَ علينا مِن نِقابِها"[٣١]. والنِّقاب: جمع نَقْبٍ، وهو الطريق بين الجبلَين، أراد ألا يَطلُعَ علينا من طرقها. والضمير في "طرقها" عائد إلى المدينة، وهي غير مذكورة في السياق، وإنما ساغ هذا الاستعمال لما يُؤيِّدُه من ظروف المقام، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مقيمًا في المدينة، فغير المذكور مفهوم لدى المُخاطَبين بظروف المقام، ومفهوم لدى غيرهم بحفظ المناسبة التي قيل فيها الحديث.

وتجدر الإشارة إلى أن عودة الضمير إلى غير مذكور في الحديث السابق، يُمكن الاستدلال عليها، فضلاً عن المناسبة وظروف المقام والاعتبارات الذهنية، بما ورد من أحاديث فيها إضافة النقاب إلى المدينة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "لَيسَ مِن بَلدةٍ إلّا يَبلُغُها رُعبُ الدَّجّالِ إلّا المَدِينةَ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِن نِقابِها مَلَكانِ يَذُبّانِ عَنها رُعْبَ المَسِيحِ"[٣٢].

ومن قرائن المناسبات المتعلقة بظروف المقام وما يُلابسه، الدالّة على عودة الضمير إلى غير مذكور، نحو قول الأخطل[٣٣]:

أخالدَ هاتِي خَبِّرِيني وأعلِنِي
حَديثَكِ إنِّي لا أُسِرُّ التَّناجِيا
حَديثَ أبِي سُفيانَ لمّا سَما بِها
إلى أُحُدٍ حتَّى أقامَ البَواكِيا

أراد سما بالخيل، فالضمير في "بها" عائدٌ على غير مذكور، وهو الخيل، وإنما دلَّ عليها مناسبة الأبيات أنها قِيلت في غزوة أحد التي كان فيها النصر للمشركين بقيادة أبي سفيان على جيش المسلمين.

*****

يتضح مما تقدَّم أن استعمال الضمير عائدًا إلى غير مذكور كثير في الكلام الفصيح، ولكن لا بدَّ له من قرائن تسوِّغ له وتحدِّد صاحبَه بدقّة، وهذه القرائن قد تكون لغوية، وأقواها تلك التي تكون مختصة بغير المذكور ملازمة له، بحيث يدلّ إسنادها إلى الضمير على صاحبه. وقد تكون تلك القرائنُ متمثلةً بتعاضدُ النصوص، بحيث يُعرَف

صاحب الضمير من وروده في نصٍّ آخر. ومنها ما يتعلَّق بظروفُ المقام وما يُلازمه من هيئات وأحداث وغير ذلك، بحيث يكون إدراكُ صاحب الضمير مبنيًّا عليها، ومثل هذه النصوص لا بدّ أن تبقى مناسباتها وظروفها محفوظةً ليُتاح فهم النص لدى الأجيال المتلاحقة ممّن لم يُعاين تلك الظروف.

المبحث الثالث

صُوَر من عودة الضمير إلى غير مذكور في القرآن الكريم

تحدَّثتُ في المبحثين السابقين عن آراء النحاة والبلاغيِّين في عودة ضمير الغيبة إلى غير مذكور، وعرضتُ بعض القرائن التي تُسوِّغ لذلك الاستعمال، وهذا المبحث مخصَّص لعرض مواضع في القرآن الكريم عاد فيها الضمير إلى غير مذكور، مما لم يرد في المبحثين السابقين، مع ما يسوِّغ لذلك من قرائن.

فمن عودة الضمير إلى غير مذكور قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ٩٧]. فالهاء في "نزَّلَه" مفعول به عائد على غير مذكور، وهو القرآن الكريم، والفاعل ضمير مستتر يعود على جبريل. والقرائن الدالة على غير المذكور هي فعل التنزيل مسنَدًا إلى جبريل عليه السلام[٣٤]، وفي ذلك دلالة قطعية على القرآن الكريم؛ لأن النزول بالقرآن الكريم مرة بعد مرة هو من عمل جبريل عليه السلام، ومعلوم بالقلوب علمًا أقوى من الذكر ويُغني عنه، يُضاف إلى ذلك أن في استعمال ضمير القرآن دون ذكره تفخيم وتعظيم له، من باب أنه لم يحتج إلى الذكر لشهرته وعظمته.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٠]. فالضمير في "لهم" فيه أقوال منها أنه عائد على الناس في الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨]، وفي ذلك التفات من الخطاب إلى الغيبة. وقيل هو عائد على المشركين[٣٥]، وهو الأرجح؛ لأن في نهي الناس عن اتباع خطوات الشيطان، وتبصيرهم بغوايته ووسوسته، دلالةٌ على أن أكثرهم تجاوز العنادَ واتباعَ الأهواء، فلا يقع منهم جميعًا الإصرار على اتباع الآباء الضّالِّين، وإنما المُصِرُّون هم فريق من الناس وهم المشركون الذين لم يستجيبوا للإسلام، وهذا يعني أن الضمير عائدٌ على غير مذكور، والقرينة الدالة عليه هي اشتهار المشركين بالعنادِ والاستمرار على الباطل والطغيان.

وقال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [هود: ٢٩]. فالضمير في "عليه" عائد على غير مذكور، وهو تبليغ الرسالة[٣٦]، ودلّ عليه سياق الآيات السابقة، ولا سيما قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [هود: ٢٥]. وذهب بعض المفسّرين إلى أنه عائد على الإنذار المفهوم من "نذير"[٣٧]. والمؤدَّى واحد إلا أن قرينة "لا أسألكم عليه مالاً" تُرجِّح التبليغ لا الإنذار؛ لأنها تليق بما هو محبَّب ومفيد، على حين أن الإنذار يتصل بالخوف والفزع.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل: ٦١]. فالضمير في "عليها" عائد إلى غير مذكور وهو الأرض، والقرينة الدالّة على ذلك حرف الاستعلاء "على" وقوله "مِن دابّة" لأنها مما يعيش على ظهر الأرض[٣٨].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾[مريم: ٩٧]. فالهاء في "يَسَّرناهُ" عائد إلى غير مذكور وهو القرآن الكريم[٣٩]، ويدل عليه أنه نزل بلسان النبيّ صلى الله عليه وسلم، لتبشير المتَّقين، وإنذار الكافرين.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١١١]. فالضمير في "لعلَّه" عائد إلى غير مذكور وهو الإمهال[٤٠]. ودلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]، وقوله ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾. فيكون من باب الإيجاز؛ لأن استعمال الضمير في موضع الاسم فيه إيجاز، والقرائن التي تُشير إلى صاحب الضمير غير المذكور تكفي لتحديده وإزالة اللبس.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ ﴾ [الحديد: ٢٧]. فالـ"ها" في "رَعَوها" عائد على الرهبانية، أما الواو ففيها أقوال، منها أنها تعود على الذين اتَّبعوا عيسى عليه السلام؛ أي إنها على هذا الرأي تعود على مذكور، ولكنها تتعلَّق ببعضه؛ لأن الذين لم يَرعوها هم فريق من أتباع عيسى وليسوا جميعًا.

وقيل تعود على المتأخِّرين من أتباعه، والمعنى أن الذين ابتدعوا الرهبانية رَعَوها حقَّ رعايتها، أما المتأخِّرون أضاعوها ولم يلتزموا بها، وقيل الواو تعود على ملوكهم الذين آذَوهم ومنعوهم منها. وسواء كانت تعود على الملوك أم المتأخِّرين فهي عائدة على غير مذكور، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد: ٢٧][٤١].

وفائدة هذا الاستعمال جعل التعبير يخرج من الخصوص إلى العموم، بحيث يحتمل كلَّ الفئات التي تُوصف بالفِسق المذكور في آخر الآية.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾ [الشمس: ١ – ٤]. فالـ"ها" في "جَلاّها ويَغشاها" عائد إلى غير مذكور، وفيه عدة أقوال أظهرها أنه يعودُ على الأرض[٤٢]، فالنَّهارُ يكشفُها ويُظهرُ ما فيها من الحُسنِ والعَجائب، واللَّيلُ يُغطِّيها بالظُّلمة فتَستتِرُ؛ ليتوجَّه القلب إلى التأمُّل في عوالم السماء وعجائب نظامها.

والقرائن التي دلَّت على الأرض هي الشمس والقمر والليل والنهار؛ لأنها مما يراه الناس ويُعايشونه في كل لحظة على الأرض بالنظر والتأمل والحسّ.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾ [العاديات: ١ – ٥]. فالعاديات والموريات والمغيرات هي الخيلُ، وهي في الأصل صفات أُقيمَت مُقام الموصوف بعد حذفه، فنابت عنه ودلَّت عليه وعلى الصفة الملازمة له في آن واحد؛ أي دلَّت على الخيل وهي تعدو

أي تركض، وتقدح الأرضَ بحوافرها، وتُباغتُ العدوَّ بالإغارة عليه في الصباح[٤٣].

والهاء في "به" عائدة على الأرجح إلى غير مذكور، قال القرطبي: "والكناية (أي الضمير) في "بـه" ترجع إلى المكان أو إلى الموضع الذي تقع فيه الإغارة، وإذا عُلِمَ المعنى جاز أن يُكنى عمّا لم يَجرِ له ذِكرٌ بالتصريح، كما قال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [ص: ٣٢]. وقيل فأثَرنَ به، أي بالعَدْوِ نَقعًا، وقد تقدَّم ذِكرُ العَدْوِ. وقيل النَّقع: ما بين مُزدَلِفة إلى مِنًى... وقيل إنه طريق الوادي، ولعلّه يرجعُ إلى الغبار المُثار من هذا الموضِع... قُلتُ: وقد يكون النَّقعُ: رَفْعَ الصَّوت"[٤٤].

فالراجح أن الهاء في "به" تعود على غير مذكور، فإن حُمِلت الباء على السببية احتمل الهاء أن يعود إلى العَدْوِ الذي دلّ عليه لفظُ العاديات، والمعنى: أثرنَ بسبب العَدْوِ نَقعًا. وإن حُملت الباء على الظرفية احتمل الهاء أن يعود إلى مكان الإغارة أو الغبار المنبعث فيه أو الناس الذين فيه أو الوادي...[٤٥] ومن الواضح أن عدم ذكر ما يعود إليه الضمير يجعل الفكرَ يسلك باب الاحتمالات، ويتخيَّل كلّ ما تُشير إليه الدلالات، فيكون في هذا الأسلوب تشويقٌ وتَخييل وعموم وإيجاز، وهذا من خصائص التعبير القرآني.

*****

يتَّضح مما تقدَّم أن ضمير الغائب ورد في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن الكريم عائدًا إلى غير مذكور، مع وجود قرائن تدلّ عليه وتُسوِّغ له. وكان الغرض من ذلك الإيجاز وحده حين تكون القرائن كافيةً لتحديد صاحب الضمير بدقة، وقد يجتمع مع الإيجاز التفخيم والتعظيم والتشويق والتخييل والانتقال من الخصوص إلى العموم، وكل ذلك من الخصائص البلاغية للتعبير القرآني.

الخاتمة والنتائج

تحدَّثتُ في هذا البحث عن عودة ضمير الغيبة إلى غير مذكور في القرآن الكريم، فعرضتُ في المبحث الأول آراءَ النحاة والبلاغيين في ذلك، ثم تكلَّمتُ في المبحث الثاني على القرائن المسوِّغة لعودة الضمير إلى غير مذكور، وخصَّصتُ المبحثَ الثالثَ لعَرضِ صُورٍ من عودة الضمير إلى غير مذكور في أسلوب القرآن الكريم.

وقد انتهى البحث إلى النتائج الآتية:

١- الأصل في ضمير الغيبة أن يعود إلى مذكور مُتقدِّم عليه، ويجوز أن يعود إلى مذكور متأخِّر في اللفظ بشرط أن يكون متقدِّمًا في الرتبة.

٢- كثُر في الاستعمالات الفصيحة عودة ضمير الغيبة إلى غير مذكور، وهو ضرب من الإيجاز البلاغي، حين يتضمن السياق قرائنَ تدلُّ على غير المذكور.

٣- القرائن التي تربط ضمير الغيبة بصاحبه غير المذكور تكون لفظية أو دلالية أو ذهنية، وقد تكون قوية لدرجة أنها تقوم مقام الذِّكر وتُغني عنه.

٤- قد تكون القرائن ضعيفة بحيث يحتمل الضمير في التقدير أن يعود إلى أكثر من اسم، فإن كانت هذه الاحتمالات مقصودةً اكتسب الأسلوب خصائص دلالية وبلاغية، وإن لم تكن مقصودة أدَّى ذلك إلى الوقوع في اللبس،

واتَّصفَ الأسلوب بالضعف والركاكة والبعد عن الفصاحة.

٥- حين تكون القرائن كافيةً لتحديد غير المذكور بدقة فالغرض البلاغي لهذا الاستعمال يصبُّ في الإيجاز والتفخيم والتعظيم، أما حيث تكون القرائنُ غيرَ كافية واحتمالات العودة المتعدِّدة مقصودةً فالغرض البلاغي يخرج إلى التشويق والتخييل والانتقال من الخصوص إلى العموم.

الحواشي

١- ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦، ٤: ١٦٣.

٢- يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (ت ٧٣٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣، ١: ٢٨، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة ١٩٥٧، ٤: ٢٥، وجامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، ط٢٨، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٩٣، ١: ١٢٤- ١٢٥.

٣- يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، ط١، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ٢٠٠٣، ١: ٧٨، وشرح الكافية الشافية لابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٢، ٢: ٥٥٢، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧، ٢: ٦٢- ٦٣.

٤- يُنظر في إيجاز الحذف: سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢، ص٢١١، والكليات للكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٢٢٠، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٩٩٦، ١: ٢٩١.

٥- المثل السائر لابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢: ٦٨.

٦- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ص١٨٤.

٧- يُنظر: أمالي ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩١، ٣: ١١٥- ١١٨.

٨- مجمع الأمثال للميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ٢: ٧٢.

٩- ديوانه، تحقيق: الدكتور وليد عرفات، سلسلة جب التذكارية، ١: ١٩٩. وشرح الكافية الشافية ٢: ٥٨٦.

١٠- ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٠، ص١٩١، وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧، ١: ٢٧٧.

١١- يُنظر: المُوشَّح للمرزباني (ت ٣٨٤هـ) ص٧١، وضرائر الشعر لابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٠، ص٢٠٩، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص٢٩.

١٢- يُنظر: أمالي ابن الشجري ٣: ١١٧، والإنصاف في مسائل الخلاف ١: ٧١.

١٣- شعر العجير السلولي، صنعة: محمد نايف الدليمي، مجلة المورد، العدد ١ من المجلد ٨ لعام ١٩٧٩، ص ٢٢٥.

١٤- يُنظر: أمالي ابن الشجري ١: ٩١.

١٥- يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٤: ٢٦.

١٦- ديوانه، دار صادر، بيروت ١٩٨١، ص٥٠.

١٧- ديوانه، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢، ص٢٣.

١٨- قطري بن الفجاءة: حياته وشعره، د. وليد قصاب، ط١، دار الثقافة، الدوحة ١٩٩٣، ص ٣٧.

١٩- ديوانه، دار صادر، بيروت، ص١٧٦، والكافر: الليلُ لتغطيته الأشياء بظلمته. وأجَنَّ: ستَرَ. وعورات الثغور: المواضع الضعيفة التي يُخشى دخول العدوّ منها.

٢٠- يُنظر في معنى البيت: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف، ص٥٨١-٥٨٢.

٢١- يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٤: ٢٧.

٢٢- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ١: ١١٦ تحت الرقم ٥٦٠.

٢٣- يُنظر: فتح الباري لابن رجب (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: مجموعة باحثين، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة ١٩٩٦، ٤: ٣٥١.

٢٤- ديوانه، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، حلب وبيروت ١٩٩٥، ص٣٨.

٢٥- يُنظر: التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (ت٦١١هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧، ٢: ١٢٩٦، والبرهان في علوم القرآن ٤: ٢٧.

٢٦- البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤: ٢٤.

٢٧- صحيح البخاري ٣: ٥٥ تحت الرقم ٢٠٥٩.

٢٨- سنن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٩٨٦، ٧: ٢٤٣ تحت الرقم ٤٤٥٤. ويُنظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٢، ٥: ١٨٩١.

٢٩- يُنظر: البرهان في علوم القرآن ٤: ٢٧.

٣٠- الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ، ٣: ١٩٤.

٣١- المستخرج من الأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي (ت ٦٤٣هـ)، ط٣، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الملك بن دهيش، ط٣، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٠، ٤: ١٢٨- ١٢٩ تحت الرقم ١٣٤١. ويُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ١٩٧٩، ٥: ١٠٢.

٣٢- كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي المروزي (ت ٢٢٨هـ)، تحقيق: سمير أمين الزهيري، ط١، مكتبة التوحيد، القاهرة ١٤١٢هـ، ٢: ٥٦٤ تحت الرقم ١٥٨٤.

٣٣- ديوانه بصنعة السكري، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ط٤، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦، ص٥٥٨.

٣٤- يُنظر: تفسير الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٢، ١: ٢٤٠، والكشاف ١: ١٧٠، والتحرير والتنوير لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤، ١: ٦٢١.

٣٥- يُنظر: تفسير ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ، ١: ٢٣٨، وتفسير النسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت ١٩٩٨، ١: ١٥٠.

٣٦- يُنظر: تفسير الثعلبي ٥: ١٦٥، وتفسير القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٤، ٩: ٢٦، واللباب في علوم الكتاب للنعماني (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨، ١٠: ٤٧٤.

٣٧- يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دون تاريخ، ٦: ٣١٧.

٣٨- يُنظر: تفسير البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي،

بيروت ١٤٢٠هـ، ٣: ٨٤. واللباب في علوم الكتاب ١٦: ١٦٠.

٣٩- يُنظر: المفصَّل في تفسير الجلالين للدكتور فخر الدين قباوة، ط١، دار لبنان (ناشرون)، بيروت ٢٠٠٩، ص١١٤٨.

٤٠- يُنظر: تفسير القرطبي ١١: ٣٥٠.

٤١- يُنظر: تفسير ابن عطية ٥: ٢٧٠، وتفسير القرطبي ١٧: ٢٦٤، والدر المصون ١٠: ٢٥٧. ومعنى "حقَّ رعايتها" أي رعايَتها الحقّ، فهو من باب تقديم الصفة على الموصوف وإضافتها إليه. يُنظر: التحرير والتنوير ٢٧: ٤٢٦.

٤٢- يُنظر: تفسير القرطبي ٢٠: ٧٤.

٤٣- يُنظر: الكشاف ٤: ٧٨٦، وتفسير القرطبي ٢٠: ١٥٣، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ، ١٠: ٥٢٦.

٤٤- تفسير القرطبي ٢٠: ١٥٨.

٤٥- التحرير والتنوير ٣٠: ٥٠١، ويُنظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، دار المعرفة، بيروت، ١: ٦٢، و٢: ٣٨٣.

المصـادر والمراجع

- أمالي ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩١.
- الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، ط١، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ٢٠٠٣.
- الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (ت ٧٣٩هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣.
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (ت٦١١هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧.
- التحرير والتنوير لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤.
- تفسير البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٠هـ.
- تفسير الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٢.
- تفسير القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٤.
- تفسير النسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت ١٩٩٨.
- جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، ط٢٨، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٩٣.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧.
- خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دون تاريخ.
- ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦.

العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة ١٩٥٧.

- ديوان تميم بن أُبيّ، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، حلب وبيروت ١٩٩٥.
- ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت ١٩٨١.

- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: الدكتور وليد عرفات، سلسلة جب التذكارية، ١: ١٩٩.

- ديوان طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢.

- ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت.

- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٠.

- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢.

- سنن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٩٨٦.

- شرح ديوان المتنبي للعكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، دار المعرفة، بيروت.

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف.

- شرح الكافية الشافية لابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٢.

- شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ط٤، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦.

- شعر العجير السلولي، صنعة: محمد نايف الدليمي، مجلة المورد، العدد١ من المجلد٨ لعام ١٩٧٩.

- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

- فتح الباري لابن رجب (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: مجموعة باحثين، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة ١٩٩٦.

- كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي المروزي (ت ٢٢٨هـ)، تحقيق: سمير أمين الزهيري، ط١، مكتبة التوحيد، القاهرة ١٤١٢هـ.

- قطري بن الفجاءة: حياته وشعره، د. وليد قصاب، ط١، دار الثقافة، الدوحة ١٩٩٣.

- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٩٩٦.

- الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.

- الكليات للكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- اللباب في علوم الكتاب للنعماني (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.

- المثل السائر لابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.

- مجمع الأمثال للميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

- تفسير ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٢.

- المستخرج من الأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي (ت ٦٤٣هـ)، ط٣، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الملك بن دهيش، ط٣، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٠.

- المفصَّل في تفسير الجلالين للدكتور فخر الدين قباوة، ط١، دار لبنان (ناشرون)، بيروت ٢٠٠٩.

- المُوشَّح للمرزباني (ت ٣٨٤هـ) ص٧١، وضرائر الشعر لابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٠.

- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ١٩٧٩.

أهمية الأعراف السوسية في تنظيم الشؤون القبلية وموقف سلاطين وعلماء المغرب منها

د . محمد الصافي
أستاذ باحث في التاريخ
المملكة المغربية

تعد الأعراف وليدة النظم القبلية بوصفها وحدات اجتماعية متجانسة عرفتها البادية المغربية أو المجتمعات القبلية منذ القدم، وتقوم الأعراف على مجموعة من القيم القديمة المتأثرة إلى حد بعيد بكل الديانات السائدة من قبل بجنوب البحر الأبيض المتوسط، والناظر عموما في الأعراف التي حافظ عليها الزمان بالمناطق المعزولة بجبال الأطلس الكبير الشرقي ومشارف الصحراء وبالبادية المغربية خصوصا، يلمس أنها مفصلة ومبوبة كأنها مساطر قانونية رومانية. والثابت أن الإنسان المغربي وضع قانونا لنفسه، مارسه وامتثل لبنوده وعاش في ظله منذ وجوده على الأرض عبر آلاف السنين؛ لذلك فإن مشروعية ومصداقية الحديث عن هذا القانون الذي عرفه الإنسان المغربي عبر مراحل تاريخية مختلفة مستمدة بالأساس من وجود هذا الإنسان بتراكماته التي خلقها في الميدان القانوني.

أفرزت البادية المغربية باختلاف وتنوع ساكنتها وحاجتها إلى الضبط والتنظيم ترسانة من القوانين العرفية المتنوعة من حيث بنودها والموحدة ومن حيث الغاية التي تنشدها، فقد أدى اتساع وامتداد المجال المغربي، وعجز المخزن في فترات تاريخية معينة، وبسبب ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية مرت بالبلاد عن الامتداد إلى بعض الأصقاع النائية عامة وفرض نفوذه وسلطته عليها إلى انتشار الفوضى وغياب الأمن، فكان من الطبيعي لسكان هذه المناطق ضرورة سن قانون وضعي سمي "بالعرف" لدواعي أمنية وتنظيمية.

وهكذا فقد انتشرت "الألواح" بصفة عامة في الأصقاع السوسية، وفي منطقة جزولة بصفة خاصة، فالعرف كتب قديما بمنطقة سوس في

اللوح، ويؤكد محمد العثماني من خلال بحثه "ألـواح جزولة والتشريع الإسلامي" أن أقدم لوح تم العثور عليه هو لوح أكادير "أجاريف" المؤرخ بـ ٩٠٤هـ/١٤٩٨م. ويسري قانون الألواح على كل فرد داخل الجماعة ويتسم بنوع من القداسة؛ حيث يجب على كل فرد التقيد بقوانينه والخضوع لأحكامه امتثالا وتطبيقا، وكل من ارتكب مخالفة أو شذ عن قواعده يعاقب طبقا للعقوبات التي تقررها الجماعة، ويتم إيداع نص اللوح في مكان آمن لدى أمين الحصن الجماعي (أكادير) إن وجد أو عند إمام المسجد، ولا يتم استخراجه للاطلاع عليه إلا بمحضر الجماعة لا سيما إذا حدثت نازلة تقتضي ذلك. وعموما فبنود الألواح تحدد بصفة عامة واجبات الجماعة في شأن ما يهم الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدفاع عن القبيلة، كما تحدد الجنح والجنايات وما يترتب عنها من العقوبات.

وجدير بالذكر أن الأعراف التي كانت تسجل في الألواح تأتي أساسا بعد وقائع طارئة وحوادث حصلت فعلا، وكل مستجد حدث يتم إدخاله في النص التشريعي للقانون العرفي، مما يجعل اللوح يزداد اتساعا كلما أضيفت إلى مواده القديمة مادة جديدة، من هنا جاءت صفة التغير والتحول في بنود الأعراف وأحكامها عبر الزمن، ومسايرتها لحاجات الساكنة ومتطلبات العصر المستجدة، فهي لصيقة بالحياة اليومية المتغيرة والمتجددة للمجتمع الذي ظهرت فيه وخاضعة لتطور حياة الجماعة؛ ونظرًا لذلك فالألواح هي تعبير عن رغبة الجماعة وترجمة لما يجري فيها، ومن ثم تطورت في مضمونها وموضوعاتها وكذلك في عقوباتها تبعا لكثرة الجرائم وانتشارها، وتجدد الأغراض والمصالح التي يراد حمايتها وامتداد البعد عن نفوذ السلطة المركزية.

وقد تميز موقف أغلب سلاطين المغرب على العموم بقبول الأعراف وتحكيمها، فتم إقرارها ومزاولة الحكم بها؛ لأنها في نظرهم تساير روح الإسلام، فمن جهة تساهم في ضبط العلاقات الاجتماعية وتدبير الموارد وحفظ المصالح، ومن جهة أخرى تحافظ على استتباب الأمن والسكينة، ونبذ الفوضى في المناطق التي تعد بعيدة عن حكم السلطان والمخزن المغربي.

وفي هذا الإطار فأغلب الأعراف المحلية التي كانت لا تخالف الدين في جوهرها صادق عليها الملوك والسلاطين المغاربة باقتراح من أهل الدين كالعلماء والفقهاء والأشراف المحليين، كما هو شأن الظهير الحسني الذي أصدره السلطان الحسن الأول في شأن الأعراف السوسية، والذي أقر فيه السوسيين على عاداتهم وأعرافهم، واشترط على العلماء والأعيان والحكام منهم ألا يخرجوا على ما تقرر لديهم من الأعراف.

أما بالنسبة لموقف علماء المغرب فقد أثارت ظاهرة الأعراف القبلية من خلال توافقها أو تعارضها مع الشرع نقاشا وسجالا فقهيا اختلفت وتباينت حوله مواقف العلماء والفقهاء بين مؤيد ومعارض، وأخرى وسط بين هذا الموقف وذاك، هذا النقاش الذي بلغ أوجه في القرنين ١٦ و١٧م حول علاقة العرف بالشرع.

ووعيا منا بضرورة وأهمية القانون العرفي لدى المجتمعات القبلية كتراث متنوع الروافد على مستوى التنظيم، سنحاول في هذه الورقة قدر الإمكان إعطاء لمحة عن الإطار التاريخي والسوسيوثقافي اللذين كانا وراء ظهور وتطور الأعـراف، لتصبح ليس فقط مصدرا ثانويا

أهمية الأعراف السوسية في تنظيم الشؤون القبلية وموقف سلاطين وعلماء المغرب منها

واحتياطيا في التشريع المغربي، بل مصدر أصليا وأساسيا لدى المجتمعات القبلية، مع البحث في مصدر قوة سلطة هذه الأعراف كدستور ضابط ومنظم للشأن العام للمجتمعات القبلية التي تتخذه كمصدر قانون لها، وكذا الإشارة إلى دور هذه القوانين العرفية لدى المجتمع القبلي بسوس في تدبير الشؤون العامة، إضافة إلى إثارة النقاش حول موقف سلاطين وعلماء المغرب من هذه الأعراف.

ـ الإطار المفاهيمي للعرف ومزاياه:

دفع بعد القبائل عن السلطة المركزية وتقلص نفوذ المخزن بالبادية المغربية بالخصوص، وكذا حالة الفوضى وعدم التنظيم الذي ميزها، إلى سنها لمجموعة من القوانين الوضعية التي ابتكرتها لتنظيم علاقاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والحفاظ على أمنها واستقرارها الداخلي والخارجي، وهي ما يسمى "بالأعراف" التي أصبحت واقعا عاشته المجتمعات القبلية، وحضرت كأساس في تنظيم حياة سكانها الذين يمتثلون لبنودها وأحكامها بحكم مشروعيتها التي تستمدها من القبول العام، والتي يدعمها الجزاء المترتب عن مخالفة قواعدها.

ا ـ مفهوم العرف:

أ - لغة:

يطلق لفظ العرف على الشيء المعروف المألوف المستحسن، والعرف بالضم هو الجود، والعارفة والمعروف هو كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه[١]، والأعراف سورة من سور القرآن الكريم، وسميت بذلك لورود لفظة الأعراف فيها. والعريف هو القيم على أمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلبي أمورهم، والعرافة عمله، وعرفاء القوم رؤساؤهم[٢].

ب - اصطلاحا:

العرف أو الأعراف في اصطلاح الفقهاء هي كل ما تعارف الناس عليه، وقد عرفها الجرجاني بقوله: "ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول، وهو حجة أيضا لكن أسرع إلى الفهم، والعرف هو العادة التي تعني ما استمر الناس عليه على حكم العقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى"[٣].

وقد احتفظ عمر الجيدي بنفس تعريف الجرجاني لكنه أضاف إليه صفة موافقته للنص الشرعي الصريح بقوله: "ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول، بشرط ألا يخالف نصا شرعيا"[٤].

أما المعنى القانوني للعرف فهو "مجموعة من القواعد المستمدة من العادات اليومية المألوفة لدى الناس في بيئة اجتماعية معينة، وتتكون بشكل تلقائي ثم تتحول إلى نوع من الإلزام الأخلاقي والقانوني دون أن يستند إلى سلطة شرعية، فيحظى بالاحترام من طرف الجماعة، ويصبح له قوة قانونية إلزامية"[٥]. وهو كذلك "درج الناس على سلوك معين في مسألة معينة زمنا طويلا مع اعتقادهم بقوته الملزمة وبأن مخالفته تستتبع جزاء ماديا"[٦].

وبهذا المعنى القانوني يعد العرف من أقدم مصادر القانون، وبخاصة أن قواعده القانونية كانت شفوية تناقلتها المجتمعات جيلا عن جيل وجماعة عن أخرى، بحيث أن القواعد المكتوبة المنافسة للعرف لم تظهر إلا مع تمدن المجتمعات ووصولها درجة من الرقي[٧]. وبذلك فهو تعبير عن إرادة المجتمع؛ أي إرادة الجماعة وليس

إرادة السلطة الحاكمة، وإفراز لواقع معاش ولضرورة يومية ملحة لمواجهة تطور وتجدد حاجات ومتطلبات أفراد المجتمع.

وفي المغرب كان للعرف أهمية كبرى، إذ شكل مصدرا من مصادر القانون الوضعي بالمغرب، ومصدرا رسميا من مصادر القانون بعد التشريع، ويرتبه المشرع المغربي في المرتبة الثانية بعد التشريع، ورغم أن العرف فقد مرتبته لصالح هذا الأخير، فأهميته كمصدر مهم من مصادر القانون المغربي تتجلى في كونه هو الذي يسد النقص الحاصل في الأمور التي يفوت المشرع تنظيمها، باعتبار التشريع لا يستطيع الإحاطة بكل أمور الجماعة وبخاصة في المجال التنظيمي[٨]؛ ولذلك تفطن المشرع المغربي إلى ما من شأنه أن يشكل ثغرة في التشريع، وجعل من مهمة العرف سد الثغرات؛ ليعد بذلك العرف مكملا ومعاونا للتشريع[٩].

كثيرة هي الأسماء المرتبطة للدلالة على لفظة العرف بتنوع النطق بها في البوادي المغربية، لكنها في الأصل تدل كلها على مفهوم واحد، لا من حيث معناه أو وظيفته أو مكانته الإلزامية والقانونية المنظمة للشأن العام للمجتمعات القبلية. فالعرف عند القبائل الصنهاجية يدعى "بأزرف"[١٠] والذي يعني التقدم والزيادة، وعند سكان الأطلس المتوسط "بأبريد وأغراس"؛ أي الطريق المستقيم، و"بتعقيدين" عند قبائل الأطلس الكبير، و"الألواح" في بلاد سوس، وأخيرا يستعمل مصطلح العرف والديوان والشروط[١١] في كل البوادي الناطقة بالعربية. وعموما فقد غلبت كلمتا "العرف والألواح" في تسمية القوانين المحلية في الجنوب المغربي بصفة عامة[١٢].

٢ ـ مزايا العرف:

أ - أقسام العرف:

ينقسم العرف في الفقه الإسلامي إلى أقسام عدة لاعتبارات ثلاثة؛ هي:

- فمن حيث مظهره ينقسم العرف إلى قسمين هما:

- العرف القولي: وهو ما تعارف عليه الناس في بعض ألفاظهم، ويراد به معنى غير المعنى الموضوع له، كتعارف الناس إطلاق اللحم مثلا على غير السمك[١٣].
- العرف العملي: وهو ما تعارف عليه الناس في أعمالهم، كالبيع بالتعاطي، وتقسيم المهر إلى معجل ومؤجل مثلا[١٤]

- أما من حيث مصدره فينقسم إلى قسمين؛ هما:

- العرف العام: وهو الذي يكون فاشيا ومنتشرا ومعلوما بين جميع الناس في أمر من الأمور.
- العرف الخاص: وهو الذي يكون مقتصرا على بلد معين دون آخر، أو مخصوصا بفئة من الناس دون أخرى.

- كما ينقسم العرف من حيث ارتباطه بالشرع إلى قسمين:

- العرف الصحيح: وهو المتعارف عليه بين الناس، ولا يتناقض في أحكامه مع أصول ومبادئ الشريعة الإسلامية.
- العرف الفاسد: وهو ما تعارف عليه الناس وكان مخالفا للشرع.

ب - شروط العرف:

اشترط الفقهاء في العرف لكي تصبح له قوة الإلزام والنفوذ والاعتبار، ولكي يعتد به دليلا في

بناء الأحكام عليه، شروطا لابد من توفرها فيه وهي:

- الاطراد والغلبة: أي أن يكون عاما منتشرا بين أهله معروفا عندهم، وثابتا مستمرا
- ألا يكون مخالفا لنص شرعي: أي ألا يخالف أصول وأحكام الشريعة الإسلامية
- ألا يخالف العرف شرط المتعاقدين: أي العمل على خلاف ما جرى عليه العرف في التعامل والتعاقد بينهما[١٥]؛ لأن الأساس أن العرف يكمل إرادة المتعاقدين ولا يخالفها.
- قدم العرف المراد تحكيمه: أي أن يكون العرف المستند إليه سابقا ومقارنا لزمن الشيء الذي يحمل عليه، موجودا قبل إنشاء التصرف أو العقد الذي يراد فيه الاحتكام إلى العرف لا بعده[١٦].

ج - مميزات العرف العامة:

يعد العرف من أقدم مصادر القانون؛ لذا فهو يتمتع بجملة من المميزات نورد أهمها كما يأتي:

- **التنوع والاختلاف:** فالعرف يتميز بتنوعه واختلافه من منطقة لأخرى ومن قبيلة لأخرى وليس ثابتا موحدا، وهذا ما يوضحه أحمد التوفيق بقوله: "... ومعلوم أن هذه الأعراف المسماة "بإزرف" وإن كانت لها سمات مشتركة، لم تكن موحدة لا بين القبائل ولا داخل قبيلة واحدة"[١٧].
- **المرونة والاستيعاب:** أي أن العرف قابل للزيادة والإضافة في بنوده وأحكامه حسب ما تمليه الظروف المستجدة، وكذلك قدرته على استيعاب وتمثل كل ما هو جديد من قضايا ومسائل واحتوائها من خلال إيجاد حلول لها، ومن ثم فالعرف يساير المجتمع في ارتقائه ويساعده على التطور.
- **الارتباط الوثيق بالوسط المحلي:** فالعرف ينبع من واقع المجتمع الذي ينشأ فيه، ويتضح ذلك من خلال التعبير عن القضايا المطروحة واستعمال المصطلحات المحلية الخاصة بالمجتمع الذي أنشئ وخلق فيه، معبرا عن احتياجات الساكنة المحلية، منسجما مع طباعهم، ومسايرا لأحوالهم وعوائدهم الخاصة.
- **التنظيم:** فالأعراف تشكل محور التنظيم الداخلي بالنسبة للمجتمعات القبلية، سواء في ضبط العلاقات الاجتماعية أو فيما يهم تنظيم الموارد والمرافق الاقتصادية والتسيير السياسي.
- **التغير والتحول:** ليس هناك ديمومة كاملة للأعراف، بحيث أنها تساير ما تأتي به الظروف من مستجدات ومتغيرات، وبذلك فهي تتغير ولا تبقى على حالها رغم صفة إلزاميتها في التطبيق وتوارثها بين الأجيال، من هنا تأتي فعاليتها في التنظيم لكونها رهينة بتطور المجتمع ومعالجتها للقضايا المطروحة المستجدة والراهنة، ومن تم فالأعراف هي عرضة للتبدل بتبدل الأحوال والأزمان، وهو ما يوضحه ابن خلدون بقوله: "تتبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل العصور ومرور الأيام، ذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر (...) سنة الله التي خلت في عباده"[١٨].
- **الحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية:** ومن المميزات الأساسية للأعراف القبلية أنها

مرتبطة بالشرع في جل بنودها، وحرصها على التمييز في بعض القضايا بين الحلال والحرام، رغم أن هذا لا ينفي تعارض بعض أحكامها مع الشرع.

ورغم أن العرف لا يزال يعد في المغرب في العصر الحالي مصدرا رسميا للقانون، فهو مصدر احتياطي يكمل ما في التشريع من نقص، وذلك من منطلق أن إحاطة المشرع بكل شيء يكون أمرا متعذرا[١٩]، إلا أن أهمية العرف كمصدر للقانون قلت اليوم في المغرب بالنسبة لما كانت عليه في الماضي، وذلك بفعل انتشار التشريع، وإن لا يزال له مجال وحضور واسعين في تنظيم بعض المجالات.

٢ ـ سجلات الأعراف:

وهي مدونات أو كتب الشروط تدون فيها الأعراف التي يتوارثها الناس، وتنظم كل جوانب الحياة العامة للمجتمعات القبلية، وتحوي بنود الأوفاق العرفية على عقوبات زجرية ونصوص قانونية منظمة ومؤطرة، تعالج مشاكل وقضايا يومية تهم مصلحة الفرد والجماعة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأعراف المنظمة للشأن العام للقبيلة لما تتضمنه من تعيين للمكلفين بتدبير الشأن العام ومن عرض للقضايا والمشاكل وسرد للعقوبات الخاصة بكل جرم وغيرها، قابلة للتغير والتحول في أحكامها وبنودها حسب تجدد الحاجات والمصالح. وهي سجلات موجودة لدى شيوخ القبائل والذين يجتمعون بمعية أعيان الجماعة في دار القبيلة أو مسجدها لإضافة حكم جديد يسجل في كتاب الشروط[٢٠]. وتنقسم هذه السجلات باختلاف المناطق - وهي بالجنوب المغربي - إلى قسمين:

أ - الألواح:

الألواح عبارة عن قوانين وقواعد زجرية صارمة مكتوبة على شكل فقرات وبنود بلغة عربية مبسطة أقرب إلى العامية وممزوجة بمصطلحات أمازيغية، وهي من وضع القبائل قصد تدبير شؤونها الداخلية والحفاظ على أمنها الداخلي[٢١]، باعتبارها وحدات أساسية في النظام الاجتماعي لضمان الحق والعدل ومنع الفوضى والنزاعات.

وقد استفاض محمد العثماني في تعريف الألواح واعتبرها بمثابة مجموعة من القوانين تحتوي على إجراءات تتعلق بعقوبات مالية، يعاقب بها كل من صدرت منه مخالفة من المخالفات التي تمس شرف الإنسان أو ماله أو بدنه، أو تعرض الأمن الداخلي أو الخارجي للخطر، مع بيان كل مظاهر الجريمة وجزائها في جميع تطوراتها[٢٢]، وتكتب الألواح بحضور مقدمي الجماعة وهم المسمون "بإينفلاس" في سوس، وقد يحضر كتابتها إمام المسجد أو فقيه المدرسة أو شاهد عدل القرية. ويصنف محمد العثماني الألواح إلى ثلاثة أنواع:

- نوع ينظم مرفقا في داخل قبيلة كأن ينظم ساقية الري وصيانتها والاستفادة منها، أو من عيون الماء أو حراسة الغلات والثمار وجنيها أو ادخارها في حصن الجماعة أو استغلال المطاحن التي تدور بماء الساقية أو النهر، أو استغلال معاصر الزيت أو تنظيم رعي الماشية بالتناوب، أو تنظيم الأسواق الأسبوعية أو الموسمية أو أن الطرق، أو العرف في التعامل مع أحياء سكنى اليهود أو رعاية المساجد والزوايا والأضرحة.

- نوع ينظم حياة قبيلة في مختلف جوانبها، فهي ألواح جامعة تنسب إلى القبائل، ومن نماذجها لوح ماسة ولوح إفران (سوس) ولوح إكونكا.
- نوع ينظم علاقة التحالف أو التصالح بين قبيلتين أو أكثر.

ويضاف إلى بنود اللوح ما تقتضيه الضرورة، وهي بصفة عامة تحدد واجبات الأفراد نحو الجماعة في شأن ما يهم الحياة الزراعية أو التعاضد أو الدفاع، كما تحدد الجنح والجنايات وما يترتب عنها من العقوبات، وهي تتراوح بين أداء اليمين وإعطاء غرامة مالية تسمى "النصاف"؛ أي الإنصاف، وقد ينص فيها على استقبال إنفلاس في ضيافة أو على تخريب دار الجاني أو مصادرة أمواله أو نفيه من أرض القبيلة، ومقاصدها في الجملة هي توزيع منظم للخدمات ولاستغلال المجال الزراعي والرعوي وحفظ أمن الأشخاص والممتلكات، ولا يخلو تطبيقها من تجاوزات قد يستفيد منها القائمون عليها وهم الشيوخ والأعيان أو العرفاء (إنفلاس).

يسري قانون الألواح على كل فرد داخل الجماعة، ويتسم بنوع من القداسة[٢٣]؛ حيث يجب على كل الأفراد التقيد بقوانينه والخضوع لأحكامه امتثالا وتطبيقا، وكل من ارتكب مخالفة أو شذ عن قواعده يعاقب طبقا للعقوبات التي تقررها الجماعة. واتسمت أعراف الألواح بالمحلية في بعض جزئيات أحكامها باختلاف القبائل والمناطق، كما اختلفت في الاسم الذي عرفت به، فقد سميت أيضا بالعرف أو الديوان أو القانون أو الشروط[٢٤]. ويطلق اللوح في الأمازيغية على العقود والالتزامات المنظمة لمختلف شؤون الحياة العامة، خصوصا وأن العرف كتب قديما بمنطقة سوس في اللوح[٢٥].

وقد انتشرت الألواح بصفة عامة في الأصقاع السوسية وفي منطقة جزولة بصفة خاصة، ويؤكد العثماني أن أقدم لوح تم العثور عليه - رغم اعتقاده الجازم أن هناك من هو أقدم منه - هو لوح أكادير "أجاريف" المؤرخ بـ٩٠٤هـ/١٤٩٨م، ثم بعده لوح مسجد الخروبة بأيت وفقا المؤرخ بـ ٩٧٧هـ/١٥٦٩م[٢٦].

إن الأعراف المسجلة في الألواح نمت في القرون الأخيرة بسوس على مرأى ومسمع من الفقهاء الساهرين على تطبيق الشرع الإسلامي، وقد صار الفقهاء في بعض الأحيان من المحررين لتلك الألواح ما دام ما يرد فيها غير متناقض مع نص شرعي صريح، وفي بعض الأحيان يرد في اللوح نصح من الفقيه إلى العرفاء المنفذين للألواح كما ورد في لوح أيت وادريم: "وليكم وقوفكم (أيها العرفاء) مع الضعيف أكثر مما تقفون..."[٢٧].

وكان للفقهاء فضل تنمية الجانب الموافق للشرع في ألواح جزولة، وقد جاء ما يفيد ذلك في لوح ماسة ووقع النص في لوح آخر على أن "كل ما حكم به (الفقيه) وأفتى به لا يفتش فيه أحدا لا بالنفود ولا بالمضاد؛ لأنه أنفذه وأمضاه هو بينهما (بين الخصمين)"[٢٨]. وبقدر ما كانت تتقوى في القبائل القيادات الشخصية المعززة بالنفوذ المخزني ازداد تدخل السلطة في شؤون الجماعات وأشغالها وأحلافها وأحكامها، فضعفت بذلك الحاجة إلى إنتاج الألواح وصارت تنعدم شروط العمل بها وهو استقلال الجماعة القبلية في الممارسة "الجماعية" للأحكام.

كان القصد من سن ووضع هذه الألواح من طرف عرفاء القبائل أو "إينفلاس" هو ضمان الاستقرار وبخاصة في فترات ضعف

السلطة المركزية، من هنا اكتسبت صبغة الإلزام والالتزام وبخاصة أن من سنها سلطة تشريعية جماعية منتخبة من عموم القبيلة، مما ينفي عنها صفة الاستبداد[٢٩]، على اعتبار أن تنفيذها لا يتم إلا بعد نشرها على العموم ليصبح تنفيذها ساري المفعول بعد ذلك لتنظيم علاقات الأفراد والجماعات وحماية مصالحهم العامة.

ب - تيعقيدين:

تيعقيدين هي عبارة عن مجموعة من الأحكام والأعراف التي تدعى أيضا "بـأزرف"، وهو مصطلح شائع التداول بين القبائل الأمازيغية في الجنوب الشرقي المغربي وبخاصة عند قبائل أيت عطا واتحادية أيت يافلمان؛ أي عند ساكنة الأطلس الكبير وسجلماسة[٣٠]، وهي أيضا تسطير القواعد التقليدية الموروثة عن الأجداد، فكلمة "تيعقيدين" مأخوذة من لفظ العقد بمعنى الوثيقة؛ أي الاتفاق والميثاق بين المجموعة القبلية لخدمة الصالح العام، وتهم هذه الأعراف مختلف جوانب الحياة اليومية، فهي تشمل الملكية والحيازة الزراعية وتنظيم الانتجاع والسقي والحرث وجني الثمار، والضيافة والكرم، والغزو والثأر ومعاملة الأسرى، وكذلك طريقة التعامل مع أمر العائلة وقضايا الشرف والعرض والعار وضبط العلاقات مع الأجانب عن القبيلة وغير ذلك من الممارسات اليومية[٣١].

أما مصطلح "تيعقيدين" فيطلق مجازا على المجلس الذي يسهر على تطبيق القوانين العرفية[٣٢]، كما يطلق كذلك على المدونة التي تجمع الأعراف والشروط العرفية المتفق عليها والمسماة "بـأزرف"، والتي تعد بمثابة تجميع مرن للأعراف والتقاليد والأخلاق المتعارف والمتفق عليها عبر القرون، كما يمكن إغناؤها حسب وقائع جديدة أو من طرف "أمغار" وحكمته مع استشارة الحملاء، أما أنواعها فهي "تعقيط حلف وتعقيط قبيلة وتعقيط قصر وتعقيط زاوية"[٣٣].

ورغم اجتماع الأعيان أو أهل الحل والعقد لتدوين شروط "تيعقيدين" وإعطائها طابع المشروعية والاتفاق، وجمعها في شكل مدونات يطلق عليها نفس الاسم، فإنها مقارنة مع الألواح تمتاز بغلبة طابع الشفوية عليها، وهي قليلا ما تكون مدونة بحيث يتم حفظها وتنتقل شفويا بين الأجيال[٣٤]، وهذه الخاصية هي المسؤولة عن الاختلافات في تطبيقها من منطقة إلى أخرى.

وقد كتبت الباحثة المغربية رحمة بورقية بحثا حول عرف "تيعقيدين" جاء فيه: "ينبغي ألا نفسر العرف بكونه نظاما قانونيا متعارضا مع الشرع كما لجأ إلى ذلك البحث الاستعماري الذي قسم المجتمع المغربي إلى ازدواج: المخزن - السيبة / العرب - البربر / الشرع - العرف، بقدر ما هو تقنين لحياة اجتماعية وسياسية خاصة وللتناقضات التي تتخلل هياكلها، لذلك يستمد العرف - على الرغم من تأثره بالشرع - عناصره الضرورية من التعبير عن الحياة الاجتماعية والسياسية لهذه القبائل"[٣٥].

- الإطـار التاريخـي والسوسـيوثقافي للعرف:

١ - الإطار التاريخي للعرف:

ترتبط دراسة تاريخ الأعراف بشمال إفريقيا عامة والمغرب خاصة بكثير من الغموض والالتباس نتيجة لما يأتي:

- نـدرة المصادر وقلة المعلومات والآثـار التاريخية المتعلقة بأعراف المجتمعات القبلية.

- غالبية الدراسات أجنبية ويطغى عليها البعد الذاتي والأحكام الجاهزة ذات النزعة الاستعمارية.
- جل تفسيرات الباحثين والمؤرخين قائمة على افتراضات ضنية عامة خاصة بالنسبة للتاريخ القديم وعلاقته بالأعراف.
- الافتقار إلى معطيات مادية علمية وملموسة (لقى، حفريات،...) والتي من شأنها أن تساعد في فهم بعض أعراف وعادات المجتمعات القبلية.

ورغم ذلك فإن غالبية هذه الدراسات القليلة الموجودة والافتراضات المطروحة ترجع أعراف المنطقة إلى ماض سحيق؛ حيث تشكلت مع أولى الهجرات البشرية القادمة إلى المنطقة، والتي امتزجت مع السكان الأصليين مشكلة تراثا وإرثا ثقافيا متنوعا.

يعد العرف من أقدم القوانين الاجتماعية المنظمة لمختلف الشعوب، لكن مع ظهور الدولة بمفهومها الحديث بدأ دوره يتقلص كمصدر رسمي لصالح التشريع والمصادر الأخرى؛ حيث تم الاستغناء عنه وحل محله القانون الوضعي، فالعرف سواء كان مكتوبا أو شفويا فهو مصدر السلطة داخل القبيلة والدستور المنظم لها.

مع دخول الدين الإسلامي للمغرب في منتصف القرن الأول للهجرة ظل المغاربة أوفياء لأحكام الشريعة الإسلامية، التي يتولى الحكم بها، وفض المنازعات في ضوئها القضاة الشرعيون في بوادي المغرب وحواضره، وفق ما يستجيب للمصالح ويدرأ المفاسد ويسد الذرائع ويجلب التيسير ويرفع الحرج، وقد شكل هذا الحدث منعطفا مهما في تاريخ الأعراف الأمازيغية، بحيث كان من الطبيعي أن تتأثر بعض جوانبها وقضاياها الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، بل والعلاقات والمعاملات الفردية والجماعية بفعل هذا المعطى الجديد، لكن النقص والندرة الحاصلين في النصوص العرفية لفترة القرون ١٣ و١٤ و١٥ بالخصوص لا تسعف الباحث في الفهم العميق لدرجات تغير هذه التشريعات المحلية من جراء دخول الإسلام وتشريعاته، وكذا بدخول المجموعات العربية الأولى كبني معقل وبني حسان إلى منطقة الجنوب الشرقي خصوصا، وما يدل على هذا التأثر إطلاق أسماء عربية على الأعراف "كاللوح وتعقيدت" من العقيدة وغيرها من الأسماء، غير أنه يجب التذكير بالمقابل أن الدول التي تعاقبت على المغرب تأثرت كذلك بالعرف الأمازيغي، ويظهر ذلك جليا من تباين مواقف السلاطين حولها سواء من حيث الأخذ ببعضها أو رفضها كليا.

لقد عرف المغرب القوانين العرفية منذ زمن طويل واعتمدها الأمازيغ عامة، وكانت بداية التعامل بالأعراف الأمازيغية رسميا عند بعض الدول وبخاصة مع المرابطين والموحدين والمرينيين، واقتصر مجالها على البادية المغربية البعيدة عن النظام المخزني، وغلب عليها طابع التداول الشفوي إلى أن دونت فيما بعد، وسجل التاريخ محطات كبيرة في مسار هذه التشريعات، تميزت المحطة الأولى ببداية تدوينها بالعربية مع دخول الإسلام والمسلمين للمنطقة، أما المحطة الثانية فكانت مع توسعات أحكام المخزن المركزي خلال القرون ١٧ و١٨ و١٩، قبل أن يخضع المغرب إلى التشريعات

الأوربية (الفرنسية) وبخاصة بعد فرض الحماية عليه في ٣٠ مارس ١٩١٢م.

٢ ـ الإطار السوسيوثقافي للعرف:

يعد القانون العرفي المحور الأساسي لتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين أفراد هذا المجتمع؛ لأنه يعبر عن إرادة الجماعة في تسوية الخلافات وتقنين الوقائع بوسائل قانونية من أجل المحافظة على التوازن والسلم الداخلي والخارجي، فهو القانون الذي يؤطر المجتمع ويحدد سلوك أفراده ويدفع بهم تجاه تصور عام ورؤية شمولية تجسد طريق الجميع، ولهذه الأهمية تظهر مكانته في ضبط حياة المجتمع القبلي في كل المجالات.

أ - المكانة الاجتماعية للعرف:

يعبر العرف عن وجود نظام اجتماعي عام ثابت ومستقر في حياة المجتمعات القبلية، وذلك من خلال تنظيمه وتقنينه للعلاقات الاجتماعية سواء بين الأفراد أو الجماعات داخل القبيلة أو في إطار التحالف القبلي، فهو يقنن مجال التعامل ويضبطه عن طريق بنود ردعية وزجرية تحدد مجال التعايش والتساكن وتنبذ الفوضى.

ب - المكانة الاقتصادية للعرف:

يتضمن العرف الأمازيغي خصائص اقتصادية تعكس البيئة الاقتصادية للمجال الذي ينظمه، لهذا ينزع إلى ابتكارات واجتهادات وحلول متميزة للقضايا التي يعالجها في هذا الميدان حسب طبيعة المناخ الجاف، كما هو الشأن بالنسبة للتنظيم العرفي في مجال ملكية الأرض وتوزيع المياه؛ حيث نظم العرف القبلي وقنن حقوق الملكية والإدارة العقارية للأرض والماء؛ لأن تدبيرهما موكول إلى سلطة الجماعة القبلية التي تسهر على تساوي الحقوق أثناء التوزيع وتنظيم أساليب التحكم، استنادا إلى ضوابط وقواعد يتقيد بها الجميع، مقننة بعقوبات زجرية لكل من حاد عن احترامها وعدم التقيد بمضامينها.

ج - المكانة السياسية للعرف:

لقد خلق العرف مجالا للتدبير السياسي في المجموعات الأمازيغية من خلال السلطة الموزعة بين ثلاث زعامات: سلطة الشيخ (أمغار) وسلطة الجماعة (جماعة القصر) وسلطة المزاوير (إينفلاس)، أما في مستوى أكبر فالقبائل تنتظم في إطار تجمعات كبيرة تسمى "اللف"، وهما في الغالب لفان يحفظان التوازن السياسي والأمن على مستوى جغرافي كبير.

يعد هذا التوزيع للسلطة مهما في النظام السياسي، إذ يجعل الحكم غير استبدادي، أكثر من ذلك أن التعيين في السلطة لا يتجاوز سنة واحدة، وكان الهدف من هذا النوع من الحكم الذي لا يتولى فيه الشخص الزعامة أكثر من سنة منع ظهور حاكم مستبد بالسلطة من بين الأعيان وحتى داخل القبيلة الواحدة نفسها؛ لأن المجتمع يرفض ظاهرة السيطرة والاستبداد والتحكم كمبدأ اجتماعي، ومن ثم فالشؤون العامة للمجتمعات القبلية تسير بنوع من المبادئ الديموقراطية، تلعب فيه سلطة الجماعة دورا أساسيا في تنظيم الحياة العامة للإنسان في المجال، لكونها السلطة المخولة في وضع القوانين العرفية والوقوف على تفعيلها وسريان بنودها تدبيرا وتطبيقا.

ـ السياق التاريخي لظهور نظام إينفلاس بسوس:

بناء على ما كانت تعيشه منطقة سوس خلال مراحل من تاريخ ضعف الدولة المركزية

كانت القبائل تسعى إلى تأليف "هيئة إينفلاس" التي تشرف على ضبط الأمن العام عن طريق وضع ما اصطلح عليه "بالألواح" يحكمونها في مجال القانون الجنائي الخاص، هذه الألواح هي ضوابط وقوانين رسموها وينتهون إليها عند وقوع حادث، "إنها مؤسسة جلها على العقوبة بالمال في حق من صدرت منه مخالفة تمس شرف الغير أو ماله أو جسمه أو تقلق الأمن العام"[٣٦].

وقد وصفها الحسن العبادي بقوله: "الألواح السوسية وتسمى الأعراف أو القانون أو الديوان عند بعض القبائل... تكتب على شكل فقرات بلغة مبسطة أقرب إلى العامية، والقصد منها تنظيم مختلف العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والقضائية والأمنية بين أفراد المدشر أو القبيلة أو مرفق اجتماعي مثل الطرق المسلوكة أو السوق أو الموسم أو الغابة أو المدرسة العلمية أو المسجد أو الحصن (أكادير) أو شؤون السقي بالسواقي أو دولة الرعاة للبهائم أو الطواحين الهوائية أو المسافرين من وإلى القبيلة..."[٣٧].

ويشكل العرفاء الذين تختارهم القبيلة أو مجموعة القبائل هيئة أو مجلسا لم يصطلح عليه باللهجة المحلية "تانفلوست" وضعت شروط لعضويته ولطريقة عمله، والقبائل الجبلية في سوس عرفت نوعين من هذه المجالس، الأول "تانفلوست" وتخص القرية أو الدوار، والثاني "أمقون"؛ أي مجلس الحلف ويخص القبيلة أو مجموعة من القرى المتحالفة.

وبالنسبة لسياق ظهور نظام إينفلاس بسوس فيرجع إلى العامل السياسي بالخصوص، فنجد في "الفوائد الجمة" للتمنارتي (ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) وصفا لاضطراب الأحوال بعد موت المنصور السعدي الذي عاصره المؤلف، يقول في ذلك: "وفي هذه الجولة وصلني وفاة المنصور رحمه الله سنة اثنتي عشرة وألف فاختل بموته الأقوال وعمت الأهوال وسدت المسالك ومنعت السابلة وتتابعت الفتن السادلة وأنا أرفل بين ظفرها ونابها في حلل حفظ الله وأمانه..."[٣٨].

ويصف في مكان آخر من الكتاب رحلته إلى البادية: "سافرت من تارودانت لبلاد القبلة، فمررت ببلاد هنكيسة فكانوا يتحاكمون إلي، فإذا عرضت خصومة تتعلق بحصونهم التي أعدوها لحفظ أموالهم ـ وكانوا يبنونها على شواهق منيعة ـ قالوا: هذه إنما يحكم فيها ألواح الحصون"[٣٩].

وفي "روضة الأفنان" للأكراري (ت ١٣٥٨هـ/١٩٤٩م) حين تكلم عن تراجم الأعيان والعرفاء قال: "ومن عادة سوس الأقصى من وادي ألغس إلى الساقية الحمراء لخلوه من أحكام السلطان أن عينوا لمن يباشر أمورهم والفصل بينهم عوارف يسمونهم النفاليس..."[٤٠].

وفي "إليغ قديما وحديثا" يذكر المختار السوسي (ت ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) عن أحوال بلدته إيليغ بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل بسنين: "... فإن الجنوب ـ مراكش فما وراءها ـ قد ظهر بمظهر آخر استردت فيه الحكومة قوتها منذ تولي ولي العهد... على إدارة تلك الجهة... وسرعان ما صفا له كل الحوز إلى أسفي إلى حاحة، وأوقع بالطالب صالح المستبد بمرفأ أكادير... ثم انتظمت الأمور من ذلك العهد إلى أن انقضى القرن الثاني عشر"[٤١].

وفي الجزء الأول من "المعسول" قال عن

حال القضاء في أحواز تزنيت آخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين: "... والقضاء غير منتظم ـ ومتى لأمثال تلك القبائل إذ ذاك تنظيم في شؤونهم الخاصة فينتظر منهم ذلك في شؤونهم العامة ـ فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يفاوضون عليه..."[٤٢].

وبناء على النصوص التاريخية السالفة نخلص إلى أن قبائل البادية من سكان الجبال ـ غالبا ـ بحكم تعرضهم للإغارة من قبل غيرهم أو بعضهم خلال فترات ضعف الحكم يلجؤون إلى وضع هذه الألواح العرفية ضبطا للأمن العام، وقد تطورت هذه الألواح تبعا لتعدد الجرائم وكثرة الأغراض التي يراد حمايتها وامتداد عهود البعد عن نفوذ السلطة المركزية، فوجدت ألواح لحماية الأسواق والمواسم وضمان حرية الوصول إليها، وأخرى لتنظيم شؤون توزيع مياه السواقي والعيون، وثالثة للمعاقبة على الجرائم التي تمس الأموال والأنفس ولحماية المدارس وشيوخها وطلبتها. على أن الألواح التي يتخذها العرفاء "إينفلاس" ويسهرون على تطبيقها امتلأت بآراء العوام، ومن ثم ثار الجدل حولها من قبل طلبة العلم في القبائل نفسها، ولهذا كثر طلب الفتاوي في شأنها وشأن الامتثال لبنودها وبخاصة في الأحكام التي تخالف مقتضيات شريعة الإسلام مثل عقوبة هدم الدار أو قطع الأشجار التي سميت "إنصافا"، ومثل إلزام أقارب المتهم بأداء اليمين معه عشرات المرات، بل استفتى طلبة العلم السوسيون الذين درسوا في المدارس العتيقة المتفرقة وسط القبائل شيوخ العصر حتى في شأن تلك الذعائر المالية التي يعاقب بها على مختلف الجنايات والجنح، ويؤول مدخولها لأداء أجور أعضاء مجلس "تانفلوست".

ـ أهمية العرف في تنظيم الشؤون القبلية بالمجتمع السوسي:

إن حاجة الإنسان إلى قانون كيفما كان نوعه وطبيعته ومصدره يحمي حقه في الحياة، ويصون عرضه وماله من كل اعتداء يضر به، لا تقل أهمية عن حاجته إلى الماء والهواء والقوت، ومرد ذلك حاجة الإنسان إلى قانون يحتمي بظلاله ويضمن استمراريته لمواجهة متطلبات العيش الضرورية والتصدي لمشكلات الحياة المتجددة.

وهكذا فإن المجتمعات القبلية اعتمدت على العرف كقانون منظم لمختلف مرافق حياتها العامة، نبذا للفوضى والعنف وجلبا للأمن والاستقرار السلم، ضمانا للتقوية من الداخل حسب ما أشار إليه "شارل دوفوكو" في معجمه من أن وظيفة العرف "تقوية آليات التماسك والتضامن والتآزر من الداخل، وبخاصة كلما كان هناك شعور بما يهدد هذا التآزر وذلك التضامن والتماسك"[٤٣].

واعتبارا من أن النظام العرفي كان يستمد مقوماته من القيم الثقافية القديمة فإن جل أبوابه مرتبطة بطرائق تنظيم العلاقات وحسن تدبير موارد المجال، أو بالأحرى تحديد العلاقة بينه وبين الإنسان، ذلك أن العلاقة بين الإنسان وأمه الأرض تشكل نوعا من القرابة الدموية، إذ لا تصح ملكية شبر واحد من الأرض ومائها ما لم تظهر بالدم البشري.

عندما نتحدث عن التنظيم القبلي فإننا نتحدث بالضرورة عن العرف (شفويا كان أم مخطوطا) باعتباره جزءا مهما في المنظومة التنظيمية المحكمة للقبيلة، ذلك أن إحساس أفراد القبيلة على

اختلاف مستواهم المعيشي وانتمائهم الاجتماعي بضرورة العيش المشترك لضمان استمرارية القبيلة يحتم عليهم التفاوض بشأن إقرار قانون ينظم حياتهم.

ولكون هذه القوانين العرفية كلها تنشد التنظيم والضبط وحماية المصالح وحسن تدبير الموارد انطلاقا من القاعدة الفقهية "جلب المصلحة ودرء المفسدة"، فالاعتراف والالتزام بها يبقى أخلاقيا قوة وجب التقيد بها، وذلك بالتشديد على طابعها الأخلاقي وتجذرها العميق في قيم وسلوكات ساكنة المجتمع القبلي أفرادا وجماعات، وبذلك فإنها على قدر كبير من الدقة من حيث الموضوعات التي تعالجها والقضايا الحياتية التي تتعرض بالتفصيل في تنظيمها، كالقوانين الجنحية والجنائية المرتبطة بحفظ الأمن، والأحوال الشخصية من زواج وطلاق، والمعاملات التجارية من بيع وشراء وكراء ورهن وتفويت، كما تضع بنودا ردعية وزجرية لتنظيم علاقات أفرادها وحماية مصالحها الاقتصادية والأمنية سواء فيما بينها أو بين الجوار، ونظرًا لذلك تعد قوانين متكاملة أو مسودات قوانين جاهزة.

ونظرا إلى أن القوانين العرفية قواعد وعادات وسلوكات مجردة وعامة، فإنها بناءا على ذلك تتطور دوما بتطور مجالها الموضوعي والمكاني والزماني والإنساني، وتتغير دوما بتغير القيم الاجتماعية التي تندمج فيها وتحميها، وكذا حسب الحاجات الضرورية والملحة للساكنة والتي تحتم عليها بشكل أكبر فاعلية الضبط والتنظيم.

إن هدف وضع القانون العرفي بالأساس كدستور منظم لدى المجتمع القبلي هو تحقيق الضبط الاجتماعي داخل مكونات المجتمع في السلوكات والمعاملات وتقنين علاقات أفرادها وتدبير مصالحهم الاقتصادية وحفظ الأمن، ولا يتحقق هذا الضبط إلا من خلال ربط علاقة مجتمع القبيلة بالقبائل المجاورة والبعيدة بموجب عقود شفاهية أو مدونة لتنظيم علاقة السلطة بمجتمعها الداخلي والخارجي تنظيما موصوفا يخضع إلى اتفاقات تحالفية وقانونية وعرفية، ولاشك أن سيادة مفهوم ومواد قوانين الضبط الاجتماعي العرفية قد تم في كل الأوقات، إما نتيجة لنبذ الفوضى واستتباب الأمن أو لضعف السلطة المركزية في مراحل متفاوتة من تاريخ المغرب.

وانطلاقا مما سبق فدراسة تاريخ العرف الأمازيغي (أزرف أو تعقيدت أو اللوح أو غيرها من الأسماء التي تطلق عليه) تكتسي أهمية خاصة لكونها:

- تتعرض لجوانب مضيئة من تاريخ التشريع المغربي.
- تسلط الضوء على أنماط النتاج الثقافي والاجتماعي والقانوني للمنطقة.
- تحدد طبيعة رؤية المجتمع المغربي عامة عبر التأريخ للذاكرة الجماعية.
- ترصد أهم القواسم المشتركة والجامعة للموروث الثقافي والقانوني للمغرب المتلاقح مع باقي الحضارات.
- تبيان دورها الرئيس في تنظيم مكونات المجتمع القبلي وحفظ الأمن والمصالح وتدبير الموارد، حسب خصوصيات مجال البادية المغربية القاسي والجاف، ومن ثم رصد لطبيعة التفاعل الإيجابي القائم بين الإنسان وبيئته.

ـ دور القضاء العرفي بسوس في تسوية النزاعات القبلية:

لم تكن هيئة إينفلاس بفعل ما كان يميز الأعراف ـ التي كانت تتخذ مرجعا لاستصدار الأحكام ـ من خاصيات في حاجة إلى اجتهاد كما هو الشأن بالنسبة للفقهاء[٤٤]، الأمر الذي يفسر انعدام إمكانية استئناف الحكم في القضاء العرفي، ذاك أن الاجتهاد في القضاء العرفي كان يتم في مرحلة سابقة لتدوين الأعراف، ولا يتعلق سوى بالحالات المنصوص عليها في الوفق العرفي لجماعة القبيلة، وحتى في هذه الحالة كانت الجماعة تقيد حرية التصرف التي تخولها لأعضاء مجلس "أيت الربعين" بجعل مجالها منحصرا في اختيار "أيت الربعين" لواحد من بين أشكال الردع المثبتة في الوفق المنظم للعلاقات داخل القبيلة. فبفعل وجود تشريع يوحد أعراف فرق القبيلة ومجلس "أيت الربعين" ممثلة فيه جميع فرق القبيلة، كان النزاع إذا انحصر داخل الفرقة الواحدة يحال على إنفلاس الفرقة، لكن في حالة انتماء طرفي النزاع إلى فرقتين من القبيلة يعرض على نظر مقدم "أيت الربعين" ليبث فيه بمحضر إنفلاس القبيلة.

وإذا كان تدوين الأوفاق العرفية قد يسر ممارسة إنفلاس لسلطتهم القضائية داخل القبيلة، فإنه كان يشكل عرقلة في حالة اختلاف الانتماء القبلي للخصوم، إذ يصبح الفصل أكثر تعقيدا بفعل وجود هيئتين قضائيتين، كل واحدة منهما تستند إلى تشريع جماعة قبيلتها في استصدار الأحكام، فالمسطرة التي كانت تتبع في مثل هذه الحالة تختلف بحسب وجود أو عدم وجود رابطة اللف بين قبيلتي الخصمين، فالقبائل التي كانت تربطها وحدة اللف كان يتولى البت في النزاعات التي كانت تنشب بين أعضائها جماعتا الخصمين بمقتضى الوفق العرفي لجماعة اللف[٤٥].

أما النوازل التي لها ارتباط بالمعاملات الخارجية عن نطاق الملكية العقارية فإنها كانت من اختصاص الأشياخ، وهم أعيان من القبيلة ينحدرون من أسر كانت تحتكر هذه المهمة إلى جانب مشاركتها في ممارسة السلطة التشريعية. تفيد الرواية الشفوية أنهم كانوا حكاما يقضون بين الخصوم في النزاعات التي تدور حول نوازل لم ترد في الوفق العرفي للقبيلة، ويتبين من النوازل التي ما تزال تردد في المجامع الباعمرانية كلما ذكر هذا الصنف من القضاء العرفي، أن الأشياخ كانوا بمثابة عرفاء يتحاكم لديهم استنادا إلى ما اشتهروا به من فطنة، وما اكتسبوه من خبرة واسعة بشؤون وسطهم، فهذه المؤهلات كانت تخول للأشياخ حق الاجتهاد في النوازل غير الواردة سلفا، بشكل يمكن التوصل معه إلى إصدار أحكام مقنعة كالكشف عن البيئة بالاستدلال المنطقي.

كما أن الإنصاف في الأوفاق العرفية فكان يقصد به ذعيرة نقدية كان يلزم بأدائها لأيت الربعين كل من خرق عرفا من أعراف القبيلة، وقد كان تحديد قدر الإنصاف تابعا لدرجة خطورة الجريمة، في حين أن "العشاء" معناه في الأوفاق العرفية ذعيرة بالمال العين، وقد كانت تتمثل في تقديم الجاني وجبة عشاء أيت الربعين، كان تحديد نوعها ومقاديرها يتم طبقا لعرف القبيلة.

لم يكن الضغط المادي الوسيلة الوحيدة لفرض احترام أعضاء القبيلة لما كانت تفرزه الجماعة من أعراف، وإنما كان يرافقه ضغط معنوي يتمثل في اليمين التي كانت الهيئة المشرعة في

القبيلة توليها أهمية خاصة كوسيلة من وسائل إقامة البينة، وتميز فيها الأوفاق العرفية بين اليمين الفردية التي كان يؤديها أحد أطراف النزاع أو من يكون عرضة لتهمة، وبين اليمين الجماعية التي كان يؤديها المتهم بمعية عدد معلوم من أقاربه، فاليمين كانت تجمع بين كونها وسيلة لإقامة البينة وبين كونها تزكية صادرة عن جماعة لشهادة فرد، ونظرا لخطورة الشهادة كركن من أركان تأسيس الحكم كانت الهيئة المشرعة تتشدد في معاقبة كل من يدلي بشهادة مزورة أو بتراجع بدون مبرر عن شهادة صدرت عنه.

وقد يتداخل الضغط المادي والمعنوي في فرض احترام الأوفاق العرفية، كما يستشف من كون الأسر التي كانت تخشى ضياع ممتلكاتها من جراء ابتلائها بعضو لم يكف عن خرق عرف القبيلة، كان بإمكانها عرفيا التنازل عن حق القرابة مخولة بذلك للجماعة إعدامه أمام الملأ رجما أو شنقا، فهذا الحكم استثنائي في القضاء العرفي، ويوجد في ما يطبعه من قسوة وتشهير ما يحمل على الاعتقاد في كون الجماعة كانت تمارس عبره ضغطا معنويا يصعب تجاهل آثاره في مجتمع تحتل فيه القرابة مكانة بارزة، ويرى في رفض القيام بواجب القرابة لا سيما الدموية منها عارا ومذلة.

ـ تباين المواقف حول الأعراف القبلية بسوس:

لا شك أن الأعراف القبلية تبين إلى حد كبير مختلف مراحل التطور التاريخي التي مرت بها بعض القبائل البعيدة عن نظام الحكم المركزي لتنظيم شؤون حياتها العامة، وعلى الرغم من أن هذه الأوفاق العرفية في إطار القانون العام قد وضعت لتنظيم الحياة اليومية على أسس متينة ومرنة في آن واحد لضمان استمرار حالات التوازن الاجتماعي واستتباب الأمن والاستقرار السياسي بين مختلف ساكنة القبيلة، فإنها باعتبارها ضوابط منظمة وقانون مكتوب يخضع له الجميع، يجعلنا أمام إشكالية مشروعية هذه القوانين والشروط التي تضعها الجماعة، والتي تعد ملزمة لكل فرد من القبيلة، فهل هذه الأعراف تتعايش مع الشرع أم هي في تعارض معه؟

أثرت دراسة المواقف حول العرف والقوانين المخزنية من جهة، والعرف والشرع من جهة ثانية اهتمام عدد من الباحثين من حيث تعارضها أو تعايشها مع القوانين المخزنية وتعاليم الشرع، فهناك من يراها خروجا عن الإسلام وهناك من يعدها عادة جاهلية.

ا ـ موقف سلاطين المغرب من الأعراف السوسية:

تميز موقف أغلب سلاطين المغرب على العموم بقبول الأعراف وتحكيمها، فتم إقرارها ومزاولة الحكم بها؛ لأنها في نظرهم تساير روح الإسلام، فمن جهة تسهم في ضبط العلاقات الاجتماعية وتدبير الموارد وحفظ المصالح، ومن جهة أخرى تحافظ على استتباب الأمن والسكينة، ونبذ الفوضى في المناطق التي تعد بعيدة عن حكم السلطان والمخزن المغربي.

وفي هذا الإطار فأغلب الأعراف المحلية التي كانت لا تخالف الدين في جوهرها صادق عليها الملوك والسلاطين المغاربة باقتراح من أهل الدين كالعلماء والفقهاء والأشراف المحليين[٤٦]، كما هو شأن الظهير الحسني الذي أصدره

المولى الحسن في شأن الأعـراف السوسية، والذي أقر فيه السوسيين على عاداتهم وأعرافهم، واشترط على العلماء والأعيان والحكام منهم ألا يخرجوا على ما تقرر لديهم من الأعراف[٤٧]. وأخذ السلطان بأعراف القبائل بسوس لم يتأتى إلا بعد أن وثق من أنها لا تتناقض مع الدين، فسمح بتطبيقها رسميا، وقبله هناك من السلاطين المغاربة من سبقه لإقرار القبائل على عاداتهم وأعرافهم كما هو الشأن لأحمد المنصور السعدي الذي أقر بدوره هذه الأعراف وأوصى ولاته باحترامها والمحافظة على ما عهد لدى القبائل من عادات وأعراف، واستمرت جارية عندهم بحيث لا تخرق لهم، ولا تغير حالة من أحوالهم في قليل الأشياء وكثيرها.

لم يكن المخزن المغربي يهتم بشكل كبير بتلك الأعراف بقدر ما كان يهمه بسط سيطرته على القبائل التي سنتها، وسيادة الأمن لديها وخضوعها وامتثالها للسلطان وللمخزن المركزي عن طريق دفع الجبايات، ويذكر المختار السوسي "أن ملوك المغرب ورؤساءه حملوا الحملات العسكرية على مختلف القبائل لإخضاعها لأداء النائبة، والاستسلام لتنفيذ الأوامر الحكومية، لكنهم لم يهتموا قط بأن يحدثوا ثورة في هذه العادات الجاهلية، وإصلاح أحوالها"[٤٨].

إن هذا القول يبين بجلاء بأن سلاطين المغرب لم تكن لهم معارضة لأعراف القبائل المحلية؛ لأنها في نظرهم تساير روح الإسلام ولا تخالف في جوهرها تعاليم الدين، وهو ما عبر عنه المولى سليمان في رسالة وجهها إلى أعيان فاس جاء فيها: "احفظوا هذه الوصية واحذروا فإن الدين نصيحة، اللهم أشهد فإن أردتم أمن أنفسكم يا أهل فاس، فادخلوا حلف البربر، فإن لهم قوانين ومروءة تمنعهم من الظلم ويقنعون بالكفاف"[٤٩]. ومن ثم فسلاطين المغرب أقروا العمل بأعراف القبائل البعيدة عن سلطتها، وبخاصة أنها تدين بالولاء لهم عن طريق دفع الضرائب والامتثال لأوامر المخزن المركزي.

وقد تأسست في بداية القرن العشرين محاكم عرفية بينها تسعون محكمة عرفية ابتدائية وسبع محاكم استئنافية، وذلك بموجب مجموعة من الظهائر (ظهير ١١ ـ ٩ ـ ١٩١٤، ظهير ١٩٣٠، ظهير ١٩٣٤)[٥٠]، إلا أن هذا التنظيم العرفي ألغي مع بداية عهد الاستقلال بموجب ظهير ٢٥ غشت ١٩٥٦، والقاضي بإحداث محاكم شرعية في القبائل ذات العرف سابقا، وبصدور مدونة الأحوال الشخصية التي حلت محل الأعراف المخالفة للشرع الإسلامي[٥١] تم تصنيفها وتدوينها خلال سنة ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م، وذلك في إطار مشروع تصنيف وتدوين أحكام الفقه الإسلامي في مجموعات تيسر مأمورية القضاء في الرجوع إليها.

٢ـ موقـف علمـاء المغـرب مـن الأعـراف السوسية:

أثـارت ظاهرة الأعـراف القبلية من خلال توافقها أو تعارضها مع الشرع نقاشا وسجالا فقهيا اختلفت وتباينت حوله مواقف العلماء والفقهاء بين مؤيد ومعارض، وأخرى وسط بين هذا الموقف وذاك، هذا النقاش الذي بلغ أوجه في القرنين ١٦ و١٧م حول علاقة العرف بالشرع.

إن الحيز الكبير من هذا النقاش الفقهي الذي أثير حول علاقة تعارض أو توافق الأعراف بالشرع الإسلامي تجسدت أكثر بمنطقة سوس من خلال ألواحها وذلك منذ القرن ١٤م[٥٢]، فقد

اختلفت وتباينت مواقف الفقهاء والمفتين بين التشدد والمرونة[٥٣] باختلاف وتباين توجهاتهم ومذاهبهم وعلاقتهم بالوسط المحلي الذي أنتج هذه الأعراف.

أما أهم العلماء المؤيدين لهذه الأعراف فنجد مثلا الشيخ الحسن بن عثمان الجزولي التملي والشيخ ابن غازي الذي قال في شأن الألواح: "ومسائل ألواح القبائل منها ما وافق الشرع وهو أكثرها لكن على غير مذهب مالك، وأقلها مخالفة للشرع"[٥٤]، كما نجد عمرو بن أحمد بن زكريا البعقيلي الملقب "بعمرو المفتي" الذي كان لا يرى بأسا في اتخاذ الألواح التي لا تصادم القواعد الشرعية، بل أكثر من ذلك أنشأ لوحا نموذجيا لقبيلته "بعقيلة" والمؤرخ في جمادى الثانية عام ٩٦٦هـ/١٥٥٧م[٥٥]، بالإضافة إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن عمرو التمنارتي (ت ١٥٦٣م) وعبد الله محمد بن مبارك الأقاوي (ت ١٦٠٦م) وغيرهم، والذين أجازوا التعامل بالأعراف وأفتوا بتطبيقها، وحبذوها لكونهم رأوا فيها على أن مصلحة القوم لا تتحقق إلا بها.

كما أيدها من المحدثين المختار السوسي الذي يذكر أن "أهل سوس أسسوا قواعد وحتموا اعتبارها وقوانين أيدوا بها أعمالها وإقرارها، ورتبوا جنايات الأموال فيمن تعرض لأحد ذهب لأسواقهم أو مواسمهم أو حصونهم المخزون فيها مؤونتهم وأمتعتهم أو تعرض لفقيه أو عالم أو طالب علم، ولو بسبب أو شتم، أو تعرض ليهودي في ملاحه أو في طريقه، أو سرق أو جنى جروحا، أو سفك دما أو غير ذلك، وشددوا في ذلك وعينوا النفالس (جمع أنفلوس) أعضاء الجمعية في كل قبيلة تجتمع في مدرستها عند وقوع تلك النوائب، ويكون الفقيه المدرس في المدرسة هو الحاكم الأكبر المرجوع إليه في الأمور الشرعية، وعلى هذا النمط بنيت أحوال السوس الأقصى كله من أوله إلى آخره، فانجبرت أحوال سوس وامتلأت المدارس بأنواع العلوم والفنون"[٥٦].

ونجد كذلك الأستاذ محمد العثماني من بين المؤيدين لهذه الأعراف، في ذلك يقول: "إن نظرة خاطفة على النظام القضائي العرفي في بعض القبائل البربرية توحي لنا وكأننا أمام نظام قار لا يختلف في كثير من الأشياء عما ورد في الشرع، كما أنه يساير الشريعة ولا يتناقض معها، بل يسير في اتجاهها ومقاصدها مع مراعاة ضروريات الحياة وتطورها والسياسات الشرعية المبنية على المصالح المرسلة في المسائل التي تتبع فيها أعراف البلاد وعاداتهم وتقاليدهم"[٥٧].

وإلى هذا الرأي ذهب الباحث الفرنسي "جون لافون" الذي قال في شأن الأعراف السوسية ما مفاده: "إن من الواجب ألا يعطى للعرف السوسي الاتجاه الذي ليس له؛ لأن عرف هذا القطر يختلف تماما عن "أزرف" بالأطلس المتوسط، وأن قواعده لا يمكن مقارنتها بالآخرين؛ لأنه فريد من نوعه بالمغرب، وأنه لا يتعارض مع الشريعة"[٥٨].

أما الذين وقفوا موقفا معارضا من هذه الألواح فنجد على سبيل المثال الشيخ أبو عبد الله الهشتوكي الذي وصفها بالضلال المبين، وكذلك عبد الرحمان التمنارتي الذي قال في شأنها عند رحلته من تارودانت إلى البادية شرقا: "... فشرحوا لي منها كثيرا فوجدتها كلها من العقوبة بالمال التي ليست في الشريعة إلا في الغش... فقلت لهم: هذا من التحاكم إلى الطاغوت الذي

أمرنا أن نكفر به وأجملت في ذلك"[٥٩]. أما عبد الواحد بن أحمد الرجراجي مفتي مراكش في عصره (القرن ١٧م) فاعتبر الضوابط العرفية من البدع الشنيعة يجب المبادرة لسدها، فيما ذهب قرينه محمد بن عمر بعيدا في رده؛ حيث اعتبر القوانين العرفية "كفر صراح، ويجب على من مكنه الله في الأرض أن يحسم مادة المتعاملين بها ويردهم إلى الشرع العزيز ولو بقتالهم"[٦٠]. وعنها كذلك يقول الشيخ محمد بن ناصر الدرعي: "وسئل عن قوم من أهل البادية أعرضوا عن الأحكام الشرعية وتركوها إلى أحكام وعادات وعقوبات بالمال، جعلوها بينهم فكانوا يقضون بها، أيكفرون لذلك أم لا؟ فأجاب لا ولكنهم عصاة"[٦١]. ونفس الرأي ذهب إليه قاضي سوس عيسى بن عبد الرحمن الذي قال في شأن الألواح: "إنها ألواح شيطانية وهم بذلك إنما ينبذون الكتاب والسنة ويحكمون بغير ما أنزل الله متحاكمين إلى الطاغوت"[٦٢].

ومن نماذج نقد الألواح بسوس نجد قول محمد ابن أحمد الأكراري عن إينفلاس؛ حيث يقول: "... وهم في الحقيقة مفاليس إن لم تقل أباليس، يكتبون عقدا يسمونه عرفا وليته يسمى نكرا يقولون فيه من فعل كذا يعطي كذا... ومن... حتى إذا وقعت نازلة لم يذكروها زادوها..."[٦٣].

وفيما يخص العلماء الذين وقفوا من هذه الأعـراف موقفا وسطا ونظروا إليها نظرة واقعية، فما رأوه مخالفا للشريعة ومصادما لأصولها ومبادئها أنكروه، وما كان غير ذلك أجـازوه، وهذا الموقف عبر عنه أكثر العلماء ومنهم القاضي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني قاضي تارودانت الشهير، والذي ميز في رده بين ما هو غير جائز في هذه الأعراف لا يعمل به، وما هو جائز في نظره: "من باب التعاون على البر والتقوى على اعتباره وظيفا دينيا، ويجب على القائمين به أن يتعلموا ما يتوقف عليه ذلك"[٦٤]. بالإضافة إلى الشيخ أحمد بابا التنبكتي الصنهاجي المعروف "بالسوداني" (ت ١٦٢٦م) وغيرهم ممن وقف موقفا وسطا، حارب منها ما خالف مبادئ الشرع ووافق على ما لا يتناقض معه.

٢ ـ أسباب تعرض فقهاء سوس لقوانين الألواح:

كان هناك عاملان رئيسان لظهور وانتشار قوانين الألواح في سوس، الأول هو ضمان الأمن والاستقرار عند ضعف السلطة، إذ كان ضعفها وبخاصة في البوادي النائية يشجع على الفوضى والجريمة، فاضطرت القبائل لتنظيم نفسها ذاتيا. العامل الثاني هو العصبية القبلية التي أشار إليها السكتاني في فتواه بقوله: "... وإهمال بلادهم مع ذلك إضرار يتسع الخرق فيه على الراقع ولا يتمكنون من إقامة حد الحرابة أو الشرقة؛ لأن بلادهم بلاد عصبية ولفوف فما يفعلونه من التغيير على المفسدين غاية مقدورهم..."[٦٥].

وعلى الرغم من التبريرين السابقين فقد ظل فقهاء سوس يناقشون موضوع الاحتكام إلى الألواح ويفتون فيه حتى انقرضت هذه الظاهرة منتصف القرن الرابع عشر الهجري مع اكتمال إخضاع القبائل السوسية للمخزن عقب الحملة التي قاتها فرنسا أثناء عهد الحماية، والآن بعد أن أصبحت الألـواح من تراث الماضي يمكن حصر الأسباب التي دعت فقهاء سوس إلى نقدها فيما يأتي:

١ـ اختلاف الناس أنفسهم في قبول الخضوع لأحكام الألواح، ففي سؤال وجه إلى الحسن

ابن أحمد التمكيد شتي (ت ١٢٩٧هـ): "... يطلب الجواب عن فريقين تنازعا في مسألة فدعا أحدهما إلى تحكيم شريعة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه من القرآن، ودعا الثاني إلى تحكيم عرف القبيلة ولوحها فمن يجاب من الفريقين؟"[٦٦].

٢ـ الذي يرجع إليه كلام الفقهاء في موضوع الاحتكام هو جهل إينفلاس الذين تولوا التشريع للناس، إذ كانوا في الغالب عوام وكانت الألواح من إنتاجهم ومن ثم كان التشريع لا يتجاوز مدارك واضعيه من العرفاء الذين لم يكن يشترط في أحدهم إلا أن يكون شيخا في قبيلته؛ لأن العادة جرت "أنهم ينصبون من كل مدشر أنفلوسا أو لكل فخذ أو بطن أو فصيلة فيحضر مع إينفلاسن القبيلة في جميع الأمور، فإذا لم يحضر تعينت عليه الخطيئة والعقوبة بمال معلوما عندهم..."[٦٧].

٣ـ وراء تعرض الفقهاء للموضوع هو العقلية العلمية التي اكتسبها شيوخ العلم الشرعي وطلابه من دراستهم لعلم أصول الفقه بخاصة، وقد ظل عمدتهم في تلقي هذا العلم كتاب "جمع الجوامع"، وهذه العقلية العلمية يصادفها الباحث في التراث الفقهي السوسي؛ حيث تتطلب الفتوى تتبعا لعلل الحكم واستحضارا لمختلف المتون الفقهية التي جرى عليها العمل إلى غير ذلك، وهذا ما جعل هؤلاء المنتسبين إلى علم الفقه على النقيض تماما من الرؤساء الذين يقررون في الألواح بالظن، ومن يقف على تلك المناظرات التي كانت تجري بين الفقهاء أنفسهم في النوازل التي تعرض عليهم للإفتاء لن يستغرب أن يقع منهم مثل ما وقع تجاه "إينفلاس" القبائل التي يعيشون وسطها.

ـ خاتمة:

يستخلص مما سبق أن الأعراف بالمجتمع السوسي بوصفها مجموعة من القواعد والأحكام التنظيمية والتي سنها الإنسان لعبت دورا مهما ورياديا في تنظيم وتسيير حياة المجتمع القبلي بالمنطقة، كما تحكمت في حياة الساكنة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهي استجابة بالأساس لضرورة اجتماعية تفرضها استراتيجيات تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات على أساس يسمح بالتلاحم والتضامن ونبذ الفرقة والفوضى، ومرد الاختلاف الموجود بينها سواء من حيث البنود والأحكام أو من حيث التسميات من منطقة لأخرى، إلى كونها جاءت نتيجة لإفراز المجتمع المحلي لتلبية حاجياته وتنظيم علاقات أفراده ومواجهة مشاكله رغبة في الاستقرار والأمن الداخليين وضبط علاقاته مع الجوار، هذا فضلا عن كون هذه الأعراف كذلك نتاج سوسيوثقافي بلورته الظروف الطبيعية والإرث التاريخي لكل منطقة، وتلاقح متين بين التاريخ والإنسان والمجال الجغرافي.

والدارس للأعراف القبلية ومن خلال حجم الغرامات والعقوبات الزجرية التي تحمي وتصون الممتلكات سيكتشف حقيقة مدى أهمية البعد الاقتصادي في تشكيل العرف، على اعتبار أن المسألة الاقتصادية تعد نسيجا متشابك الخيوط، فهي الحقل الذي تصب فيه جميع القنوات وتتغذى منه مختلف الميادين في إطار نظام متفاعل ومتناسق، وفي خضم هذا التفاعل تولدت فكرة التنظيم العرفي والتقنين الجماعي بموازاة العمل والظروف الاقتصادية.

وبذلك فالأعراف سواء الشفوية منها أو المدونة بالخصوص هدفها التنظيم والتدبير، وفي

هذا السياق نخلص إلى فكرة أساسية ألا وهي أن الأعراف التي تسجل وتدون في كتب الشروط أو سجلات الأعراف سواء الألواح أو تيعقيدين تأتي أساسا بعد وقائع وأحداث طارئة، فتقوم جماعة القبيلة بكتابتها وتحديد نوعها ومقدار عقوبتها مع ما يتطابق مع الوسط الذي نشأت فيه، من هنا جاءت خصوصية هذه الأعراف المرتبطة بالتنظيم حسب البيئة والمجال الذي نشأت فيه، وذلك رغبة في إيجاد حلول لقضايا ومشاكل تحقق هذا التنظيم.

كما يتضح جليا من خلال التباين في مواقف الفقهاء حول ظاهرة الأعراف القبلية أن التشدد في الإفتاء في منعها من طرف بعضهم إنما جاء لأسباب قد تكون ذاتية مذهبية، أو مرتبطة بالظرف الزمني وبالمحيط المكاني، وهناك من العلماء والفقهاء من وقف موقف حياد في إبداء موقف رسمي صريح سواء بالإيجاب أو السلب، لكن أغلب المواقف جاءت مرنة في تقبلها والإفتاء بجوازها، هذه المرونة التي سايرت من جهة أحوال الناس وعوائدهم المترسخة والمتوارثة وكل الضرورات المجتمعية والظروف السياسية المحيطة والمؤثرة فيهم، ومن جهة أخرى تفهمت خصوصيات الوضع الداخلي للساكنة، فأجازت العمل بها طبقا للقاعدة المالكية المؤسسة للاجتهاد "الضرورات تبيح المحظورات".

إن الداعي الحقيقي والوازع الشرعي من سن القوانين العرفية بهذا المجتمع هو إثبات النظام وتجنب الفوضى، من خلال إصلاح المجتمع ونشر الأمن داخل القبيلة كوحدة اجتماعية مركبة، فهدف وضع القانون العرفي بالأساس كدستور منظم لدى المجتمع القبلي هو تحقيق الضبط الاجتماعي داخل المجتمع في السلوكات والمعاملات التي تقنن ممارسة حكم الشيخ ومعاونيه، وربط علاقة مجتمع القبيلة بالقبائل المجاورة والبعيدة بموجب عقود شفاهية أو مدونة، لتنظيم علاقة السلطة بمجتمعها الداخلي والخارجي تنظيما موصوفا يخضع إلى اتفاقات تحالفية وقانونية وعرفية، ولاشك أن سيادة مفهوم ومواد قوانين الضبط الاجتماعي العرفية قد تم في كل الأوقات إما نتيجة لضعف الدولة المركزية أو بتشجيع منها لسبب من الأسباب.

الحواشي

١ - جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، الجزء ٩، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص. ٢٣٩.

٢ - نفسه، ص. ٢٣٨.

٣ - علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ١٩٩٨، ص. ٩٦.

٤ - عمر بن عبد الكريم الجيدي، العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومهما لدى علماء المغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٨٢، ص. ٣٤.

٥ - عبد الخالق أحمدون، القوانين العرفية بالمغرب: قانون ماسة إداوط نموذجا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، العدد ٨، تطوان، ١٩٩٧، ص. ٧.

٦ - علي الصقلي، المدخل لدراسة القانون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٨، ص. ١٦١.

٧ - رجاء ناجي، مدخل للعلوم القانونية: نظرية القانون، الجزء الأول، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٩، ص. ١٩١.

٨ - علي الصقلي، المرجع السابق، ص. ١٦٣.

٩ - محمد أيت بود، العرف أو أزرف بين الفقه والتشريع

والمأسسة، جريدة تاسافوت، العدد ٣٦، الرباط، ٢٠٠٤، ص. ٨.

١٠ ـ عبد الخالق أحمدون، المرجع السابق، ص. ١١.

١١ ـ نفسه، ص. ١٠.

١٢ ـ علي صدقي أزايكو، فتاوى بعض علماء الجنوب بخصوص نظام "إنفلاس" بالأطلس الكبير الغربي في أوائل القرن السابع عشر، ضمن ندوة "التاريخ وأدب النوازل"، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٩٥، ص. ١٧٨.

١٣ ـ خالد رمضان، معجم أصول الفقه، المؤسسة السعودية، مطبعة المدني، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص. ١٨٢.

١٤ ـ عبد الله الدرقاوي، أصول الفقه الإسلامي، منشورات مكتبة الشباب، الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، ص. ١٤٤.

١٥ ـ محمد كمال الدين إمام، مقدمة لدراسة الفقه الإسلامي: مدخل منهجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص. ١٥٠.

١٦ ـ عمر بن عبد الكريم الجيدي، المرجع السابق، ص. ١١٢.

١٧ ـ أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: إينولتان ١٨٥٠ ـ ١٩١٢، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ص. ٤٠٩.

١٨ ـ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، ص. ٢٨.

١٩ ـ سمير عالية، نظام الدولة والقضاء والعرف في الإسلام: دراسة مقارنة، مؤسسة مجد الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص. ١١٢.

٢٠ ـ عبد العزيز بن عبد الله، سوس بوابة الصحراء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص. ٢٣٠.

٢١ ـ عمر أفا، معلمة المغرب: مادة الألواح، الجزء ٢، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ١٩٨٩، ص. ٦٥٦.

٢٢ ـ محمد العثماني، ألواح جزولة والتشريع الإسلامي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، دار الحديث الحسنية، الرباط، ١٩٧٠، ص. ٦٩ ـ ٧٠.

٢٣ ـ إن تقديس الألواح يأتي أساسا من التزام الساكنة بإلزاميتها واحترام بنودها والتقيد بأحكامها والخضوع لعقوباتها، ويذكر محمد العثماني أن الألواح هي مقدسة عند أهل جزولة أكثر من تقديس القانون العصري، وأن النسخة الأصلية من اللوح الموقع عليها تكون محفوظة لدى أكبر أعيان الجماعة "إنفلاس" أو في خزانة المدرسة أو لدى أستاذها أو لدى إمام المسجد، كدلالة لقيمتها عند الساكنة وكأساس للتنظيم بالنسبة للأفراد والجماعات وحماية مصالحهم وممتلكاتهم.

٢٤ ـ وهذه الألفاظ الأربعة كلها لمسمى واحد. محمد العثماني، المرجع السابق، ص. ١٣٧.

٢٥ ـ أحمد أرحموش، العرف والعمل والقانون كرافد من روافد الثقافة الأمازيغية: نموذج ألواح جزولة، أعمال الدورة الرابعة للجامعة الصيفية بأكادير، ١٩٩٦، ص. ٢٣٢.

٢٦ ـ محمد العثماني، م. س، ص. ٧٣.

٢٧ ـ نفسه، ص. ٢٣٦.

28 - Robert Montagne, Un magasin collectif de l'Anti-Atlas: l'Agadir des Ikounka, Hespéris Tamuda, N° IX, Rabat, 1929, p. 145.

٢٩ ـ عمر أفا، تاريخ المغرب المعاصر: دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص. ١٤٤.

30 - Larbi Mezzine, Le Tafilalt: Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIème siècles, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Université Mohamed V, Rabat, 1987, p. 93.

٣١ ـ عبد القادر بوراس، معلمة المغرب: مادة تيعقيدين، الجزء ٨، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ١٩٩٥، ص. ٢٧١٠.

٣٢ ـ يطلق مصطلح تيعقيدين على المكان الذي ينعقد فيه المجلس المكلف بالسهر على تطبيق القوانين العرفية، كما هو الشأن عند أيت عطا؛ حيث يطلقون "تيعقيدين" اصطلاحا على مكان "إغرم أمزدار" أي القصر السفلي ويوجد بجبل صاغرو، ويحظى هذا القصر أو المكان باحترام وإجلال كبيرين لدى أيت عطا باعتباره المكان الأول الذي تشكلت فيه اتحادية أيت عطا، وتحرم فيه الحروب والنزاعات، كما توجد فيه المحكمة التي تقصدها ساكنة أيت عطا لفك خصوماتهم من مختلف مناطق الجنوب المغربي.

٣٣ ـ بن محمد قسطاني، الواحات المغربية قبل الاستعمار: غريس نموذجا، سلسلة الدراسات والأطروحات رقم ٣، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠٥، ص. ٢٥٤.

34 - Larbi Mezzine, Op. Cit, p. 198.

٣٥ ـ رحمة بورقية، العرف والشرع، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، العدد ٧، الرباط، ١٩٨٤، ص. ١٥٥ ـ ١٧٣.

٣٦ ـ محمد الحجازي، الألواح السوسية: تحقيق ودراسة، بحث لنيل شهادة الإجازة في الشريعة، كلية الشريعة، أيت ملول، ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤، ص. ٧٨.

٣٧ ـ الحسن العبادي، فقه النوازل في سوس: قضايا وأعلام، منشورات كلية الشريعة، أيت ملول، ١٩٩٩، ص. ٤٣٦.

٣٨ ـ أبوزيد التمنارتي، الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، إعداد محمد بن عبد الله الروداني، تحقيق اليزيد الراضي، مطبوعات السنتيسي، الدار البيضاء، ١٩٩٩، ص. ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

٣٩ ـ نفسه، ص. ٤٦٢.

٤٠ ـ محمد بن أحمد الأكراري، روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص. ١٠٧.

٤١ ـ المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٦، ص. ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

٤٢ ـ المختار السوسي، المعسول، الجزء ١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ص. ٣٤٠.

43 - Charles De Foucauld, Dictionnaire Touareg-Français, Tome 3, Imprimerie Nationale de France, 1952, p. 728.

٤٤ ـ محمد بن أحمد الأكراري، المرجع السابق، ص. ١٠٢.

٤٥ ـ علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغرب: نموذج أيت باعمران، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص. ٦١.

٤٦ ـ عمر بن عبد الكريم الجيدي، م. س، ص. ٢٣٧.

٤٧ ـ نفسه، ن. ص.

٤٨ ـ المختار السوسي، خلال جزولة، الجزء ٢، المطبعة المهدية، تطوان، ص. ١٣٨.

٤٩ ـ محمد منيب، المؤرخ المغربي بين الحقيقة التاريخية والوهم الإيديولوجي، السلسلة التربوية، رقم ٧، مطبعة شروق، أكادير، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص. ٥٧.

٥٠ ـ رحال أبو الوفاء، وضعية الخماس في أعراف زمور، ضمن ندوة "القانون والمجتمع بالمغرب"، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٧، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠٥، ص. ١٦٢.

٥١ ـ عمر بن عبد الكريم الجيدي، م. س، ص. ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

٥٢ ـ محمد حنداين، إيلالن مساهمة في كتابة تاريخ أقدم قبيلة في المغرب: مونوغرافية سوس ٢٠٠٤، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، مطبعة فيديبرانت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص. ٧٠.

٥٣ ـ علي صدقي أزايكو، المرجع السابق، ص. ١٧٥.

٥٤ ـ محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، الجزء ١، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٧٧، ص. ٢٩٩.

٥٥ ـ نفسه، ن. ص.

٥٦ ـ المختار السوسي، المعسول، الجزء ٣، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٦١، ص. ٢٦.

٥٧ ـ محمد العثماني، م. س، ص. ٦٩.

٥٨ ـ عمر بن عبد الكريم الجيدي، م. س، ص. ٢٥٦.

٥٩ ـ أبوزيد التمنارتي، المرجع السابق، ص. ٤٦٢.

٦٠ ـ أحمد بن داوود الهشتوكي، هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم ١٧٤، ص. ١٠٨.

٦١ ـ محمد بن ناصر الدرعي، الأجوبة الناصرية، مخطوط بالخزانة الوطنية بالرباط، رقم ٣٠٩.

٦٢ ـ عمر بن عبد الكريم الجيدي، م. س، ص. ٢٥٧.

٦٣ ـ محمد بن أحمد الأكراري، المرجع السابق، ص. ١٠٧.

٦٤ ـ أحمد بن داوود الهشتوكي، المرجع السابق، ص. ١٠٩.

٦٥ ـ أبوزيد التمنارتي، م. س، ص. ٤٦٦.

٦٦ ـ المختار السوسي، سوس العالمة، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٥٨، ص. ١٦٢.

٦٧ ـ المختار السوسي، المعسول، الجزء ٣، المرجع السابق، ص. ٢٧٦.

البيليوغرافيا:

- أبوزيد التمنارتي، **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، إعداد محمد بن عبد الله الروداني، تحقيق اليزيد الراضي، مطبوعات السنتيسي، الدار البيضاء، ١٩٩٩.
- أحمد أرحموش، العرف والعمل والقانون كرافد من روافد الثقافة الأمازيغية: نموذج ألواح جزولة، أعمال الدورة الرابعة للجامعة الصيفية بأكادير، ١٩٩٦.
- أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: إينولتان ١٨٥٠ ـ ١٩١٢، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.
- أحمد بن داوود الهشتوكي، هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم ١٧٤.
- الحسن العبادي، فقه النوازل في سوس: قضايا وأعلام، منشورات كلية الشريعة، أيت ملول، ١٩٩٩.
- المختار السوسي، المعسول، الجزء ١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٦١.
- المختار السوسي، المعسول، الجزء ٣، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٦١.
- المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٦.
- المختار السوسي، خلال جزولة، الجزء ٢، المطبعة المهدية، تطوان.
- المختار السوسي، سوس العالمة، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٥٨.
- بن محمد قسطاني، الواحات المغربية قبل الاستعمار: غريس نموذجا، سلسلة الدراسات والأطروحات رقم ٣، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠٥.
- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، الجزء ٩، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.
- خالد رمضان، معجم أصول الفقه، المؤسسة السعودية، مطبعة المدني، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- رجاء ناجي، مدخل للعلوم القانونية: نظرية القانون، الجزء الأول، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٩.
- رحال أبو الوفاء، وضعية الخماس في أعراف زمور، ضمن ندوة "القانون والمجتمع بالمغرب"، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٧، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠٥.

- رحمة بورقية، العرف والشرع، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، العدد ٧، الرباط، ١٩٨٤.
- سمير عالية، نظام الدولة والقضاء والعرف في الإسلام: دراسة مقارنة، مؤسسة مجد الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
- عبد الخالق أحمدون، القوانين العرفية بالمغرب: قانون ماسة إداوط نموذجا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، العدد ٨، تطوان.
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨.
- عبد العزيز بن عبد الله، سوس بوابة الصحراء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
- عبد القادر بوراس، معلمة المغرب: مادة تيعقيدين، الجزء ٨، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ١٩٩٥.
- عبد الله الدرقاوي، أصول الفقه الإسلامي، منشورات مكتبة الشباب، الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.
- علي الصقلي، المدخل لدراسة القانون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٨.
- علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغرب: نموذج أيت باعمران، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.
- علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ١٩٩٨.
- علي صدقي أزايكو، فتاوى بعض علماء الجنوب بخصوص نظام "إنفلاس" بالأطلس الكبير الغربي في أوائل القرن السابع عشر، ضمن ندوة "التاريخ وأدب النوازل"، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ١٩٩٥.
- عمر أفا، تاريخ المغرب المعاصر: دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
- عمر أفا، معلمة المغرب: مادة الألواح، الجزء ٢، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ١٩٨٩.
- عمر بن عبد الكريم الجيدي، العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومهما لدى علماء المغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٨٢.
- محمد الحجازي، الألواح السوسية: تحقيق ودراسة، بحث لنيل شهادة الإجازة في الشريعة، كلية الشريعة، أيت ملول، ١٩٨٣ - ١٩٨٤.
- محمد العثماني، ألواح جزولة والتشريع الإسلامي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، دار الحديث الحسنية، الرباط، ١٩٧٠.
- محمد أيت بود، العرف أو أزرف بين الفقه والتشريع والمأسسة، جريدة تاسافوت، العدد ٣٦، الرباط، ٢٠٠٤.
- محمد بن أحمد الأكراري، روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- محمد بن ناصر الدرعي، الأجوبة الناصرية، مخطوط بالخزانة الوطنية بالرباط، رقم ٣٠٩.
- محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، الجزء ١، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٧٧.
- محمد حنداين، إيلالن مساهمة في كتابة تاريخ أقدم قبيلة في المغرب: مونوغرافية سوس ٢٠٠٤، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، مطبعة فيديبرانت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.
- محمد كمال الدين إمام، مقدمة لدراسة الفقه الإسلامي: مدخل منهجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.
- محمد منيب، المؤرخ المغربي بين الحقيقة التاريخية والوهم الإيديولوجي، السلسلة التربوية، رقم ٧، مطبعة شروق، أكادير، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
- Charles De Foucauld, Dictionnaire Touareg-Français, Tome 3, Imprimerie Nationale de France, 1952.
- Larbi Mezzine, Le Tafilalt: Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIème siècles, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Université Mohamed V, Rabat, 1987.
- Robert Montagne, Un magasin collectif de l'Anti-Atlas: l'Agadir des Ikounka, Hespéris Tamuda, N° IX, Rabat, 1929.

شعر ابن نفاذة السُّلَمِيّ (ت: ٦٠١ هـ)

تحقيق وتقديم وشرح

أ. د. عبد الرازق حويزي
جامعة الأزهر
مصر

ما أكثر شعراء العربية المجيدين في تراثنا العربي الذين درات عليهم رَحى الإهمال، فلفَّهم النِّسيان، وعبثت بإبداعاتهم أيادي الضَّيَاع، لذا كان من اللَّازِم البحث المتواصل عن هؤلاء الشُّعراء، والتَّنقيب المستمر عمَّا أبدعوا في المصادر المطبوعة والمخطوطة.

وبحكم اهتمامي بهذا الأمر زمنًا ليس بالقصير فقد عثرت على مجموعة من الشعراء الذين يستأهلون البحث، ويستحق نتاجهم بذل الجهد، خصوصًا في فترة لم تأخذ – حتى الآن – حظَّها من البحث والدِّرَاسة والتَّنقيب، وهي فترة ما بعد القرنين: الرَّابع والسَّابع، تلك الفترة التي كان الأدب فيها شعرًا ونثرًا قويًا، لم تأت عليه رياح الانحطاط، فتؤَدِّي إلى خموده.

لا أنكر أنَّني مهتمٌّ بالبحث عن النُّصوص الجديدة من أدب تلك الفترة، وأفرح كلما عثرت على حصيلة جديدة، يمكن أن تُفيد الدِّراسات الأدبيَّة والنَّقديَّة، وتساعد على استخلاص نتائج وأحكام نقديَّة تعزِّز نتائج سابقة أو تُؤَكِّدُها، وتصحِّح نتائج أخرى أو تقوِّمُها، وتضيف نتائج تساعد في إلقاء الضَّوء على الحياة الاجتماعِيَّة والسِّيَاسِيَّة والثَّقَافِيَّة.

من أجل ذلك أجدني شَغُوفًا جدًّا بتصَفُّح المصادر المخطوطة للوقوف على ما بها من جديد، يَسْتَحِقُّ العناية بحثًا وتحقيقًا وَشَرحًا وَدِرَاسَةً، والدَّليل على ذلك تلك الصَّفحات الماثلة بين أيدينا، والَّتي كانت نتيجة تصفُّح مخطوط مِهِمٍّ، لَمَّا ينشر بعد، ألا وهو جزء من أجزاء عيون التَّواريخ (لابن شاكر الكُتْبِيّ)، فقد انفرد بحصيلة طيبة من شعر أحد شعراء القرن السَّادِس الهِجْرِيّ، لم أجدها في مصدر آخر، ولا في كتاب (ابن شَاكر الكُتْبِيّ) الموسوم بـ"فَوَات الوَفَيَات".

وشاعرُنا الذي أقدِّم مجموعَ شعره اليوم لم يكن مغمورًا في زمنه، وكيف ذلك وقد اتصل بالقائد (صلاح الدين الأيوبي)، وغيره من كبار رجالات عصره، ولهذا يَعِزُّ علينا اختفاء نتاجه ونتاج أمثاله من الشُّعراء. أما هذا الشَّاعر فهو

"ابن نَفَاذَة السُّلَمِيّ"، الذي لم أتوانَ لحظةً في دَرْبِ الاهتمام بشعره للأسباب التي ذكرتها آنفًا، ولأن لشعره طابعًا مُمَيزًا، وتوجهًا قلَّ أن نجده لدى شعراء العربيَّة.

ومما يؤلم حقًّا أَلَّا أجد ترجمة موسَّعة له لدى المؤرِّخين والأدباء. والمبثوث من أخباره في مصادر التُّراث العربيّ لا يسمن ولا يغني من جوع ، ولا يثلج صدرًا، ولا يبل نقعًا، ولكنِّي سأحاول اعتمادًا على ما وقفت عليه من شذرات عنه أن أثبت تعريفًا له[١].

أما عن اسمه وسلسلة نسبه اللتين أجمعت عليهما بعض المصادر فهما: (أَحْمد بن عبد الرَّحْمَن بن عَلِيّ بن المبارك بن الحسن السُّلَمِيّ)[٢]، من (بني نفاذة) بدمشق[٣] وتختلف بعض المصادر في إيراد سلسلة نسبة اختصارًا وتقديمًا وتأخيرًا[٤]، ولكن السِّلسلة المثبتة هنا هي المعتمدة التي أجمعت عليها معظم المصادر، التي اختلفت كذلك في تلقيبه بـ(ابن نَفَاذَة[٥]، و(ابن نَقَادَة)[٦]، و(ابن نَفَاذَة)، وما عدا الأخيرة تصحيف، واعتمدتُ اللَّقبَ الأَخِيرَ؛ لأن هذا هو المعتمد في أقدم المصادر، وكذلك لدى بعض معاصريه ممَّن اتصل بهم أدبيًّا واجتماعيًّا مثل (العماد الأصفهاني ت ٥٩٧ هـ) ، وليس ذلك فحسب، بل يؤكده إجماع أكثر المصادر على هذا اللَّقب[٧]، يضاف إلى ذلك أن معظم الشعر الوارد هنا منسوب لـ (ابن نفاذة) في مخطوط "عيون التواريخ لابن شاكر الكُتْبِي).

يُكنَّى بـ (أبي الفضل)، ويُنعت بـ (نشء أو نشو الدولة)، وَيُلقب بـ (بدر الدين)[٨]، و(بشمس الدين)[٩].

ولد (ابن نفاذة) عام (٥٤١ هـ)، في دمشق، وتُوُفِّي فيها في محرم عام (٦٠١ هـ)[١٠] عن عمر يناهز ستين عامًا[١١].

اتَّصل ببعض وجهاء عصره، وأدبائه، منهم: (صلاح الدِّين الأيوبي)، وأولاده، والملك العادل، و(القاضي الفاضل)، والقاضي (ابن الشهرزوري، ضياء الدِّين)، والقاضي (محيي الدِّين ابن الزَّكي)[١٢]، و(صفي الدّين بن شكر)، وزير الملك العادل[١٣]، والأديب البارع والمؤرخ (عماد الدِّين الأصفهانيّ)[١٤]، الذي نسخ ديواني رسائله وشعره[١٥] والشَّاعر (ابن حَيُّوس)[١٦]،

كان (ابن نفاذة) كاتبًا مشهورًا لـ (صلاح الدين الأيوبي)، وصحبه حضرًا وسفرًا[١٧]، وقدِم معه (حلب) حين افتتحها[١٨]، وله فيه بعض المدائح، وكان عنده في رؤساء الأجناد[١٩]، وتَوَلَّى الإشراف على الهُري قُبيل وفاته بقليل[٢٠].

أثنى عليه رهطٌ من المؤرخين والأدباء، فمن قائل: "كان جليل القدر، بعيد الهمة، أديبًا شاعرًا"[٢١]، إلى قائل: "كان لا يبارى في فضله، ولا يجارَى في معرفته ونبله، وجمعه بين رئاسة نفسه وطيب أصله، وَوَرَّثَ عنه حسن الكتابة، وحلية الفضل لذرِّيته ونسله"[٢٢]، إلى قائل: "وكان مُفَوَّهًا أديبًا شاعرًا"[٢٣]، إلى قائل: "وَهُوَ أحد الْمَشْهُورين بِحسن النّظم"[٢٤]، إلى قائل: شاعر محسن"[٢٥].

أما ديوان شعره فقد قال عنه (ابن سعيد الأَنْدَلسيّ): "شعره مدون، ظفرتُ به عند شخص لا يسمح بإعارته ولا مطالعته"[٢٦]، وذكر ديوانه كلٌّ من (الصَّفدي)[٢٧]، و(ابن شاكر الكُتْبِي)[٢٨]، و(الذَّهَبِي)[٢٩]، و(حاجي خليفة)[٣٠]، ولم يعثر له على أثر حَتَّى الآن، ولعل أحد الفضلاء يوفَّق للعثور عليه.

ويتمَثَّل الدَّافعُ لي لجمع ما بقي من شعره في وقوفي – كما ذكرتُ من قبل - على حصيلة شعريَّة غير قليلة، فعقدتُ النِّيَّةَ على جمع شعره، وبالبحث عن محاولة سابقة قبل المُضي قُدُمًا في العمل بَدَا لي أن هناك محاولة سابقة نهض بها أستاذان فاضلان من القطر العراقي الشَّقيق، فلم أتوانَ في طلبها من أحد الأصدقاء، فلم يقصر في إرسالها، فجزاه الله خيرًا، وبعد النظر هذه المحاولة اتضح أنَّ حصيلتها لا تزيد عن (١٧٠ بيتًا)، وهو جهد مشكور، لا ينكر أثره في دراستي هذه، وفي غيرها.

أما المحاولة السَّابقة فهذه بيانها: "شعر ابن نفادة السلمي ت ٦٠١ هـ"، لوليد سامي خليل السامرائي، وصفاء علي حسين، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع١٣، ٢٠٠٨م.

إن شعر (ابن نفادة) المتبقي ليفصح عن كونه شاعرًا مجيدًا، تمكن من أدوات الشعر ومؤهلاته، فأبدع شعرًا رقيقًا عذبًا، يفيض سلاسة، ويسري رقة، في أغراض متنوعة، منها: المديح، والغزل، والرِّثاء، غير أنَّ الغالب على شعره هو غرض وصف الطبيعة، ويجنح الشَّاعر بشاعريته كثيرًا نحو التشوق مازجًا إيَّاه بالوصف، مفصحًا عن رومانسيته الرَّقيقة.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أهمِّ سمة ميَّزَت شعرَه عن شعر بعض معاصريه، ألا وهي سمة التَّشوق والحنين إلى (دمشق) وما جاورتها من قرى ومدن، حلَّ بها، وقضى فيها بعض أوطاره، بحيث يعدُّ شعرُه وثيقة تاريخية وجغرافية في غاية الأهميَّة، فهو يذخر بذكر كثير من المواطن التي نعرف صورتها قديمًا من خلال هذا الشِّعر، مثل: (جلق)، و(النيرب)، و(سطرى)، و(مقرى)، بالإضافة إلى بعض الأنهار مثل: (ثورا)، و(يزيد).

لقد هام الشَّاعر حبًّا بـ (دمشق)، حدائقِها، وأزهارها، أوديتِها وأشجارِها، ربوعها، وأنهارها، قراها ومعالمها، يبدو ذلك من كثرة ذكرها في كل قصيدة من قصائد شعره، وحنينه الفياض إليها إذا ابتعد عنها.

والفنا والتنا قواماً وردفاً ● والضحى والدجى جيباً وشعرا
كالظبى من الكواكب اهيى ● ومن الاسد فى النوائب اضرا
كالطلى والطلى رضا باوجيدا ● والمها والمها لحاظاً وثغرا
بدوى وصلته بخفانى ● وجزانى على الوفا الغدرا
كنت اشكوا من هجره فافترقنا ● فتمنيت ان يطيل الهجرا
ان تكن مقلتاه بحمد قتلى ● فى هواه لحاره قد اقرا
انبت الحسن فوق خديه شعرا ● بت صب به فقلت الشعرا
جاء يسعى بها فاطلع فى الليل ● علينا من الزجاجة فجرا
وسقانا بكاس فيه على نرجس ● عينيه من تنا ياه خمرا
فى جنان مثل العرائس لبسن ● ديولا اذا تعطفن خضرا
ناشرات على زبرجده الارض ● جلينا من نورهن وتبرا
رائقات مابين جدبا وبلدا ● شائقات مابين سطرى ومقرا
كرها من متيم لا بتيمآء ● جواه ولا بنجد وبصرا
وحزين قد ساه البين بالبان ● ابا بعد بعده ان يسرا
مغرم قلبه يقلب فيه ● زفرات الاشواق جمرا فجمرا
يالها من منازل ودياد ● شردتنى عنها الدوآر قهرا

يحضر القاضى محى الدين ابو حامد محمد بن محمد بن الشهرزورى مجلس السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وتفاوضوا فى احسن البلاد فقال القاضى انا احكم له دمشق وما اجعل هذه مسالة خلاف فقال ابن نفاذة السلمى

زارنى والنجوم تنظر شزرا ● والدجى اسبلت على الصبح سترا
وجيوش الظلام تركض نحو الفجر ● خيلا دهما وترجس شقرا
كتم الليل فجره فحكى الشرق ● ضميرا يخفى من الصبح سرا
جعلت شرقها الغزالة فى الليل ● كاسا اذ ظنت النسر صقرا
ونثرن الاولاك اذ جعلا البدر ● عليه من الكواكب درا
فكانما السمآء روض انيق ● مطلع من لوامع الزهر زهرا
وكان البحور غرقى وقد غاصت ● الى الصبح فى الدجنة بحرا
غير بدع للحوت والسرطان ● العوم اذ جوت الجوزة نهرا
فكان المريخ وجنه حمجلان ● وقلب الجانى تحاول عذرا
زاروا الصبح ما اماط لثام الليل ● عن شرقه ولا حل زرا
طارقا فى الدجى يعاتبنى قال ● متى كان مدعى الحب يكرا
شاد ان حبه متى حل صدرا ● رحل القلب كارها والصبرا
بابى الاجفان يهدى الى هروت ● منه باللفظ واللحظ سحرا
هب غرامى باخضر البسنى السقم ● فمن البس السقام الصخرا
لبس العقد باسما فحسبت الثغر ● عقدا عليه والعقد ثغرا
واراانا الاكليل والطرف والجبهة ● منه وعقرب الصدغ بدرا
كلها من منازل البدر لكن ● ماراياه حل فيهن طرا
فجلا حين هب منه نسيم الوصل ● عن خاطرى هجير الهجرا
فظننت النسيم مر على ارض ● دمشق فارداد طيبا ونشرا
فى زمان الربيع فى شهر اذار ● فاكرم به زمانا وشهرا
عج بسطرا وبيت لهيا اتخذها ● بيت لهو واجعل مقرك مقرا
وزر النيربين والشرف الاعلى ● وشاهد ميدانه والقصرا
وكان الرياض ثم سمآء ● اطلعت من بدائع الزهر زهرا
وكان الربيع مد من السندس ● بسطا على البسيطة خضرا
وبكى الغمام فاضحك النور ● بدمع من قطره فانثرا
وكان الازهار تبعث دارين اليها ● مع النسيم العطرا
نرجس قد حكى النواظر شهلا ● وشقيق كالخد يعلوه الحمرا
حسنت فى جنة الخلد للناس ● مقاما وحسنت مستقرا
فاخرتها بغداد جهلا ومن ● فاس بها جلقا فقد جآ امرا
وتوالى الخصام بينهما والغمر ● يمسى بباطل القول مغرا
فاتت جلق بفصل خطاب ● اطلعت منه للبصآئر نجرا

صورة من مخطوط عيون التواريخ

ومن شقيق كاطراف الحدود اذا ● تورد خجلا في وجه مبهوت
وللبنفسج شبه صاب حسن كاول النار في اطراف كبريت

وقال نشوان الدوله ابن نشوان من قصيدة طويلة

ظبيات الشار قد سمنني لا اللواتي بين خيمات النقا
انا مالي ولنجد والحمى ● ولمن حل اللوى والابرقا
لا تعر عقلك يوما احدا ليست الجنة الا جلقا
حبذا الربوة قصرا شاهقا ● مشرفا بالنور اضحى مشرقا
وزلال الماء من قلتها جاريا منحدرا منداقا
مقسم الماء الذي من تحتها ● وباعلاها اتى مفترقا
كربذاك الفج نهرا سارحا ثج من فيجته منبثقا
لنسيم الزهر في نيرها ● نسيب يهدي البنا العبقا
نفحت منها الصبا عاطرة فكان المسك فيها فتقا
لو سيول زايد منتشيا ● كلما مر به منتشقا
ود مشق شامة في وجنه الشار للعاد بها دار الشقا
حث ياصاح اليها جسرة ● تسبق الطرف امون دسقا
نلق في جامعها مجتمعا كل علم في البلاد افترقا
كم به من عابد انواره ● في دجى الليل تجلى الغسقا

وقال ايضا رحمه الله تعالى

خل نجدا لاهلها وذمامه ● لقلوب بذكرها مستهامه
ودع المنحى لغزلانه ترعا كلاه وشيحه وثمامه
عق اهل العقيق واجرع على ● من بات في حاجر من رام رامه
واللوا فالوعنه واتركه للربوع والضب والمها والنعامه
والغضى غض عنه طرفا ● وخالف راي من خالف الحي وحامه
ملء عن الحيف انما هو خوف ورام بالنار رنده وبشامه
خل سلعا ولا تسل عن حزين ● بات يطوي حزونه واكامه

الوفي اليسر من تسناى ولا نزل ● من الطاعنين ركبا ليمامه
ان اردت الحلول في جنة الفردوس فاجعل مشق دارا اقامه
جذا عسكر الربيع اذا مر ● على النيربين فيها خيامه
وبداجيشه ورايته الاغصان والزهر ناشرا اعلامه
وعبير الربيع عن فضه الورد ● الف النسيم فضت ختامه
سحبت بحها الغوادي على الروض فبلت ذيولها اكمامه
والصبا في الصباح تهدي من الطل الى الزهر بالنسيم سلامه
اطف جمر الهموم في ارض جمر اياوهو مرفي ظل دوح الهامه
في رياض الكبرى حزا للذة الكبرا ● مديما الشرب كاس المدامه
شمس راح في الكاس اطلعها الساقي وكانت مزدانها في غمامه
حاول الشرب لثمها فاماط الذ ● عن وجهها البهي لثامه
من يدي شادن من الترك كالبدر بحياه لا مر الورد امه
ذو قوامة كانه الف قد لحظ ● في لوح خاله الحسن لامه
خاف من اسهر اللحاظ فقد زرد منه العذار للخد لامه
تستعير البدور والقضب منه ● لاح اوماس وجهه وقوامه
وهلال السماء يعزى اليه فهو من طرفه شبيه ولامه
في هواه عصيت كل عذول ● وطيع الغرام يعصي اللامه
ابيض اللون وهو قاس فقد اشبه قلبا ولون جسم الرخامه
تحسب الخال منه نقطة نار ● فوق جمر اذكى النسيم ضرامه
انما الخال زينة الخد حسنا ود مشق في وجنة الشار شامه

وقال من قصيده

من بروق فلبرق ومبيض ● شهرت كما شهرت صوارم بيض
بالنيربين تالقت وتناقت منها حوائي الروض فهو ارض
للياسمين وورده من شمسه ● وبدره الذهب والمفضض
وكانما زهر البنفسج ازرق الياقوت اوخد به تعضيض

صورة أخرى من مخطوط عيون التواريخ

[قافية الهمزة]

(١)

قال (ابن نَفَاذَة) متغزلًا:[٣١] [مِنَ الكَامِل]

١- يَا سَاكِنًا فِي مُهْجَتِي تَتَبَوَّأُ
لِمْ لا تَرِقُّ لأَدْمُعٍ لا تَرْقَأُ

٢- لِي مِنْكَ جَفْنٌ لا يَجِفُّ وَثِقْل هم
ـمٍ لَا يَخِفُّ وَمَضْجَعٌ لا يَهْدَأُ

٣- هَل مَا تَمَزَّقَ مِن فُؤَادِي بالجَفَا
يَا هَاجِرِي بِيَدَي وِصَالِكَ يُرْفَأُ؟

٤- وَمُدَلَّلٍ أَنَا فِي هَوَاهُ مُذَلَّلٌ
مِنْهُ وَمِنِّي مَالِكٌ وَمُوَطَّأُ[٣٢]

٥- ثَمِلُ المعَاطِفِ قَدُّهُ مُتَأَوِّدٌ
بالغُصْنِ يُزْرِي إذْ يُهَزُّ وَيَهْزَأُ[٣٣]

٦- بِلِحَاظِهِ قَلْبِي جَرِيحٌ مُثْخَنٌ
فَالوَصْلُ يَأْسُو والتَّجَنِّي يَنْكَأُ

٧- سُبْحَانَ خَالِقِه وَمُبْدِعِ حُسْنِهِ
واللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَذْرَأُ!

٨- كاللَّيْلِ شَعْرًا غَاسِقًا، والصُّبْحِ وَجْ
هًا شَارِقًا، أَنْوَارُهُ تَتَلَأْلَأُ

٩- فِي ثَغْرِهِ حَانِيَّةٌ عَانِيَّةٌ
تُسْبِي العُقُولَ بِهَا وَلَيْسَتْ تُسْبَأُ[٣٤]

١٠- سَفَكَ الدِّمَاءَ وَطَرْفُهُ سِيَافُهُ
وَبِهِ عَلَى إِجْرَائِهَا يَتَجَرَّأُ

١١- مُتَمَرِّضُ الأَجْفَانِ قَلْبِي مُذْ جَفَا
مُتَمَرِّضٌ وَكِلاهُمَا لا يَبْرَأُ

١٢- صَبْرِي لِدَائِرَةِ الصَّبَابَةِ نُقْطَةٌ
تُسْمَى وَلَيْسَ تُرَى ولا تَتَجَزَّأُ

١٣- يَحْظَى بِهِ غَيْرِي وَأُحْرَمُ وُدَّهُ
وَسِوَايَ يُرْوَى بالوِصَالِ وَأَظْمَأُ!

(٢)

وقال[٣٥]: [مِنَ البَسِيطِ]

١- وَالصُّبحُ ينثُرُ وَرْدًا مِن سَنَاه وَقَدْ
ضَمَّت بَنَفْسَجَهَا المنْثورَ ظَلْمَاءُ

٢- وَالبَدْرُ يَسْبَحُ فِي بَحْرِ الدُّجَى فَلَه
مَهْمَا تَغَلْغَلَ نَحْوَ الغَرْبِ إرْسَاءُ

٣- وَقَدْ تَكَهَّلَتِ الظَّلْمَاءُ شَائِبَةً
وَوَجْنَةُ الشَّرْقِ بالإشْرَاقِ حَمْرَاءُ

(٣)

وقال[٣٦]: [من الرَّجز]

١- قَدْ ضَحِكَتْ عَيْنِي مِن بُكَائِهَا
وَاغْتَسَلَتْ مِن بُعْدِكِمْ بِمَائِهَا[٣٧]

٢- فَلَمْ يُطَهِّرْهَا وَقَدْ خَالَطَهَا
مَا أَجْرَتِ الأَشْوَاقُ مِنْ مَياهِهَا[٣٨]

[قافية الباء]

(٤)

وقال[٣٩]: [مِنَ البَسِيطِ]

١- وَفاضَ دَمْعِي فَفَاقَ السُّحْبَ وَابِلُهُ
شَوْقًا وَأَوْدَعَ جِسْمِي ذِكْرَكُم وَصَبَا

٢- لَو حَلَّ نُوحٌ بِجَفْنِي خَافَ مِنْ غَرَقٍ
أَوِ الخَلِيلُ بِقَلْبِي لاشْتَكَى لَهَبَا!

(٥)

وقال[٤٠]: [مِنَ الكَامِل]

١- أَهدَى الرَّبيعُ إِلَى الرِّيَاضِ غَرَائِبَا
بِقُدُومِهِ وَكَسَا الغُصُونَ جَلابِبَا

٢- شَابَتْ فُرُوعُ الدَّوْحِ قَبْلَ شَبَابِهَا
وَمِن العَجَائِبِ كَونُ طِفْلٍ شَائِبَا

٣- وَالزَّهرُ مثلُ الزُّهْرِ وَالخضراء كالز
زَرقَاءِ تُبْدِي للعيونِ عَجَائِبَا

٤- وَالأرضُ مِرْآةٌ يُرِيكَ صِقَالُهَا
مِن حيثُ قَابَلَتِ السَّمَاءُ كَوْاكِبَا

٥- مسكيَّةُ النَّفَحَاتِ وَدَّتْ طيبَها
داريـنُ لو وَجَدَتْ إِلَيها جالبَا[٤١]

٦- وَلِكُلِّ غُصْنٍ نَشْوَةٌ تُثْنِيه مُذ
داريـنُ لو وَجَدَتْ إِلَيها جالبَا[٤٢]

٧- عبثَ النَّسيمُ بها فَعَانَقَ بَعْضُهَا
ءبَعْضًا كَعُشَّاقٍ تَضُمُّ حَبَائِبَا

٨- وَتَدَرَّعَتْ غُدْرَانُها فَكَأَنَّمَا
سَلَّت عَلَيهِنَّ البُرُوقُ قَوَاضِبَا

٩- وَعَلا عَلَى أَعْوَادِهَا شُحرورُها
يَدْعُو إلى اللَّذَّاتِ فِيها خَاطِبَا

١٠- وَالطَّيرُ في أَشْجَارِهَا مُتَشَاجِرَا
تٌ في الجِدَالِ وَمَا اختَلَفْنَ مَذَاهِبَا

١١- سَقْيًا لِجِلَّقَ كَمْ جَنَيْتُ بِأَرْضِهَا
ثَمَرَ السُّرُورِ وَكَمْ قَضَيْتُ مَآرِبَا[٤٣]

١٢- هِي دَارُ لَهْوِي إِذ عَصَيتُ عَواذِلا
لمَّا لَحينَ وَكَم أَطَعْتُ كَوَاعِبَا

١٣- أَيَّامَ أَنْتَهِزُ الشَّبِيبَةَ فُرْصَةً
وَأُبَادِرُ اللَّذَّاتِ فِيها نَاهِبَا

١٤- وأبيتُ أسْتَجْلِي البُدُورَ كَوامِلا
وَأَظَلُّ أَقْتَنِصُ الظِّبَاءَ رَبَائِبَا[٤٤]

١٥- مِنْ كُلِّ صَائِدِ كُلّ قَلْبٍ طَرْفُهُ
باللَّحْظِ قَدْ جَعَلَ الجُفُونَ مَخَالِبَا

١٦- لمَّا رَأَى قَلْبِي عَلَيْهِ طَائرًا
أَضْحَى لَه شَرَكُ اللَّوَاحِظِ نَاصِبَا

١٧- وَمُعقربِ الأَصْدَاغِ مَا يَنْفَكُّ للـ
قَلْبِ المعَنَّى لاسِبًا أَوْ سَالِبَا[٤٥]

١٨- بَدْرٌ لَه فَلَكُ الجُيوبِ مَشَارِقٌ
يَسْرِي فَيَتَّخِذُ القُلوبَ مَغَارِبَا

١٩- يُبْدي صَبَاحًا مِن صَبَاحَةِ وَجْهِهِ
مُتَجَلِّلا مِنْ شَعْرِه بِغَيَاهِبَا[٤٦]

٢٠- خَطَّ العِذَارُ بِعَارِضَيه رُقبَةً
إذ ظَنَّ صُدْغَيْهِ عَلَيهِ عَقَارِبَا[٤٧]

٢١- لم يُرْخِهنَّ غَدَائِرًا وذَوَائِبا
إلا وَغَادَرَتِ القُلوبَ ذَوَائِبَا

٢٢- يَا رَامِيًا تُصْمِي القُلُوبَ لِحَاظُهُ
بالنَّبْلِ إِذْ جَعَلَ القِسِيَّ حَوَاجِبَا

٢٣- وَيسلُّ سَيْفًا مُرْهَفًا مِن جَفْنِهِ
أَضْحَتْ لَهُ مُهَجُ الأَنَامِ مَضَارِبَا

٢٤- وَيهزُّ رُمْحًا قَدَّهُ لِطَعَانِهِ
مَنْ ذَا رَأَى رَشَأً سِوَاهُ مُحَارِبَا

٢٥- أَمْسَى غَرَامِي مِثْلَ حُسْنِكَ صَادِقًا
وَأَرَى اصْطِبَارِي مِثْلَ وَعْدِكَ كَاذِبَا

(٦)

وقال[٤٨]: [من مجزوء الرجز]

١- إنْ كَانَ قَدْ أَضْحَى المشيـ
ـبُ ظَالِمِي لا عَجَبَا
٢- أَتْرَبَ رَأْسِي فَعَلِمْـ
ـتُ أَنَّ طَيِّي اقْتَرَبَا
٣- كَذَا الكِتَابُ عَاجِلا
يُطْوَى إذا مَا أتربَا

(٧)

وقالَ[٤٩] يَذْكُرُ المُشْمُشَ: [من المنسرح]

١- هَبَّ وَنَجْمُ الصَّباحِ لَمْ يَغِبِ
لِرَشْفِ حَمْرَاءَ لَا ابْنَةِ الْعِنَبِ
٢- نَارِيَّةُ اللَّوْنِ فِي الجِنَانِ بَدَت
يَا عَجَبًا لِلجِنَانِ فِي اللَّهَبِ
٣- تَلُوحُ كالتِّبْرِ فِي الزَّبَرْجَدِ مِن
فَوقِ عُرُوقِ المرْجَانِ فِي القُضُبِ
٤- فَهِيَ سَمَاءٌ مِن الزُّمُرُّدِ فِي
آفَاقِهَا أَنْجُمٌ مِن الذَّهَبِ
٥- فَمَا تَرَقَّى للسَّمْعِ شَيْطَانُها الـ
ـكَافِرُ إِلَّا رَمَتْهُ بِالشُّهُبِ
٦- إذا الثُّرَيَّا تَكَامَلَتْ كَمُلَتْ
وَأَبْرَزَتْ وَجْهَ غَيرِ مُنْتَقِبِ
٧- وَكَمْ ثُرَيَّا فِي الْغُصْنِ طَالِعَةً
مِنْهَا جَمِيعُ النَّهَارِ لم تَغِبِ
٨- زَمَانُهَا كَالأَعْيَادِ مُرْتَقَبٌ
أَيَّامُهَا لِلسُّرُورِ والطَّرَبِ
٩- حَجَّ لميقَاتِهَا الْبَرِيَّةُ مِن
مِصْرَ إِلَى جِلَّقٍ وَمِنْ حَلَبِ
١٠- كَالنَّارِ بِلْ كالنَّارِنْجِ مَنْظَرُهَا
وطَعْمُهَا فِي حَلاوَةِ الضَّرْبِ
١١- حَلَتْ وَحَلَّتْ لِمَنْ تَنَاوَلَهَا
وَالرَّاحُ لَوْلَا التَّحْرِيمُ لَمْ تَطِبِ
١٢- يَرْشُفُ رِيقَ النَّدَى مُقَبِّلُها
فَيَجْتَنِيهَا مَعْسُولَةَ الشَّنَبِ
١٣- تَذُوبُ فِي فِيهِ مِن لَطَافَتِهَا
مِنْ غَيرِ مَضْغٍ يُفْضِي إِلَى تَعَبِ

(٨)

وَقَالَ[٥٠] مُشِيرًا إِلَى بَيت (جَميل بُثَينة): [من الطَّويل]

١- أَهَجْرٌ وَصَدٌّ واغْتِرَابٌ وَفُرْقَةٌ
وَبَيْنٌ فيا لله كَمْ يَحْمِلُ الصَّبُّ[٥١]؟!
٢- فَقُلْ لِمُحِبٍّ نَبَّهَ الرَّكْبَ سَائِلا
وَنَامَ: نَعَمْ قَدْ يَقتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ[٥٢]

(٩)

وقال[٥٣]: [من الطَّويل]

١- أظنّ الصَّبا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ هُبُوبُها
فَمِنْ نَشْرِ لَيْلَى قَدْ تَضَوَّعَ طِيبُهَا
٢- وَمِن عَجَبٍ أنْ صَافَحَتْهَا وَسَلَّمَتْ
عَلَيها وَلَم يَشْعُرْ بِذَاكَ رَقِيبُهَا

٣- وَلَوْ أَنَّها مِمَّا يُرَى كَانَ صَدَّها الـ
غَـيـورُ ولـم يـبْـلـغْ إِلَـيَّ هُبُوبُـهُـا

[قافية الحاء]

(١٠)

وقال[٥٤]: [مِنَ السَّرِيعِ]

١- قَدْ حَجَّبوا البِيضَ بِبِيضِ الصِّفَاحْ
ومـنّـعُـوا الـسُّـمْـرَ بـسُـمْـرِ الـرِّمـاحْ
٢- وَأَطْـبَـقُـوا أَصْـدَافَ أَسْـجَـافِـهِـمْ
فَمَا تَرَى شَمسُ الصَّبَاحِ الصِّباحْ[٥٥]...
٣- غَـارُوا مِن النَّكْبَاءِ تَسْرِي فُهمْ
لَـوْ رَقَـدُوا سَـدُّوا مَـهَـبَّ الـرِّيـاحْ
٤- يُثْبِتُ تَـأْلِـيفُ الـهَـوَى حُسْنَهَا
وَقَـدَّهـا لـلـصَّـبـرِ إِنْ مَـاحَ مَـاحْ
٥- وَطَـرْفُـهَـا مُـسْـكِـرَةٌ خَـمْـرُهُ
إِذَا أُدِيـرَتْ وَهْـوَ يَـا صَـاحِ صـاحْ
٦- أَمُـدُّ قَـلْـبِـي نَـحْـوَ كَـاسَـاتِـهَـا
رَشْـفًـا إِذَا مُـدَّتْ إِلَـى الـرَّاحِ رَاحْ
٧- وَاضِـحُـهـا مُـوضِـحُ عُـذْرِي فَمَا
يَـلُـومُـنِـي فِـيـهَـا إِذَا لَاحَ لاحْ

(١١)

وقال[٥٦]: [مِنَ السَّرِيعِ]

١- والـنَّـوْرُ قَـدْ شَـمَّـرَ أَكْـمَـامَـه
وَمَـجَّ رِيـقَ الـطَّـلِّ ثَـغْـرُ الأَقَـاحْ
٢- وَوَجْـنَـةُ الـوَرْدِ لَـهـا خَـجْـلَـةٌ
قَـدْ شَـبَّـهُـوهُـا بِـخُـدُودِ الـمِـلاحْ

(١٢)

وقال[٥٧]: [من الخفيف]

١- سَـفَـرَتْ عَـن جَبِينِهَا الـوَضَّـاحِ
فَـأَرَتْـنَـا بـاللَّـيـلِ ضَـوْءَ الـصَّـبَـاحِ
٢- أَبْدَتِ الشَّمْسُ في الظَّلامِ فَقَالَ النـ
ـنـاسُ: سُـبْـحَـانَ فَـالِـقُ الإِصْـبَـاحِ
٣-جُـمِـعَـتْ عِـنْـدِي الـصَّـبَـابَـةَ لما
جُـمِـعَـتْ عِـنْـدَهـا صِـفَـاتُ الـمِـلَاحِ
٤- قُلْتُ لمَّا زَارَتْ عَلَى غَيرِ وَعْدٍ
تَـتَـهَـادَى كَالغُصْنِ تَـحْـتَ الـرِّيَـاحِ:
٥- مَرْحبًا بِالَّتِي أَبَـادَتْ هُمُومِي
وَغُـمُـومِـي وَأَبَّـدَتْ أَفْـرَاحِـي[٥٨]
٦- أَيُّـهَـا الَّـلائِـمِـي عَـلَـى حُبِّهَا أقـ
ـصِـرْ فَمَا أَنْـتَ فِيهِ مِـنْ نُصَّاحِي!
٧- مُقْلَةُ الظَّبْيِ، سَالِفُ الرِّيمِ قَدُّ الـ
ـغُصْنِ، خَدُّ الشَّقِيقِ، ثَغْرُ الأَقَاحِ[٥٩]

(١٣)

وقال[٦٠] مُلْغزًا فِيمَن اسْمه (يُوسُف):[مِنَ الكَامِل]

١- يَا سَائِلِي مَا اسْمُ الَّذِي أَحْبَبْتُهُ
إِنِّـي بِسِرِّ هَـوَاهُ غيرُ مُـصَـرِّحِ[٦١]
٢- لَـكِـن إِذا فَـكَّـرْتَ فِـيـهِ وَجَـدْتَـهُ
مَعْكُوسَ سَابِعِ لَفْظَةٍ مِنْ(سَبِّحِ)[٦٢]

مقالات

(١٤)

وقال[٦٣]:[من الطَّويل]

١- وأكتمُ مَا أَلْقَى وَدَمْعِي يُذِيعُهُ
وَقَدْ نَطَقَتْ مِنْه بِهِ أَلْسُنٌ فُصْحُ

٢- وَيَقْدَحُ أَجْفَانِي مِن الدَّمْعِ شَاهِدٌ
يُزَكِّيه في حُكْمِ الهَوَى القَذْفُ وَالقَدْحُ

[قافية الدال]

(١٥)

وقال[٦٤]: [من الرَّجز]

١- نَاعِمَةٌ أَطْرَافُهَا بَدِيعَةٌ
أَوْصَافُهَا لِحُسْنِهَا البَدْرُ سَجَدْ

٢- عَانَقْتُهَا فَخَلَّتْ دُرَّ عِقْدِهَا
في نَحْرِهَا يَوْمَ النَّوَى دَمْعِي جَمَدْ

(١٦)

وَقَالَ[٦٥] يَمْدَحُ (العِمَادَ الأَصْفَهَانِيّ): [مِنَ السَّرِيع]

١- إنّ مَنْ أَمرضتُمُ لا يُعَادْ
فاسْتَمِعُوا عَنْهُ حَدِيثًا يُعَادْ[٦٦]

٢- واستَخْبِرُوا رِيحَ الصَّبَا هَلْ صَبا
إلى سَواكُمْ أَوْ عَنِ الِحَدِّ حَادْ؟

٣- وَهَلْ هَواءٌ مُخْبِرٌ عَن هَوًى
يُقْصَرُ، فَالوَجْدُ بِهِ ذُو امتِدَادْ؟

٤- إنْ قَلَّ يَومَ البَيْنِ صَبْرِي فَقَدْ
أَضْحَى سَقَامِي بِكُمُ ذَا ازْدِيَادْ

٥- أَظَلُّ مِنْ فَرْطِ ضَلالِي أَسِ
أَسْأَلُ عَنْ أَخْبَارِكُمْ كُلَّ غَادْ

٦- مَا ضَرَّكم لَو طَافَ بِي طَيْفُكُم
وَهَلْ يَزُورُ الطَّيفُ إلفَ السُّهَادْ؟!

٧- فَإِنْ سَمَحْتُم بِسُرَاه إلى
أَسِيرِكُم، فَلْتَأْذَنُوا بالرُّقَادْ

٨- يا سَاكِنِي قَلْبِيَ، يَا سَاكِبِي
مَاءً بِجَفْنِي، يَا مُضيعِي الوِدَادْ

٩- كَيفَ تَجُورُونَ عَلَى جِيرَةٍ
وَقَدْ حَلَلْتُمْ مِنْهُمُ في السَّوادْ

١٠- ضَنَّتْ سُلَيمَاكُم بِتَسْلِيمِهَا
وَلَمْ تُسَاعِدْنَا بِوَصْلٍ سُعَادْ

١١- وَاهًا لِوَصْلٍ بالجَفَا مَا وَفَى
مِنْكُمْ، وَقُرْبٍ بالقِلَى مَا أَفَادْ

١٢- إذا دَنَوْتُمْ وَنَأَى وَصْلُكُمْ
سِيّانَ عِنْدِي قُرْبُكم والبِعَادْ

١٣- أَبْلَغْتُمُ الأَعْدَاءَ فيَّ المُنَى
وَنَالَ مِنِّي حَاسِدِي مَا أَرَادْ

١٤- يَا طِيبَ أَيَّامٍ مَضَتْ بالحِمَى
وعَيْشِنَا بالخَيْفِ لَوْ كان عَادْ

١٥- مَرّ كَأَيَّامِ الصِّبَا وَانْقَضَى
وَكَانَ أَشْهَى مِنْ بُلُوغِ المُرَادْ

١٦- وَشَادِنٍ دَامَ ثَنَائِي عَلَى
قَوَامِهِ لَمَّا تَثَنَّى وَمَادَ

١٧- رِيمٌ رَمَانِي بِشَبَا لَحْظِهِ
وَصَدَّ عَنِّي حِينَ للقَلْبِ صَادْ[٦٧]

١٨- جَرَّدَ سَيْفًا جَفْنُه جَفْنُه
يَزِينُه مِن عَارِضَيْه نِجَادْ[٦٨]

١٩- قَدْ كَتَبَ الحُسْنُ عَلَى خَدِّهِ
خَطًّا لَه أَسْودُ قَلْبِي مِدَادْ

٢٠- ظَبْيٌ تَصِيدُ الأُسْدَ أَلْحَاظُهُ
يَا لِأُسُودٍ بِظِبَاءٍ تُصَادْ

٢١- يَقْتُلُ مَنْ أَضْحَى لَه عَاشِقًا
ولا يعافُ القَتْلَ مَن لا يُقَادْ

٢٢- يَا صَنَمًا كُلُّ مُحِبٍّ لَهُ
مِنْ حُسْنِهِ يَعْبُدُهُ أَوْ يَكَادْ[٦٩]

٢٣- رَاقَتْ مَعَانِيهِ وَأَوْصَافُه
فَأَشْبَهَتْ رِقَّةَ مَاءِ الثِّمادْ[٧٠]

٢٤- دقَّتْ عَنِ الأَفْهَامِ حَتَّى حَكَتْ
عِبَارَةَ المَوْلَى الأَجَلِّ العِمَادْ

٢٥- الوَاضِحُ المشْكِلَ مِن عِلْمِهِ
للخَلْقِ، وَالنَّاهِجُ سُبلَ الرَّشَادْ

٢٦- هَدَاهُ بَلْ أَهْدَاهُ رَبُّ الوَرَى
فَهْوَ لمنْ ضَلَّ عَنِ الحَقِّ هَادْ

٢٧- جِدَالُهُ يُنْبِيكَ عَنْ خَاطِرٍ
يَفُلُّ غَرْبَ العَضْبِ يَوْمَ الجِلادْ

٢٨- يَا مَنْ غَدا دِينُهُمُ وَاحِدًا
وَاخْتَلَفَ المَذْهَبُ والاعْتِقَادْ

٢٩- دَعُوا الدَّعَاوَى وَإِلَيْهِ ادَّعُوا
فَإِنَّمَا تَقْلِيدُه الإِجْتِهَادْ

٣٠- واعْتَمِدُوا تَسْلِيمَ مَا قَالَهُ
لِتَرْبَحُوا مِنْهُ عَنَاءَ العِنَادْ

٣١- كَبْتُ الأَعَادِي مَا حَوَتْ كُتْبُهُ
مِن حِكَمٍ تُحْيِيهِ حَتَّى المَعَادْ

٣٢- مَا رَوْضَةٌ غَنَّاءُ، أَشْجَارُهَا
أَضْحَى قَرِيبًا عَهْدُهَا بالعِهَادْ[٧١]

٣٣- أَغَاثَهَا الغَيْثُ وَأَحْيَا الحَيَا
مَا كَانَ مِنْهَا قَدْ تَعَفَّى وَبَادْ

٣٤- إِذا بَكَى الغَيْثُ بِهَا يَلْبَسُ الـ
بَنَفْسَجُ الغَضُّ ثِيَابَ الحِدَادْ

٣٥- وَالقَطْرُ لمَّا عَمَّ أَقْطَارَهَا
عَمَّمَ بالنَّبْتِ رُؤوسَ النِّجَادْ[٧٢]

٣٦- وَكُلُّ غُصْنٍ قَدْ نَشَا وَانْتَشَى
مُنذُ تَرَبَّى في مُهُودِ المِهَادْ

٣٧- تَخْتَالُ تِيهًا بالصِّبَا لا الصَّبا
والزَّهرُ يُزْهَى إِذا لَهُ الجَوْد جَادْ

٣٨- أَبْهَجَ مِمَّا أَوْدَعَتْ طِرْسَهُ
يَدٌ لَهَا مِنْه عَلَيْنَا أَيَادْ

٣٩- وَخَاطِرٌ يُشهِدُنَا أَنَّهُ
أَفْصَحُ مَن يَنْطِقُ عِلْمًا بِضَادْ

٤٠- يَقْدَحُ فِكْرًا مَا خَبَتْ نَارُهُ
قَطُّ وَلا تَصْلِدْ مِنْه الزِّنَادْ[٧٣]

٤١- أَقْلامُهُ أَضْحَتْ بِهَا قِسْمَةُ الـ
أَرْزَاقِ والآجَالِ بَيْنَ العِبَادْ

٤٢- طَابَ نِجَادًا وَزَكَا مَحْتِدًا
وَشَادَ بُنْيَانَ المعَالِي وَسَادْ[٧٤]

٤٣- أَيَا عِمَادَ الدِّينِ يَا مَنْ بِهِ
قَدْ رَاجَ سُوقُ الفَضْلِ بَعْدَ الكَسَادْ

٤٤- أَنــتَ جَــوَادٌ وِردُ إِنــعَـامِـهِ
وَارِدُه لَـمْ يَخْشَ يَوْمًا جُــوَادْ[٧٥]...

٤٥- وَكَـيْـفَ أُهـدِي نَـحْـوَه مِـدْحَـةً
وَلَـفْـظُـهَـا مِـنْ فَـضْـلِـهِ مُـسْـتَـفَـادْ؟!

٤٦- أَتَـتْـهُ فِـي وَزْنٍ سَـرِيـعٍ إِلـى
خِـدْمَـتِـهِ تَـسْـعَـى بِـغَـيـرِ اتِّـئَـادْ

٤٧- رَوِيُّــهـا رَوَّاه إِنْـعَـامُـهُ
فَـمَـا لَـهَـا ،لَــوْلاه، قُــوْتٌ وَزَادْ...

٤٨- فَـاسْـلَـم لِـعَـبْـدٍ أَنْـتَ أَنْـشَـأْتَـهُ
فَـهْـوَ بِـمَـا أَوْلَـيْـتَـهُ ذُو اعْـتِـدَادْ

٤٩- وَعِـشْ سَمِيَّ المصْطَفَى رَاقِيًا
ذُرَى المعَالِي، وَالعِدَى فِي الوِهَادْ

(١٧)

وقال[٧٦] من أبيات: [من الطَّوِيل]

١- ويـا حَبَّذا أَكْـنَـافُ جِلَّقَ مَـنْـزِلا
فَفِيها الزَّمَانُ الرَّغْدُ والعَيْشُ أُرْغَدْ!

٢- وَقَدْ زَخْرَفَتْ أَيْدِي الرَّبيعِ جِنَانَهَا
فَـأَزْهَـارُهـا دُرٌّ عَـلاه زَبَـرْجَـدْ

٣- كَأَنَّ الصَّبَا تَسْقِي الغُصُونَ هُبُوبُهَا
كُــؤُوسَ مُــدَامٍ فَـهِـي لِلسُّكْرِ مُـيَّـدْ

٤- فَلا غُصن إِلَّا وَهو قَدٌّ مُهَفْهَفٌ
مِـنَ الــوَرْدِ فِـي أَعْـلاه خَـدٌّ مُـوَرَّدْ

٥- تَخَالُ بِهَا ثَغْرَ الأَقَاحِيِّ بَاسِمًا
صِـغَـارَ لآلٍ حَــوْلَ تَـبْـرٍ مُـنَـضَّـدْ

٦- وَتَحْسَبُ فِيهِنَّ الشَّقَائِقَ سُحْرَةً
شَوَابِيرَ نَدٍّ تَحْتَهَا الجَمْرُ يُوقَدْ[٧٧]

٧- وَمِنْ زَهْرِ الخَشْخَاشِ فَوْق زُمُرُّدٍ
عَقِيقٌ وَدُرٌّ فِي الرِّيَاضِ مُبَدَّدْ[٧٨]

٨- وَيُطْرِبُ فِي أَشْجَارِهِ كُلَّ سَامِعٍ
هَـزَارٌ إِذا نَـاحَ الحَمَامُ يُـغَـرِّدْ[٧٩]

(١٨)

وقال[٨٠]: [من الطَّوِيل]

١- إِذا شَاقَنِي تَذْكَارُ خَدٍّ مُوَرَّدٍ
أَرَاقَتْ جُفُونِي دَمْعُهُنَّ مُوَرَّدَا

٢- فَلا تَحْسَبُوا مَاءُ دُمُوعِي لِبَيْنِكُمْ
فَقَلْبِي بِنَارِ الهَجْرِ ذَابَ مُصَعَّدَا!

(١٩)

وقال[٨١] من قصيدة: [من الطَّوِيل]

١- و يا حَبَّذَا عَهْدُ الشَّبَابِ الذي مَضَى
و يَا حَبَّذا أَكْنَافُ جِلَّقَ مَعْهَدَا

٢- وَرَوضٌ بَأعلى النَّيربينِ مُفَوَّفٌ
كَسَا حُسْنَه آذارُ حُسْنًا مُجَدَّدَا[٨٢]

٣- وَأَبْرَزَ دُرَّ القَطْرِ مِن صَدَفِ الثَّرَى
فَنَظَّم في الأَغْصانِ مَا كَانَ بُدَّدَا

٣- تَحَلَّتْ بِهِ الأَغْصَانُ زَهْرًا حَسِبْتُه
عَلَى كُلِّ غُصْنٍ لاحَ عِقْدًا مُنَضَّدَا

٤- فَبَيْنَا تَرَاهَا مُزْهِرَاتٍ لآلِئا
إِلى أَنْ تَرَاهَا مُورِقَاتٍ زَبَرْجَدَا

٥- وَنَهْرٍ يَلَذُّ العَينَ وَالفَمَّ مَاؤُه
فَأَكْرِمْ بِهِ مَرْأًى بَهِيجًا وَمَوْرِدَا

٦- تَرَى مِنْهُ سَيْفًا مُصْلَتًا في انسِيَابِهِ
وإن جَعَدَتْهُ الرِّيحُ دِرْعًا مُـزَرَّدَا(٨٣)

٧- حَكَى فِضَّةً في اللَّيلِ وَالبدرُ فَوْقَه
ولمَّا عَلَتْهُ الشَّمْسُ أَشْبَه عَسْجَدَا

٨- فَقَدْ غَاضَ مِنه النّيلُ غَيْظًا وَغَيْرَةً
فَللغَيظِ مِمَّا جُنَّ أَرْغَا وَأَزْبَدَا

(٢٠)

وقال في (مُحْيي الدِّين ابن الزَّكي)(٨٤): [مِنْ مَجْزُوءِ الكَامِلِ]

١- قُلْ لِلزَّكِيِّ المرتَضَى
ذُخْرِ الوَرَى بَلْ ذِي الأَيَادِي

٢- يَا مَنْ غَدَا شُكْرِي لَهُ
كَفَرِيضَةٍ بَينَ العِبَادِ

٣- قَدْ كِدْتُ أَنْسخُ شُكْرَهُ
لَولاهُ فِي جَاهِ الوِدَادِ

(٢١)

وقال(٨٥): [مِنَ الكَامِلِ]

وَكَأَنَّمَا التُّفَّاحُ والرُّمَّانُ مُحْـ
ـمرًا خدودٌ غَضَّةٌ وَنُهُودُ

(٢٢)

وقال(٨٦): [مِنَ الكَامِلِ]

والعَرْشُ عَرْشٌ في سَمَاءِ زُمُرُّد
أَضْحَى ثُرَيَّا أُفْقِهَا العنقُودُ

(٢٣)

وقال(٨٧): [مِنَ الكَامِلِ]

١- كَتَمَ الغَرَامَ فَهَلْ يَصِحَّ جُحُودُ
وَالسُّقْمُ قَاضٍ والدُّمُوعُ شُهُودُ

٢- أَجْرَى الهَوَى إِنْسَانَ نَاظِرِهِ دَمًا
فَكَأَنَّه في جَفْنِهِ مَفْصُودُ

(٢٤)

وقال(٨٨): [مِنَ الكَامِلِ]

والزَّهْرُ تَحْسَبُه عُقُودًا نُظِّمَتْ
بِيَدِ الرَّبِيعِ وَكُلُّ غُصْنٍ جِيدُ

(٢٥)

وقال(٨٩): [من الطَّوِيل]

١- غَرَامِي وَدَمْعِي سَائِقٌ وَشَهِيدُ
وَقَلْبِي وَطَرْفِي شَائِقٌ وَسَهِيدُ(٩٠)

٢- أَحِنُّ إِلَيْكُم وَالمَهَامِهُ بَيْنَنَا
فَوُدِّي قَرِيبٌ وَالمَزَارُ بَعِيدُ

٣- أَحْبَابَنَا مَا باخْتِيَارِي تَرَكتكُمْ
وَمَا لِي عَن حُكْمِ الزَّمَانِ مَحِيدُ

٤- عَسَى طِيبُ أَيَّامِ الوِصَالِ يَعُودُ لِي
وَمُمْرِضُ جِسْمِي بالفِرَاقِ يَعُودُ

٥- ألا مبلغٌ جيرون عَنِّي لَوْعَتِي
وَهَلْ لِي إلى بَابِ البَرِيدِ بَرِيدُ(٩١)

٦- مَرَاتِعُ لَهْوِي بَيْتُ لِهْيَا وَسهمها
وَنَيْرَبُهَا لا حَاجِرٌ وَزَرُودُ(٩٢)

٦- يُثِيرُ غَرَامِي مَاءُ ثَوْرا تَذَكُّرًا
كَمَا يَحْوِي قَلْبِي مِن يَزِيدَ يَزِيدُ(٩٣)

٧- وَإِنِّـــيَ مُـذْ فَـارَقْـتُـهَـا لمتيَّمٌ
فَـجِـلَّـقُ مَـــاءٌ والـصَّـعِـيـدُ صَعِيدُ

(٢٦)

وقال[٩٤]: [من المجتث]

١- إِنَّ ابـــنَ زَيْـــنَـــبَ رامٍ
لَـــــهُ مَـــــــرَامٍ بَـــعِـــيـــدَهْ

٢- يَـــرِيـــشُـــنِـــي بِـــسِـــهَـــامٍ
تَـــجِـــيءُ غَـــيـــرَ سَـــدِيـــدَهْ

٣- والـلـــهِ إِنْ لَـــمْ يَـدَعْـنِـي
لأَخْـــصِـــيَـــنَّ عَـــبِـــيـــدَهْ

[قافية الذال]

(٢٧)

وقال[٩٥] مُتَغَزِّلا: [مِنَ الكَامِل]

١- رُسُلُ اللِّحَاظِ إلى الخَوَاطِرِ تُنْفَذُ
وَسِـهَـامُـهـا فـي كُـلِّ قَـلْـبٍ تَـنْـفُـذُ

٢- وَمِنَ العَجَائِبِ وَهي تُصْمِي مُهْجَتِي
أَنِّـــي بِـــوَقْـــعِ سِـهَـامِـهَـا أَتَـلَـذَّذُ

٣- إنَّ السِّهَامَ لَتُخْطِئُ المرْمَى سِوَى
سَـهْـمٍ، بِـأَهْـدَابِ الجُفُونِ يُـقَـذَّذُ[٩٦]

٤- وَبِمُهْجَتِي صَـاحٍ يُعَرْبِدُ لَحْظُهُ
تِـيـهًـا عَـلَـيَّ فَـطَـرْفُـهُ مُـتَـنَـبِّـذُ

٥- رَشَأٌ يَصِيدُ بِحُسْنِهِ مُهَجَ الوَرَى
وَعَـلَـى الـعُـقُـولِ بِـسِـحْـرِهِ يَسْتَحْوِذُ

٦- تَحْوِي القُلُوبَ بِخِفَّةٍ وَصِنَاعَةٍ
أَجْـفَـانُـهُ فَاللَّحْظُ مِـنْـهُ مُـشَـعْـبِـذُ[٩٧]

٧- سِحْرٌ بِـهِ فَتَنَ الأَنَـامَ فَحَقُّ هَا
رُوتَ الإِمـــامِ لِـجَـفْـنِـهِ يَـتَـتَـلْـمَـذُ[٩٨]

٨- مَقْبُولُ شَخْصٍ بالعُيونِ مُقَبَّلٍ
مَـوهُـوبُ حَسْنٍ بِالأَمَانِي يُجْبَذُ[٩٩]

٩- مِيعَادُهُ مِثْلُ السَّرَابِ وَوَصْلُـهُ
بالقَوْلِ لا بالفِعْلِ فَهْو مُطَرْمِذُ[١٠٠]

١٠- مِنْ طَبْعِ أَهْلِ الشَّام قَاسٍ قَلْبُهُ
لَـكِـنَّـهُ فـي دَلِّـــهِ يَـتَـبَـغْـدَذُ[١٠١]

١١- يَا نَظْرَةً قَدْ أَعْقَبَتْنِي حَسْرَةً
طَـرْفِـي جَـنَـى فَـعَـلامَ قَلْبِي يُـؤْخَـذُ؟

١٢- وَجْدِي بِهِ طُولَ الزَّمَانِ مُجَدَّدٌ
وَالقَلْبُ مِنْهُ بالصُّدُودِ مُـجَـذَّذُ[١٠٢]

١٣- وَالحُزْنُ مُرْدٍ في هَـوَاهُ مُـرَدَّدٌ
والخَدُّ مِن مَطَرِ الدُّمُوعِ مُـرَذَّذُ[١٠٣]

[قافية الراء]

(٢٨)

وقال[١٠٤]: [من الخفيف]

١- وَكَـــأَنَّ الـسَّـمَـاءَ رَوْضٌ أَنِـيـقٌ
أَطْـلَـعَـتْ مِـنْ نُـجُـومِـهَـا أَزْهَـــارَا

٢- أَوْ تَذَاهِيبُ في مَصَاحِفَ زُرْقٍ
نَـقَّـطُـوا فـي سُـطُـورِهَـا أَعْـشَـارَا

٣- والـثُّـرَيَّـا كَـعِـقْـدِ دُرٍّ وَهَـى سِلْـ
ـكًـا فَـقَـدْ حَـــاوَلَ الـنِّـظَـامُ انْـتِـثَـارَا

٤- أَوْ كَـعُـنْـقُـودِ كَـرْمَـةٍ أَوْ كَثَغْرٍ
أَبْـلَـجٍ لـلـحَـبِـيـبِ أَبْـــدَى افْـتِـرَارَا

شعر ابن نفاذة السُّلَمِيّ (ت:٦٠١هـ) تحقيق وتقديم وشرح

٥- وَسُهَيلٌ يَحْكِي فُـؤَادِي خُفُوقًا
مُشْبِهًا خَـدَّ مَـن هَـوَيـتُ احْـمِـرَارَا
٦- وَكَـــأَنَّ الـغَـرَّارَ غَـرَّ بِـهِ حُسْـ
نًـــا وَمـــــازَال مِـثـلَـهُ غَـــرَّارَا

(٢٩)

وقال[١٠٥]: [من الرَّجز]

١- وَكَـانَ دَمْعِي لُـؤْلُـؤًا وَقَـدْ جَرَى
مِنْهُ، وَقَدْ جَارُوا، عَقِيقًا أَحْمَرَا[١٠٦]
٢- وَغَـــادَرُوا في كَـبِـدِي نَـارَ أَسًى
وَفِـي جُـفُـونِـي غَـدْرَ مَـنْ قد غَـدَرَا

(٣٠)

وقال[١٠٧]: [من الطَّويل]

١- وَكُنْتُ أُسِرُّ الوَجْدَ في القَلْبِ جَاهِدًا
وَهَـذا لِـسَـانُ الـدَّمْـعِ قَـدْ قَالَه جَهْرَا
٢- وَقَدْ طَارَ مِنْ جَفْنِي شَرَارُ مَدَامِعِي
فَحَقِّقْ صَحْبِي أَنَّ فِي كَبِدِي جَمْرَا

(٣١)

وحضر القاضي (مُحْيي الدِّين أبو حامد محمد ابن محمد بن الشهرزوري) مجلس السلطان الملك الناصر (صلاح الدين يوسف بن أيوب)، وتفاوضوا في أحسن البلاد، فقال القاضي أنا أحكم لدمشق، وما أجعل هذه مسألة خلاف، فقال (ابن نفاذة السلمي)[١٠٨]: [من الخفيف]

١- زَارَنِـي والنُّجومُ يَنْظُرنَ شَـزْرا
والدُّجَى أَسْبَلَتْ عَلَى الصُّبْحِ سِتْرَا[١٠٩]
٢- وَجُيُوشُ الظَّلامِ تَرْكُضُ نَحْو الـ
ـفَـجْـرِ خَيْلا دُهْـمًـا وَتَـرْجِـعْـنَ شُقْرَا
٣- كَتَمَ اللَّيلُ فَـجْـرَه فَحَكَى الشَّرْ
قُ ضَمِيرًا يُخْفِي مِن الصُّبْحِ سِرًّا
٤- جَعَلَتْ شَرْقَهَا الغَزَالَةُ في اللَّيـ
ـلِ كُنَاسًا إِذْ ظَنَّتِ النَّسْرَ صَقْرَا[١١٠]
٥- وَنَـثَـرْنَ الأَفْـلاكَ إِذْ جَـلا البَدْ
رُ عَـلَـيـهِ مِـن الـكَـوَاكِـبِ دُرَّا
٦- فَـكَـأَنَّ الـسَّـمَـاءَ رَوْضٌ أَنِـيـقٌ
مُطْلِعٌ مِن لَوَامِعِ الزُّهْرِ زَهْـرَا[١١١]
٧- وَكَـأَنَّ النُّجُومَ غَرْقَى وَقَـدْ خَا
ضَتْ إلى الصّبح في الدُّجُنَّةِ بحْرَا
٨- غَير بِدْعٍ للحُوتِ وَالسَّرَطَانِ الـ
ـعَـوْمُ إِذْ جَـرَّتِ المَجَرَّةُ نَـهْـرَا[١١٢]
٩- فَـكَـأَنَّ الـمـريـخَ وَجْـنَـةُ خَجْلا
نَ وَقَـلـبَ الـجَـانِـي يُـحَـاوِلُ عُـذْرَا
١٠- زَارَ والصُّبْحُ مَا أَمـاطَ لِثَامَ الـ
ـلـيـل عَـنْ شَـرْقِـهِ وَلَا حَـلَّ زِرَّا
١١- طَارِقًا في الدُّجَى يُعَاتِبُنِي قَا
لَ: مَتَى كَـانَ مُـدَّعِـي الحُبّ نكْرَا؟
١٢- شَـادِنٌ حُبُّه مَتَى حَـلَّ صَـدْرًا
رَحَّـلَ الـقَـلْـبَ كَـارهًـا وَالـصَّـبـرَا
١٣- بَابِلِيُّ الأَجْفَانِ يُهْدِي إِلَى هَا
رُوتَ مِنْهُ باللَّفْظِ وَاللَّحْظِ سِحْرَا
١٤- هَبْ غَرَامِي بالخَصْرِ أَلْبَسَنِي السُّقْـ
ـمَ فَمَن أَلْبَسَ السَّقَامَ الصَّخْرَا ؟

مقالات

١٥- لَبِسَ العِقْدَ بَاسمًا فَحَسِبْتُ الثـ
ـغرَ عِقْدًا عَلَيهِ والعِقْدَ ثَغْرَا

١٦- وَأرَانا الإكْلِيلَ والطَّرفَ والجَبْـ
ـهَةَ منه وَعَقْرَبَ الصُّدْغِ بَدْرَا

١٧- كُلُّهَا مِن مَنَازِلِ البَدْرِ لَكِن
مَا رَأَيْنَاه حَلَّ فِيهِنَّ طُرَّا

١٨- فَجَلا حِينَ هَبَّ مِنْه نَسِيمُ الـ
ـوصلِ عَنْ خَاطِرِي هَجِير الهُجْرَا[١١٣]

١٩- فَظَنَنْتُ النَّسِيمَ مَرَّ عَلَى أَرْ
ضِ دِمشْق فَازْدَادُوا طِيبًا وَنَشْرَا

٢٠- في زَمَانِ الرَّبيعِ في شَهْرِ آذا
رَ فَأَكْرِمْ بِهِ زَمَانًا وَشَهْرَا

٢١- عُجْ بِسَطْرَى وَبَيْتِ لِهْيَا اتَّخِذْهَا
بَيْتَ لَهْوٍ وَأَجعَلْ مَقَرَّكَ مَقْرَى[١١٤]

٢٢- وَزُرِ النَّيْرَبَيْنِ وَالشَّرَفَ الأَعْـ
ـلى وَشَاهِدْ مَيْدَانَه وَالقَصْرَا

٢٣- وَكَأَنَّ الرِّيَاضَ ثَمَّ سَمَاءٌ
أَطْلَعَتْ مِن بَدَائِعِ الزَّهْرِ زُهْرَا

٢٤- وَكَأَنَّ الرَّبِيعَ مَدَّ مِنَ السُّنْـ
دسِ بَسْطًا عَلَى البَسِيطَةِ خُضْرَا

٢٥- وَبُكاءُ الغَمَامِ قَدْ أَضْحَكَ النَّو
رَ بِدَمْعٍ مِن قَطْرِهِ فَافْتَرَّا[١١٥]

٢٦- وَكَأَنَّ الأَزْهَارَ تَبْعَثُ دَارِيـ
نَ إِلَيْهَا مَعَ النَّسِيمِ العِطْرَا[١١٦]

٢٧- نَرْجِسٌ قَدْ حَكَى النَّوَاظِرَ شَهْلا
وَشَقِيقٌ كَالنَّدْ يَعْلُو الجَمْرَ[١١٧]

٢٨- حَسُنَتْ فَهْيَ جَنَّةُ الخُلْدِ للنَّا
سِ مُقَامًا وَ(حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا)[١١٨]

٢٩- فَاخَرَتْهَا بَغْدَادُ جَهْلا وَمَن قا
سَ بها جِلَّقًا فَقَدْ جَاءَ إمْرَا[١١٩]

٣٠- وَتَوَالى الخِصَامُ بَيْنَهُمَا وَالـ
ـغرُّ يُمْسِي بِبَاطِلِ القَولِ مُغْرَى

٣١- فَأَتَتْ جِلَّقٌ بِفَصْلِ خِطَابٍ
أَطْلَعتْ مِنْه لِلبَصَائِرِ فَجْرَا

٣٢- أَتى قَاضِي القُضَاةِ مَوْلاي مُحْيِي الدّ
ينِ أَوْفَى الأَنَامِ عِلْمًا وَقَدْرَا

٣٣- حَاكِمٌ لِي بِالفَضْلِ وَالدَّهْرُ لا يطْـ
ـمعُ في نَقْضِ حُكْمِه إن أَمَرَّا[١٢٠]

(٣٢)

وقال[١٢١]: [من الخفيف]

١- زَارَنِي في مَلاءة الدَّيجور
طيفُ سُعْدَى وَاللَّيْلُ مُرْخَى السُّتُورِ

٢- رَاهِبٌ مِن رَقِيبِهِ لَبِس الغَيْـ
ـهَبَ مِسْحًا يُخْفِيهِ خَوْفَ الغَيورِ[١٢٢]

٣- قَمَرٌ زَارَ في الظَّلامِ وَهَلْ تُخْـ
ـفي الدَّيَاجِي إِشْرَاقَ نُورِ البُدُورِ؟

٤- فَوَشَى حُسْنُه وَمَزَّقَ جِلْبَا
بَ الدُّجَى وَجْهُه بِصُبْحٍ مُنيرِ[١٢٣]

٥- ظَنَّنِي راقِدًا وَأَيْنَ مِن الإغـ
ـفاءِ جَفْنُ المُتَيَّمِ المَهْجُورِ؟

شعر ابن نفاذة السُّلَمِيّ (ت:٦٠١هـ) تحقيق وتقديم وشرح

٦- طَمَعُ العَينِ في الـغِـرَارِ إذا مَا
غَابَ عَنْهَا الحَبيبُ عَينُ الغُرُورِ[١٢٤]

٧- غَيْرَ أَنِّـي أطبقتُ جَفْنِي لأصطا
دَ وِصَـــالا زُورًا بِـنَـوم زُورِ

٨- صَاحِ طَلِّقْ عُرْسَ الهُمُومِ بأُخْتِ الشـ
شمسِ بِـنْـتِ الـدِّنَـانِ أُمِّ الـسُّـرُورِ

٩- في أراضي سَطْرَى فَمَقْرَى إلى السَّهـ
مِ إلـى الـنَّـيْـرَبَـيـنِ فَـالـسُّـطـورِ

٩- حَـبَّـذَا حَـبَّـذا بِـجِـلَّـقَ مَـشْـتًـا
وَمَـصِـيـفًـا فـي بَـرْدِهـا وَالـهَـجِـيـرِ

١٠- صَيْفُها بَارِدُ النَّسِيمِ مَدِيدُ الظـ
ظِـلِّ كَالضَّيفِ في الـمُقَامِ القَصَيرِ

١١- وَزَمَـانُ الخَرِيفِ فَهو رَبِيعٌ
فَـائِـحٌ طِـيـبُـه كَـنَـشْـرِ الـعَـبـيـرِ

١٢- فِيهِ كُلُّ الثِّمَارِ تُجْنَى وَتُجْبَي
مِـن بَسَاتِينِ رَيعِهَا المعْمُورِ[١٢٥]

١٣- فَكَأَنَّ الأَوْرَاقَ صُفْرًا وَحُمْرًا
نُـسِـجَـتْ مِـن مُـصَـبَّـغَـاتِ الـحَـرِيـرِ

١٤- وَلِـفَـصـلِ الـشِّـتَـاءِ فَـضْـلانِ:
الغَيْثُ يَـأْتِـي بالخَصْبِ أَيَّ بَشِيرِ

١٥- فَكَأَنَّ الثُّلُوجَ إذَا سَحَقَتْهَا الر
رِيـحُ حَتَّى تَسَاقَطَتْ كَـالـذُّرُورِ[١٢٦]

١٦- وَغَـدَا مُعْشِبًا بِهَا عَنْبَرُ الأَرْ
ضِ نُـثَـارٌ قَدْ فُـتَّ مِـن كَـافُـورِ[١٢٧]

١٧- وَكَـأَنَّ الجَلِيدَ نَحْوَ عُيُونِ الـ
مَـاءِ أَهْـدَى مَـكَـاحِـلَ الـبِـلّـورِ

١٨- وَطُيورَ السَّمَاءِ تَهْوِي مِن الـ
بُـرْدِ وَتَـهْـوَى حَـرَارَةَ الـتَّـنُّـورِ

١٩- وَتُرِيكَ الرِّيَاضَ ضِحْكًا إذَا مَا
ذَرَفَـتْ أَدْمُـعُ الـسَّـحَـابِ المطِيرِ

٢٠- وَأُدِيـرَتْ كَأْسُ الغَوَادِي فَلِلأَغْـ
صَانِ في الرَّوْضِ نَشْوَةُ المخْمُورِ[١٢٨]

٢١- وَلِـوَاشِـي النَّسِيمِ فِي نَيْرَبَيهَا
يَـنْـرِبُ بـالـبَـنَـفْـسَـجِ الـمـمـطُـور

٢٢- وَإِذَا مَا نِيسانُ زَارَ فَقُلْ: أَهْـ
لا وَسَـهْـلا بِـهِ أَمِـيـرِ الـشُّـهُـورِ

٢٣- زَاهِـرٌ مُـزْهِـرٌ يُـواصـل فيهِ
وارِدُ الـوَرْدِ صَـادِرُ الـمَـنْـثُـورِ

٢٤- وَتَـأَمَّـلْ صُنْعَ الرَّبيعِ وَمَـا أَظْـ
هـرَ مِـن حِـكْـمَـةِ الـلَّـطِـيـفِ الخَبيرِ

٢٥- وَيَـرُوقُ الأَبْـصَـارَ مُبْتَهِجَاتٌ
بِـسَـنَـاهُ إشْـرَاقُ نَـوْرٍ وَنُـورِ

٢٦- مِنْ شَقِيقٍ يَحْكِي احْمِرَارَ خُدُودٍ
وَأَقَـاحٍ تَـحْـكِـى افْـتِـرَارَ ثُـغُـورِ

٢٧- وَلِـثَـوْرَا مِـن الـسَّـلاسِلِ وَثْـبٌ
مُـوْذِنٌ مجه بسُكْرِ الـسِّـكُـورِ[١٢٩]

٢٨- فَبِحَدْوِ الرُّعُودِ سَوْقُ السَّوَاقِي
وَلِـرَقْـصِ الأَمْـوَاهِ شَـدْوُ الطُّيورِ

٢٩- وَنَـذِيـرٍ بِالصُّلْحِ بَينَ المسرا
تِ خِـصَـامُ الـهَـزَارِ وَالـشُّـحْـرُورِ

٣٠- باصْطِخابٍ يُرِيدُ مِنْه اصطِحَابًا
واتِّـفَـاقًـا مَـا بَـيـنَ بـم وَزِيـــرِ[١٣٠]

٣١- نَـغَـمٌ كالزّمورِ بِـلْ كالمزَامِيـ
ـرِ إذا مَـا رَجَّـعن أَو كَـالـزَّبُـورِ[١٣١]

٣٢- والخَطِيبُ الشُّحْرُورُ في مِنْبَرِ الأغـ
صَـانِ يـغري بِـلَـذَّةٍ وَسُـــرُورِ[١٣٢]

(٣٣)

وقال[١٣٣]: [من الرَّجز]

١- وكـلُّ غُـصْـنٍ فِيه زَهْـرٌ نَـاجِـمٌ
كَـأَنَّـه لِـلْـعَـيـنِ نَـجْـمٌ زَاهِـــرُ[١٣٤]

٢- مُـخْـضَـرَّةٌ كَـأَنَّـهَـا زُمُـــرُّدٌ
قَـدْ رُصِّـعَـتْ خِـلالَـهُ الـجَـوَاهِـرُ

٣- وَمُقْلَةُ النَّرْجِسِ مِنْ دَمْعِ النَّدَى
سَـكْـرَى وَثَـغْـرُ الأُقْـحُـوَانِ فَـاغِـرُ

(٣٤)

وقال يمدحُ (صلاح الدِّين الأيوبي)[١٣٥]: [من الطَّويل]

١- بَدَا فِي سَمَاءِ المُلْكِ مِنْ شَخْصِكَ البَدْرُ
وَقَـابَـلَـهُ الإِقْـبَـالُ وَالـفَـتْـحُ وَالنَّصْرُ

٢- وَمُذْ حَلَّ بُرْجَ السَّعْدِ فِي خَيْرِ طَالِعٍ
وأَيْمَنِه، مِـنْ حَـوْلَـهُ الأَنْـجُـمُ الزُّهْر

٣- وَجَلَّى ظَلامَ الشِّرْكِ إِقْبَالُ نُورِهِ
فَـأَصْـبَـحَ مَـخْـذُولًا لَـهُ الـذُّلُ والقَهْرُ

٤- أَتَـى بَعْدَمَا نَـادَتْ دِمشْقُ لِبُعْدِهِ
إِلَـى رَبِّـهَـا: تَـاللـهِ مَـسَّـنِـيَ الـضُّـرُّ

٥- شَكَتْ بَـعْـدَهُ لمّا تَـوَطّـن غيرَها
وَقَالَتْ، وَكَمْ أَمْثَالُهَا: لَيْتَنِي مِصْرُ!

٦- وَكَانَت له يعقوبَ إذ هو يُوسُفٌ
فَأَضْحَتْ بِهِ تَزْهُو وَبَاشَرَها البِشْرُ

٧- إذا اسودّ خطبٌ دونه الموت أحمرٌ
أَتَـتْ بِـالأَيَـادِي البيض ألامـه الصُّفْرُ

٨- فَمُذْ ظَهَرَتْ مَنصوبةً جُزِمَتْ بِهَا
ظُهُورُ العِدَى، مِنْ رَفْعِهَا انخَفَضَ الكُفْرُ

٩- فَـلِـلّـهِ حَـمْـدٌ لَا يَـــزَالُ مُـجَـدَّدًا
عَلَى مَا حَبَا مِن فَضْلِه وَلَـه الشُّكرُ

١٠- أَتـاحَ لنَا مِنْ بَعْدِ يـأْسٍ مبرِّحٍ
مَليكًا غَدَا مِن بَعْضِ خُدَّامِهِ الدَّهرُ

١١- ولِمْ لا يجوز الأَرض شرقًا ومَغربًا
ولـلـه فـي إعـــلاء رُتْـبَـتِـهِ سِـرُّ

١٢- وكم لصَلاحِ الدِّين مُذْ كان من ندىً
إذا ضوّع النادي به خَجِل العِطْرُ؟!

١٣- فيَا مَلِكًا أَعْيَا المُلوكَ اقْتِدَارُهُ
وَتَاهَتْ بِهِ التِّيجَانُ وَالمُلْكُ وَالعَصْرُ

١٤- وَصَارَ سَمَاعُ النَّاسِ عَنْ جُودِ كَفِّهِ
عَيانًا، فَقَالُوا: صغّر الخَبَرَ الخُبْرُ

١٥- وَقَدْ أَدْنتِ الأَيَّامُ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى
وَكَـرَّ غِنَى جَـدْوَاكَ وَانْـهَـزَمَ الفَقْرُ

(٣٥)

وقال[١٣٦]: [من الرَّجز]

١- أقـلُّ وَجْـدِي مَـا تَـنَـاءوا فِكَـرٌ
وبعضُ مَـا أَلْـقَـاه فِيهم سَـهَـرُ[١٣٧]

٢- أَنحَلني الـوَجْـدُ فَجِسْمي أَلِـفٌ
لـوصْـلِ إسـقـامِـي وَلَـيْـسَ يَـظْـهَـرُ
٢- كَـأَنَّـمَـا قَلْبِي زِنَـادٌ في الهَوَى
يَـقْـدَحُـهُ الـشَّـوقُ وَدَمْـعِـي شَـرَرُ

[قافية الزاي]

(٣٦)

وقال[١٣٨] متغزلا:[من الطَّويل]

١- أَعَانُوا عَلَى القَلْبِ الجَرِيحِ وَأَجْهَزُوا
وَسَفْكَ دَمِي ظُلْمًا أَبَاحُوا وَجَوَّزُوا!
٢- هُمُ رَحَّلُوا صَبْرِي غَدَاةَ رَحِيلِهِمْ
وَسِرِّي بِوَجْدِي أَبْرَزُوا يَوْمَ بَرَّزُوا
٣- وَكُنْتُ كَنَزْتُ الدَّمْعَ ذُخْرًا لِبَيْنِهِمْ
فَأَنْفَقْتُ يَومَ البَينِ مَا كُنْتُ أَكنِزُ!
٤- يَعِزُّ - وَقَدْ بَانُوا - عَلَيَّ فِرَاقُهُمْ
وَيَعْزُبُ صَبْرِي وَالتَّجَلُّدُ يُعْوِزُ
٥- وَكَانُوا حَيَاتِي، فَارَقُونِي فَفَارَقَتْ
فَهَا أَنَا حَيٌّ فِي ثِيَابِي مُجَنَّزُ
٦- وَبِي حُبُّ مَن لا الوُدُّ يُطْلَبُ عِنْدَه
ولا الوَصْلُ مَرْجُوٌّ ولا الوَعْدُ مُنْجَزُ
٧- لِدَائِرَةِ الأَبْصَارِ مِنْ حَوْلِ وَجْهِهِ
إذا مَا بَدَا مِن نُقْطَةِ الخَالِ مَرْكَزُ
٨- لَهُ غُصْنُ قَدٍّ بالملاحَةِ مُزْهِرٌ
وَدِيبَاجُ خَدٍّ بالعِذَارِ مُطَرَّزُ
٩- هُوَ الرُّمْحُ قَدًّا واعْتِدَالا وَلَحْظُهُ
سِنَانٌ بِهِ مَا زَالَ قَلْبِي يُوخَزُ
١٠- حَكَى أَلِفَ الخَطِّ اعتِدَالُ قَوَامِهِ
وَلَكِنَّه مِن عَطْفَةِ الصُّدْغُ يَهْمِزُ
١١- لَقَدْ صَادَ قَلْبِي حُبُّه بِيَدِ الهَوَى
وَلَمْ يُجْدِ فِيهِ أَنَّنِي مُتَحَرِّزُ

[قافية الضَّاد]

(٣٧)

وقال[١٣٩] من قصيدة: [مِنَ الكَامِل]

١- مُزْنٌ تَرُوقُ فَللبُرُوقِ وَمِيضٌ
شُهِرَتْ كَمَا شُهِرَتْ صَوَارِمٌ بِيضُ
٢- بِالنَّيْرَبَينِ تَأَلَّقَتْ وَتَأَنَّقَتْ
مِنْهَا حَوَاشِي الرَّوْضِ فَهو أَرِيضُ
٣- لليَاسَمِينِ وَوَرْدِهِ مِن شَمْسِهِ
وَبِبَدْرِهِ التَّذْهِيبُ وَالتَّفضِيضُ
٤- وَكَأَنَّما زَهْرُ البَنَفْسَجِ أَزْرَقُ الـ
ـيَاقُوتِ أَوْ خَدُ بِهِ تَعْضِيضُ
٥- قَمَرَتْ قُمَارِيَةُ العُقُولِ كَأَنَّمَا
في كُلِّ غُصنٍ مَعْبَدٌ وَغَرِيضُ[١٤٠]
٦- سَمَرَتْ عَلَى سَمراتِهَا فَكَأَنَّهَا
فَقِهَتْ حَدِيثًا فَهي فيه تُفِيضُ
٧- نَاحَتْ فَبَاحَتْ بِالأَسَى وَكَتَمَنهُ
لَكِنْ لأجفَانِي بِهِ تَعْرِيضُ

[قافية الطاء]

(٣٨)

وقال[١٤١]: [مِنَ الكَامِل]

١- فَتَّاكَةَ مَا سُلَّ سَيْفُ لِحَاظِهَا
إِلَّا وَذَلَّ الشَّنْفَرَى وَتَأَبَّطُ

٢- صَنَمُ الجَمَالِ وصَادُه مِنْ عَيْنِهَا
وَالنُّونُ حَاجِبُهَا بِخَالٍ يُنْقَطُ[١٤٢]

٣- والميمُ فُوهَا، فَالحُرُوفُ تآلَفَتْ
مَكْتُوبَةً وَالصَّبْرُ عَنْهَا يُكْشَطُ[١٤٣]

[قافية الفاء]

(٣٩)

وقال[١٤٤] قصيدة ذات أربع قواف، وَهِي: [من الرَّجز]

١- جَمْرُ غرامي واقِدُ، يَحْكِي لَظى
شَرَارُهُ، فِي القَلْبِ لَيْسَ يَنْطَفِي

٢- ودمع عَيْني شَاهِدُ، على الْهَوَى
مِدْرارُهُ، وَالوَجْدُ مَا لَا يَخْتَفِي

٣- وَالنَّوْمُ عَنِّي شَارِدُ، لَا يُرْتَجَى
مَزارُهُ، فَيا لصَبٍّ مُدْنَفِ[١٤٥]

٤- هَلْ فِي الْهَوَى مُسْاعِدُ، لما عَنَى
إعْذارُهُ، في حُبِّ ظَبي أَهيَفِ

٥- مَائِلُ قَدٍّ مَائِدُ، إذا انْثَنَى
خَطَّارُهُ، كالغُصُنِ المهفهَفِ

٦- فَلَحْظُهُ لِي صَائِدُ، إذْ يُنْتَضَى
بَتَّارُهُ، هَلْ فِي الجُفُونِ مَشْرفي

٧- قَلْبِي عَلَيْهِ وَاجِدُ، لمَّا نَأى
قَرَارُهُ، بَينَ الأَسَى وَالأَسَفِ[١٤٦]

٨- أَرْغَبُ وَهْوَ زاهدُ، وَهُوَ المنَى
أَخْتَارُهُ، مَنْ لِي بِهِ فَأَشْتَفِي؟

٩- أَسْهَرُ وَهْوَ رَاقِدُ، لمَّا جَنَى
نِفَارُهُ، عَرَّضَنِي للتَّلَفِ[١٤٧]

١٠- وَجْدِي عَلَيْهِ زَائِدُ، مِنَ الجَوَى
إسْعارُهُ، بَينَ الدُّمُوعِ الذُّرَّفِ[١٤٨]

١١- يَبْدُو فَيَصْبُو العَابِدُ، إذا بَدَا
عِذَارُهُ مِثْلَ قَوَامِ الْألْفِ

[قافية القاف]

(٤٠)

وقال[١٤٩] من قصيدةٍ طويلة: [من الرمل]

١- ظَبياتُ الشَّامِ قَدْ تَيَّمَتْنِي
لا اللَّوَاتِي بَيْنَ خَيْمَاتِ النَّقَا

٢- أَنَا مَا لِي وَلِنَجْدٍ والحِمَى
وَلمن حَلَّ اللِّوَى وَالأَبْرَقَا

٣- لا تُعِرْ عَقْلَكَ يومًا أَحَدا
لَيْسَتِ الجَنَّةُ إلا جِلَّقَا

٤- حَبَّذَا الرَّبْوَةُ قَصْرًا شَاهِقًا
مُشرفًا بالنَّوْرِ أَضْحَى مُشْرِقَا

٥- وَزلالُ الماءِ من قلَّتِها
جَارِيًا مُنْحَدِرًا مُنْدَفِقَا[١٥٠]

٦- مقسَمُ الماء الذي مِن تَحْتِهَا
وَبِأَعْلاهَا أَتَى مُفْتَرِقَا

٧- كَمْ بِذَاكَ الفَجِّ نَهْرًا سَارِحًا
ثَجَّ مِن فَيْجَتِهِ مُنْبَثِقَا[١٥١]؟

٨- لِنَسِيمِ الزَّهْرِ فِي نَيْرِبِهَا
نَيْرَبٌ يُهْدِي إِلَيْنَا العَبَقَا

٩- نَفَحَتْ مِنْهَا الصَّبَا عَاطِرَة
فَكَأَنَّ المِسْكَ فِيهَا فُتِقَا
١٠- لم يَزَلْ زَائِرَهُ مُنْتَشِيًا
كُلَّمَا مَرَّ بِهِ مُنْتَشِقَا
١١- وَدِمَشْقٌ شَامَةٌ في وَجْنَةِ الشـ
ـشَامِ لِلعَادِمِهَا دَامَ الشَّقَا
١٢- حُثَّ يَا صَاحِ إِلَيْهَا جَسْرَةً
تَسْبِقُ الطَّرْفَ أَمُونٌ دَمْشَقَا[١٥٢]
١٣- تَلْقَ فِي جَامِعِهَا مُجْتَمِعًا
كَلَّ عِلْمٍ فِي البِلادِ افْتَرَقَا[١٥٣]
١٤- كَمْ بِهِ مِن عَابِدٍ أَنْوَارُهُ
فِي دُجَى اللَّيلِ تُجْلِي الغَسَقَا

(٤١)

وقال[١٥٤]: [من الطَّويل]

١- بِسَطْرَى وَمَقْرَى لا العُذَيبِ وَبَارِقٍ
سَمَاعُ أَغَانِينَا وَشُرْبُ الأَبَارِقِ
٢- وفي بيتِ لِهْيَا لَهْوُنَا وَسُرُورُنَا
إلى القَصْرِ مَا بينَ القُصُورِ الشَّوَاهِقِ
٣- بَساتِينُ قَدْ شَدا الدسَاتينَ طَيْرُهَا
وَغَنَّى بِلَحْنَي مَعْبدٍ ومُخَارِقِ[١٥٥]
٤- نَوَاظِرُ فيهَا للنَّوَاظِرِ مَا تَشَا
ءُ مِنْ نُورِ أَحْدَاقٍ وَنَوْرِ حَدَائِقِ
٥- جِنَانٌ جُنُونِي في هَوَاهُنَّ حاجَه
جَوًى سَاقَهُ تَذْكَارُ تِلْكَ الجَوَاسِقِ[١٥٦]
٦- مَنَازِلُ يُهْدَى اللُّبُّ مِنِّى بِذِكْرِهَا
إِلَيْهَا وَيُحْدَى القَلْبُ حَدْوَ الأَيَانِقِ
٧- وَمَا زَالَ حُبُّ الدَّارِ جَاذِبَ نَازِحٍ
إليهَا بِوَخْدٍ سَائِقِ النَّفْسِ شَائِقِ
٨- فَيَا حُسْنَ وَادِي النَّيْرَبَيْنِ تَرَاكَضَتْ
إِلَيْهِ خُيُولٌ مِن سُيُولٍ دَوَافِقِ
٩- وَمَدَّت عَلَيهِ عَبْقَرِيًّا مُرَصَّعًا
بِأَزْهَارِهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ وَعَقَائِقِ
١٠- وَقُدَّامَهُ مَلْكُ الرَّبِيعِ بِجَيْشِهِ
وَقُدَّامَه سُلَّتْ سُيُوفُ البَوَارِقِ
١١- إِذَا ضُرِبَتْ كُوْسَاتُ رَعْدٍ لِعَارِضٍ
فَمِنْ زَهْرِ الخَشْخَاشِ نَشْرُ البَيَارِقِ[١٥٧]
١٢- وَقَدْ سَرَدَتْ كَفُّ الصِّبَا فَوقَ خَدِّهِ
دُرُوعَ نِبَالِ الغَادِيَاتِ الرَّوَاشِقِ
١٣- جَدَاوِلُ أَضْحَى الهَمُّ فِيهَا مُجَدَّلا
وَمِن دَمِهِ الجَارِي خِضَابُ الشَّقَائِقِ[١٥٨]
١٤-أَجِبْدَاعِيَ الصَّهْبَاءِيَاصَاحِ مُسْرِعًا
وَبَادِرْ إِلَى نَيْلِ السُّرُورِ وسَابِقِ
١٥- وَكُنْ قَاطِعًا بِالرَّاحِ كُلَّ عَلاقَةٍ
فَمِن شَرْطِ وَصْلِ الكَأْسِ قَطْعُ العَلائِقِ
١٦- فَمَا العَيْشُ إِلَّا في اغْتِنَامِ مَسَرَّةٍ
وَتَعْجِيلِ لَهْوٍ عِنْدَ أَهْلِ الحَقَائِقِ
١٧- وَحَمْرَاءَ قَدْ رَقَّتْ وَرَاقَتْ فَلَوْنُهَا
حَكَى وَجْنَةَ المَعْشُوقِ أَوْ دَمْعَ عَاشِقِ
١٨- خُلاصَةِ كَرْمٍ أَشْبَهَتْ في دِنَانِهَا
سَبَائِكَ تِبْرٍ صُفِّيَتْ مِن بَوَاثِقِ[١٥٩]

مقالات

١٩- يَطُوفُ بِهَا مَنْ رَاقَ حُسْنًا فيا لَهَا
مَـروقَـةٌ جَـاءتْـكَ مِـنْ كَـفِّ رَائِـقِ
٢٠- إذا مَا رَنَا أَصْمَى وَإِنَّ جُفُونَهُ
لأقتَلُ مِن ياسيجه واليغالقِ[١٦٠]
٢١- غَزَالٌ مِن الأَتْرَاكِ قَدْ وَقَفَ الهَوَى
لِعُشَّاقِهِ مِنْ لَحْظِهِ في المضَايقِ
٢٢-كَذَا التُّرْكُ مَا زَالَتْ سِهَامُ لِحَاظِهِمْ
طَوَارِقُهَا لا تُتَّقَى بِالطَّوَارِقِ
٢٣- إِذَا نَازَعَ الكُثْبَانَ بَانُ قُدُودِهِم
فَلا فَاضِلٌ إلا بُنُودُ اليَلامِقِ[١٦١]
٢٤-عَلَى مِثْلِ خَصْرِ النَّمْلِ أَضْحَى مُمَنْطَقًا
وَتَأْبَى خُصُورُ النَّمْلِ حَمْلَ المنَاطِقِ
٢٥- تَأَمَّلْتُ مَا خَطَّ العِذَارُ بِخَدِّهِ
فَكَان: حَوَيْتُ الحُسْنَ سُبْحَانَ خَالِقِي!

(٤٢)

وقال[١٦٢]: [مِنَ السَّرِيعِ]
١- إِنْ أَعْوَزَ الحَاذِقُ فاستَبْدِلُوا
مَكَانَهُ آخَرَ لَمْ يَحْذَقِ[١٦٣]
٢- فَلاعِبُ الشِّطْرَنْجِ مِنْ شَأْنِهِ
وَضْعُ حَصَاةٍ مَوْضعَ البَيْذَقِ[١٦٤]

(٤٣)

وكتبَ[١٦٥] إلى العِمَادِ الأَصْفَهَانِي يَسْتَدْعِيه أَيَّام المُشْمُش: [من الطَّوِيل]
١- دَعَا النَّاسَ لِلَّذَّاتِ مُشْمُشُ جِلَّقٍ
فَقَدْ أَسْرعُوا مِنْ كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ[١٦٦]
٢- فَقُمْ يَا عِمَادَ الدِّينِ تَحْظَ بِأَكْلِهِ
وَلَا تُثْنِ عَنهُ عَزمَةَ السَّيْرِ تُسْبَقِ
٣- وَقُلْ حِينَ يَبْدُو أَصْفَرُ اللَّوْنِ مُشْرِقًا
وَيَا حُسْنَهُ مِنْ أَصْفَرِ اللَّوْنِ مُشْرِقِ[١٦٧]
٤- لأَكْلِكَ مَا يلقى الْفُؤَاد وَمَا لقِي
وللتُّوتِ مَا لم يَبْقَ مِنِّي وَمَا بَقِي[١٦٨]
٥-فَلَيْسَ سِوَى الْحَلْوَاءِ فِي الْقُدْسِ مَأْكَلٌ
وَمَا جَلَبُوه مِن زَبِيبٍ وَفُسْتُقِ

[قافية الكاف]

(٤٤)

وقال[١٦٩]: [مِنَ البَسِيطِ]
١- لَهُ العَلاءُ خُصُوصًا غَيرَ مُشْتَرَكٍ
لَكِنْ نَدَاه لِكُلِّ النَّاسِ مُشْتَرَكُ
٢- تَبْكِي صَوارِمُهُ يَوْمَ الوَغَى بِدَمٍ
وَذَلِكَ الدَّمْعُ للدُّنْيا بِهِ ضَحِكُ

[قافية اللام]

(٤٥)

وقال[١٧٠] من أبيات: [من الوافر]
١- وَبَيْنَ رُبُوعِ جِلَّقَ لِي رُبُوعٌ
وَسَعْدِي قَاطِنٌ وَالهَمُّ رَاحِلْ[١٧١]
٢- فَطَوْرًا لِلرِّيَاضَةِ وَالتَّصَابِي
مُقَامِي بَيْنَ عَلَّمةٍ وَدَاعِلْ[١٧٢]
٣- وَطَوْرًا لِلمُدَامَةِ وَالأَغَانِي
أَحِلُّ بِدَيْرِ قَانُونَ وَآبِلْ

٤- ولـلأَطْيَـارِ في الأَغْـصَـانِ شَـدْوٌ
تَـهـيـجُ بِـــه بَـلابِـلِـي الـبَـلابِـلْ

(٤٦)

وقال[١٧٣]: [مِنَ الكَامِل]

١- وامتدّ ليلِي إذْ سَـهِـرْتُ وَكُلَّمَا
قَـصـرَتْ جُـفُـونِـي زَادَ لَيْلِي طُـولا
٢- وَكَأَنَّ مِرْآةَ الصَّبَاحِ تَنَفُّسِي الصـ
ـصـعداءَ أصـدأ وَجـهـهَـا المصْقُولا

(٤٧)

وقال[١٧٤] من قصيدة: [مِنَ الكَامِل]

١- دَعْ ذا وذَاكَ وَحَـيِّ جِلَّقَ بَلْدَةً
حَـكَـتِ الـجِـنَـانَ مَـرَابِـعًـا وَطُـلُـولا
٢- وَعَـدَ الإِلَـهُ بِجَنَّتَينِ فَـإِن يَجُزْ
- وَهُوَ القِيَاسُ- فَقُلْ: دِمَشْقُ الأُولى
٣- يَا حَبَّذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ بِهَا وَقَد
تَـلِـيَـتْ مَـحَـاسِـنُـه فَـكُـنَّ فُـصُـولا
٤- والأَرْضُ قَدْ كُسِيَتْ مُلاءَةَ سُنْدُسٍ
لـمـا بَـدَا وَجْـــهُ الـثَّـرَى مَـطْـلُـولا
٥- ثَنَتِ الشَّمَائلُ للغُصُونِ شَمَائِلا
حَـتَّـى تَـوَهَّـمْـنَـا الـشَّـمَـالَ شَـمُـولا
٦- ذَهَبِيَّةُ الأَشْجَارِ تَحْسِبُ لَوْنَهَا الـ
أَبْـصَـارُ صِبْـغًـا قَـدْ أَرَادَ نُـصُـولا

(٤٨)

وَقَالَ[١٧٥]: [مِنَ الكَامِل]

١- أفدي الَّتِي سَفَرَتْ فَقَابَلَ نَاظِرِي
مـــرْآةَ وَجـــهٍ بِـالـجَـمَـالِ صَقِيلِ
٢- أَبْكِي فَأُبْصِرُ أَدْمُعِي فِي خَدِّهَا
لِـصـقَـالِـهِ فَـأَظُـنُّـهَـا تَـبْـكِـي لِـي

(٤٩)

وقال[١٧٦]: [مِنَ الكَامِل]

١- الـعِـلْـمُ لـلأَعْـلامِ أَقْـوَى نَـاصِبٍ
والـــرَّأْيِ لـلـرَّايَـاتِ أَثْـبَـتُ حَـامِـلِ
٢- وَلَـرُبَّـمَـا عَـلِـمَ المغَيَّبُ مَـن لَه
فَـهْـمٌ صَـحِـيـحٌ بـاتِّـضَـاحِ دَلائِـلِ
٣- وَأَخُو الحِجَى بالفِكْرِ منه يُسْتَدَلْ
لُ عَـلَـى أَوَاخِـــرِ أَمْـــرِه بِـأَوَائِـلِ
٤- علمُ المجَرَّب شَمسُه يهُدَى بهَا
والـــرأي مِـــرآةُ الـلَّـبـيـبِ الـعَـاقِـلِ
٥- لَكِنَّه كالسَّيفِ يُصدَى ثُمَّ يُجْ
لَـى بـــالإِشَـــارَةِ لا بِـكَـفِّ الـصَّـاقِـلِ

(٥٠)

وقـال[١٧٧] للصَّفِي بن شكر، وقد قصر في حقه: [من المتقارب]

١- أَيَـــا مَـن مَـوَدَّتُـــه لَـمْ تَـزَلْ
إذا مَـا ارتَـقَـى رُتْـبَـةً أَوْ وَلَـي
٢- أُعِـيـذُكَ مِـنْ غَـفْـلَـةٍ تَـعْـتَـرِي
جَـلالَـكَ عَـنْ خَـــادِمٍ أَوْ وَلِـي
٣- إِذَا لَـمْ تَـزِدْنِـي عَـلَـى رُتْـبَـتِـي
فَـعُـدْ بِـي إِلَـــى حَـالِـي الأَوَّلِ

(٥١)

وقال[١٧٨]: [مِنَ السَّرِيعِ]

١- بـلابـلٌ زَادَ بَـلائِـي بِـهَـا
كَـأَنَّـهَـا الـطَّـيـرُ الأَبَـابـيـلُ

٢- تَـرْمِـي بِـأَلْـحَـانٍ عِـذابٍ بِهَا
زَادَ عَـذَابِـي فَـهْـي سِـجِّـيـلُ

(٥٢)

وقال[١٧٩] في الهجاء: [مِنَ الكَامِل]

١- أَعُبَيْدُ مَـنْ سَمَّاك إِنْـسًـا كَـاذِبُ
مَـا لِـلـوَحَـاشَـةِ عَـنِ خِـلَالِـكَ مَـعْـدِلُ

٢- وَأَقَمْتَ مِيزَانَ العَرُوضِ وَقَدْ غَدَا
تَـقْـطِـيـعُ كَـامِـلِـهَـا بِـوَصْـفِـكَ يُكمَلُ

٣- مُسْـتَصْفَعٌ مُسْـتَقْوَدٌ مُسْـتَجْهَلُ
مُسْـتَحْمَقٌ مُسْـتَبْرَدٌ مُسْـتَثْقَلُ[١٨٠]

٤- مُسْـتَفْعَلُنْ مُسْـتَفْعَلُنْ مُسْـتَفْعِلُ
مُسْـتَفْعَلُنْ مُسْـتَفْعَلُنْ مُسْـتَفْعِلُ

(٥٣)

وقال[١٨١]: [من مجزوء المتدارك]

سَـــل ظَـبـيـاتِ الـحِـلَّـهْ
قَـبْـلِـي عَـمَـنْ حَـلَّـهْ

[قافية الميم]

(٥٤)

قلت وَكَانَ مَعَ هَذِه الْقُدْرَة على النّظم وَحسنه يسرق السرقات الْفَاحِشَة بِالْمَعْنَى وَاللَّفْظ فَيظْهر ذَلِك لمن لَهُ أدنى اطلَاع وأيسر ذوق كَقَوْلِه[١٨٢]:[من الرمل]

١- غَالَطَتْنِي حِينَ حَاكَى خَصْرُها
جِسْمِيَ المُمْرَضَ وَجْدًا وغَرَاما[١٨٣]

٢- ثُمَّ قَالَت: أَنْت عِنْدِي ناظري
ولَعَمْري صَدَقَتْ لَكِنْ سَقَاما!

(٥٥)

وقال[١٨٤]: [من الوافر]

١- شَكَوْتُ صَبَابَتِي يَوْمًا إِلَيْهَا
وَمَا أَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الغَرَامِ

٢- فَقَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مِثْلَ عَيْنِي
نَعَمْ صَدَقَتْ وَلَكِنْ فِي السَّقَامِ

(٥٦)

وقال[١٨٥]: [من الطَّوِيل]

١- وَبِي حُبُّ مَن أَصْبَحْتُ عَبْدَ جَمَالِهَا
فَمِن دَمْعِ عَيْنِي فَوْقَ خَدِّي لَهَا وَسْمُ

٢- وَقَدْ سَلَبَتْ قَلْبِي وَهَذا سَوَادُهُ
بِوَجْنَتِهَا خَالٌ وَمِعْصَمِهَا وَشْمُ

ب

(٥٧)

وقال[١٨٦]: [من الطَّوِيل]

١- خفيتُ نُحُولا لا يَرَانِيَ عُذَّلِي
فَلِي وَلِسِرِّي عَنْهم في الهَوَى كَتْمُ!

٢- دُمُوعٌ ولا عَيْنٌ، سَقَامٌ ولا حَشَا
غَرَامٌ ولا قَلْبٌ، نُحُولٌ ولا جِسْمُ

(٥٨)

قَالَ[١٨٧] وَكتب إِلَى الشَّمْس ابْن حَيُّوسٍ يطْلبُ مُشْمُشًا: [مِنَ البَسِيطِ]

١-يَاشمسُ لَازلتَ مَشْكُورَ الْخَلَائِقِ مَحْـ
ـمودَ الفَعَالِ وَمَنْ يَشْنَاكَ مَذْمُومُ
٢- هَل أَنْتَ مِن فَلَكِ الإِنْعَامِ تَطْلُعُ لِي
شَمْسًا مُصَحَّفَةً مِنْ قَبْلِهَا مِيمُ؟

(٥٩)

وقال(١٨٨): [من الخفيف]

١- خَلِّ نَجْدًا لأَهْلِهَا وَتِهَامَهْ
لِقُلُوبٍ بِذِكْرِهَا مُسْتَهَامَهْ
٢- وَدَعِ المُنْحَنَى لِغِزْلانِهِ تَرْ
عَى كَلاهُ وَشِيحَه وَثُمَامَهْ
٣- عُقَّ أَهْلَ العَقِيقِ وَاحجرْ عَلَى مَن
بَاتَ في حَاجِرَ وَمَنْ رَامَ رَامَهْ(١٨٩)
٤- واللِّوَى فَالْوِ عَنْهُ واتْرُكْه لليَرْ
بُوعِ والضَّبِّ وَالمَهَا وَالنَّعَامَهْ
٥- والغَضَا غُضَّ عَنْه طَرْفًا وَخَالِفْ
رَأْيَ مَنْ حَالَفَ الحِمَى وحمَامَهْ
٦- مِلْ عَن الخِيفِ إِنَّمَا هُو خَوْفٌ
وارمِ بالنَّارِ رَنْدَهُ وَبشَامَهْ(١٩٠)
٧- خَلِّ سَلْعًا ولا تَسَلْ عَن حَزِينٍ
بَاتَ يَطْوِي حُزُونَه وَآكَامَهْ(١٩١)
٨- أَلْقِ في اليَمِّ مَن تَنَأَّى وَلا تَسْـ
أل عَنِ الظَّاعِنِينَ رَكْبَ اليَمَامَهْ(١٩٢)
٩- إِذَ أَرَدْتَ الحُلُولَ في جَنَّةِ الفِرْ
دَوْسِ فاجعَلْ دمشْقَ دَارَ إِقَامَهْ
١٠- حَبَّذَا عَسْكَرُ الرَّبيعِ إِذا مَدْ
دَ عَلَى النَّيْرَبَيْنِ فِيها خِيَامَهْ(١٩٣)
١١- وَبَدَا جَيْشُهُ وَرَايَاتُه الأغـ
صَانُ والزَّهرُ نَاشِرًا أَعْلامَهْ
١٢- وَعَبيرُ الرَّبيعِ عَنْ فِضَّةِ الوَرْ
دِ ... النَّسِيم فضت خَتامَهْ(١٩٤)
١٣-سَحَبَتْ سُحْبَهَا الغَوَادِي عَلَى الرَّو
ض فَبَلَّتْ ذُيُولَهَا أَكْمَامَهْ
١٤-والصَّبَا في الصَّبَاحِ يَهْدِي مِن الطَّلـ
لِ إِلَى الزَّهْرِ بالنَّسِيمِ سَلامَهْ
١٥- أطفِ جَمْرَ الهُمُومِ في أَرْضِ جَمْر
ايا وَهَوِّمْ في ظِلِّ دَوْحِ الهَامَهْ(١٩٥)
١٦- في رياضِ الكُبرَى حُزِ اللَّذَّةَ الكُبْـ
رَى مُدِيمًا لِشُرْبِ كَأْسِ المدَامَهْ(١٩٦)
١٧-شَمْسُ رَاحٍ في الكَأْسِ أَطْلَعَهَا السَّا
قِي وَكَانَتْ مِن دَنِّهَا في غَمَامَهْ
١٨- حاوَلَ الشَّرْبُ لَثْمَها فَأَمَاطَ الدْ
دَنَّ عَن وَجْهِهَا البَهِيّ لِثَامَهْ
١٩- مِن يَدَي شَادِنٍ مِن التُّرْكِ كَالبَدْ
رِ مُحَيَّاه لا مِن الرُّومِ دامَهْ
٢٠- ذُو قَوَامٍ كَأَنَّهُ أَلِفٌ قَدْ
خَطَّ في لَوْحِ خَدِّهِ الحُسْنُ لامَهْ
٢١- خَافَ مِن أَسْهُمِ اللِّحَاظِ فَقَدْ زر
رَدَ مِنْهُ العِذَارُ لِلخَدِّ لامَهْ
٢٢- تَستَعِيرُ البُدُورُ والقُضبُ مِنه
لاحَ أو مَاسَ وَجهَهُ وَقَوَامَهْ(١٩٧)

٢٣- وَهِـلالُ السَّمَاءِ يُـعْزَى إِلَـيْـهِ
فَـهْوَ مِـن ظُـفْـرِهِ شَبيهُ قُـلامَـهْ[١٩٨]

٢٤- في هَـوَاه عَصيتُ كُـلَّ عَـذُولٍ
وَمُـطِـيـعُ الـغَـرَامِ يُعصي الملامَهْ

٢٥- أَبيضُ اللَّونِ وَهو قَاسٍ فَقَدْ أَشْـ
بَـهَ قَـلْـبًـا وَلَـوْنَ جِـسْـمٍ رُخَـامَـهْ

٢٦- تَحْسِبُ الـخَـالَ مِنه نُقْطَةَ نَدٍّ
فَـوْقَ جَمْرٍ أَزْكَـى النَّسِيمُ ضِـرَامَـهْ

٢٧- إِنَّمَا الخَالُ زِينَةُ الخَدِّ حُسْنًا
وَدِمـشـقٌ فـي وَجْـنَـةِ الـشَّـامِ شَامَه

(٦٠)

وأنشد له - مما طول فيه من الأشعار- ما يدل على اقتداره وطول نفسه. ومما يعد من "كنوز الأدب" قوله، وقد دخل على الفَاضل البيساني مُهنئًا له[١٩٩]: [مِنَ السَّرِيعِ]

١- قَـدْ عُـوفِـي الـفَـاضِـلُ مِـمَّـا شَكَا
وَصَـــحَّ مِـــن سَـــائِـــرِ آلامِـــهِ

٢- وَذَاكَ أَنَّ الـــدَّاءَ لَـــمَّـا أَتَـى
إِلَـــيـــهِ فـــي جُـمْـلَـةِ خُـدَّامِـهِ

٣- أَجَـلَّـهُ أَنْ يَـعْـتَـرِي جِسْمَهُ
مَـعْـرِفَـةً مِـنْـهُ بِـإِعْـظَـامِـهِ

٤- وَرَامَ تَـوْدِيـعًـا لَـهُ فَـانْـثَـنَى
يَـرْغَـبُ فـي تَـقْـبِـيـلِ أَقْـدَامِـهِ

٥- فَـلَـمْ يَـكُـنْ بُـدٌّ مِـنْ إِسْـعَـافِـهِ
جَـرْيًـا عَـلَـى مَـعْـهُـودِ إِنْـعَـامِـهِ

[قافية النون]

(٦١)

وقال[٢٠٠]: [مِنَ البَسِيطِ]

١- وَنَاظِرٍ كَـانَ يَجْرِي دَمْعُه دُرَرًا
فَـأَذْهَـبَ العَين لمَّا صَـارَ مُـرْجَـانَـا

٢- مَا خِلْتُ أَنَّ جُفُونِي مُجْرَيَاتُ دَمِي
مِـنْ حَـيْـثُ أَنَّ لَهَا بِـالـدَّمْـعِ إِدْمَـانَـا

(٦٢)

وقال[٢٠١]: [مِنَ الكَامِل]

١- مُتَلَوِّنُ الأَخْـلاقِ غَـادَرَ أَدْمُـعِي
بِـالـصَّـدِّ وَالـهِـجْـرَانِ ذَا أَلْـوَانِ

٢- أَخْفَى الجُمَانَ فَظَنَّ عَيْنِي فَاقَةً
ثُـمَّ اسـتَـجَـمَّ فَـعَـادَ بِـالـمِـرْجَـانِ

(٦٣)

وقال[٢٠٢]: [مِنَ الكَامِل]

١- شَـاقَ الحَمَامَ فَـبَـاحَ بِالأَشْجَانِ
عِقْدُ الـنَّـدَى فِي جِيدِ غُصْنِ البَانِ

٢- وَتَـأَوُّدُ الغِيدِ الـنَّـوَاعِمِ شَاقَنِي
فَـلَـهُ وَلِـي نَـوْحٌ عَـلَـى الأَغْـصَـانِ

٣- لي بالحُدُوجِ وبِالغَوَانِي صَبَابَةٌ
وَلَـهُ بِـوَرْدِ الـرَّوْضِ وَالـرَّيْـحَـانِ

٤- وَلَـوْ انَّنِي وَاصَلْتُ مَنْ أَحْبَبْتُهُ
يـومًـا لَـكَـانَ وَكُـنْـتُ فِـي بُـسْـتَـانِ

٥- وَبِمُهْجَتِي خَنِثُ اللِّحَاظِ جُفُونُهُ
نَـشِـطَـتْ لِقَتْلِي نَـشْـطَـةَ الكَسْلانِ

(٦٤)

وقال[٢٠٣]: [مِنَ البَسِيطِ]

١- أَجْرَى دُمُوعِي اشتِعَالُ النَّارِ فِي كَبِدِي
وَلَمْ تَكُنْ تَتْبَعُ الأَمْوَاهَ نِيرَانُ

٢- لَكِنَّه آيَةٌ نُوحِيَّةٌ ظَهَرَتْ
فَالقلبُ تَنَوَّرَهَا وَالدَّمْعُ طُوفَانُ

٣- وَالعَينُ فَضَّضَها دَمْعِي وَأَذْهَبَهَا
بُكَاؤُهَا وَلآلِي الدَّمْعِ مَرْجَانُ

(٦٥)

وقال[٢٠٤]: [مِنَ البَسِيطِ]

١- الدَّهرُ يَرْفَعُ مَخْفُوضًا وَيَخْفِضُ مَرْ
فُوعًا مِن النَّاسِ عَمْدًا فَهو لَحَّانُ

٢- فَالفَضْلُ يَنْحطُّ والنُّقْصَانُ مُرْتَفِعٌ
كَأَنَّمَا صَرْفُهُ فِي الحُكْمِ مِيزَانُ

(٦٦)

وقال[٢٠٥]: [من الخفيف]

١- دَعْهُ مِثْلِي يَبْكِي الصِّبَا وَزَمَانَه
إنَّ ذِكْرَاهُ هَيَّجَتْ أَحْزَانَهْ

٢- نَاحَ شَجْوًا عَلَى لَيَالٍ وَأَيَّا
مٍ تَقَضَّتْ لَمْ يقْضِ مِنْهَا لُبَانَهْ

٣- كَيفَ يَرْجُو فِي الْأَرْبَعِين وَفَاءً
مِنْ شَبَابٍ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ خَانَهْ؟

٤- أَو يَنَالُ اللَّذَّاتِ فِي أُخْرَيَاتِ الْـ
عُمرِ مَنْ لَمْ يَفُزْ بِهَا رَيْعَانَهْ

٥- وَتَجَافَ الجفُونَ وَاحْذَرْ عَلَى قَلـ
ـبك تِلْكَ اللَّوَاحِظَ الفَتَّانَهْ

٦- رَامِيَاتٍ فَكُلُّ شَعْرَةِ هُدْبٍ
ثَمَّ سَهْمٌ وَكُلُّ جَفْنٍ كِنَانَهْ

٧- وَبِرُوحِي هَيْفَاءُ أَعْطَافُهَا نَشـ
وَى تَهَادَى كَأَنَّهَا خَوْطُ بَانَهْ

٨- فَهِيَ بدرٌ مِن تَحْتَهُ غُصْنُ بَانٍ
وَكَثِيبٌ مِن فَوْقِهِ خَيْزَرَانَهْ

٩- تَلبسُ الحُسْنَ فوقَ قُمْصَانِهَا ثَوْ
بًا وَتُكْسَاهُ حُلَّةً عُرْيَانَهْ

١٠- يُنْبِتُ الوَرْدُ والشَّقِيقُ بِخَدَّيـ
ـهَا لَنَا مِن قَوَامِهَا رَيْحَانَهْ

١١- وَتُرِينَا باللَّحْظِ نَرْجِسَةَ الأَحْـ
دَاقِ وَالثَّغْرَ بَاسِمًا أُقْحُوَانَهْ

١٢- فَبِلَثْمِي وَالضَّمِّ مِن خَدِّهَا وَالنـ
ـنهدِ أَجْنِي التُّفَّاحَ وَالرُّمَّانَهْ

(٦٧)

وقال[٢٠٦]: [مِنَ الكَامِل]

١- هَلَاكُ الْفِرِنْجِ أَتَى عَاجِلا
وَقَدْ آنَ تَكْسِيرُ صُلْبَانِهَا

٢- وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ دَنَا حَتْفُهَا
لَمَا عَمَّرَتْ بَيْتَ أَحْزَانِهَا

[قافية الهاء]

(٦٨)

وقال[٢٠٧]: [مِنَ الكَامِل]

١- حَتَّامَ إِنْ أَمَرَ الغَرَامُ وَإِن نَهَى
طَاوعْتُهُ وَعَصَيْتُ فِي الحُبِّ النُّهَى

٢- أَرْضَيتُ جَفْنِيَ للدُّمُوعِ مُوهلا
أَبَدًا وَقَلْبِي بالوُلُوعِ مُولَّها[٢٠٨]

٣- قَدْ كُنْتُ مُعْتَمِدًا عَلَى صَبْرِي إذا
مَا الخَطْبُ فَاجَأَنِي وَهَا صَبْرِي وَهَى

٤- وَمُدَلَّلٍ مَا زِلْتُ مِن هِجْرانِهِ
أَبَدًا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُدَلَّهَا

٥- مُتَأَوِّدُ الأَعْطَافِ، قَلبُ مُحِبِّه
مَا زَالَ مِن إعْرَاضِهِ مُتَأَوِّهَا

٦- تَجْنِي عَلَى عُشَّاقِهِ وَجنَاتُهُ
بالصَّدِّ فَهْوَ المشتَكَى والمشْتَهَى[٢٠٩]

٧- فَبِهِ إذا عُدَّ المَلاحُ المبْتَدَا
وَإلَى غَرَامِي فِي هَوَاهُ الْمُنْتَهَى[٢١٠]

٨- يَا مُطْلِعِينَ لَنَا بُدُورًا أَوْجُهًا
فَلَكُ الجُيُوبِ فَكيفَ تُسمَى أَوْجُهَا[٢١١]؟

٩- وَمُلاحِظِينَ بِأَعْيُنٍ مَنْ أَمَّهَا
لَمْ يَدْرِ غِزلانًا يُغازِلُ أَمْ مَهَا[٢١٢]

١٠- فَحَذَارِ مِن تِلْكَ الْعُيُونِ خَدِيعَةً
فَبِمَكْرِهَا سَلَبَتْ فُؤَادِي مُكْرَهَا!

(٦٩)

وقال[٢١٣]: [من الخفيف]

١- قِيلَ: تَهْوى ذَاتَ اللَّمَى قُلْتُ: إنَّهْ
أوَمَا سُقْمُهُ عَلَيْهِ مِنَّهْ

٢- وَلِنَارِ الهَوَى دُخانٌ بِهِ تُعـ
ـرَفُ لَكِنَّهُ زَفِيرٌ وَأَنَّهْ

٣- لِسِوَى الحُبِّ يَنْفَعُ الصَّبْرُ ذُخْرًا
وَسِوَى اللَّحْظِ يُنْسَجُ الدِّرْع جنَّهْ

٤- يَا لَقَوْمِي لأعيُنٍ نَافِذَاتٍ
حَيْثُ لَا تَنْفُذُ القَنَا بِالأَسِنَّهْ

٥- وَظِبَاءٍ تَنْضُو لِقَلْبِي ظُبَى الأَلْـ
ـحَاظِ أَجْفَانُهُنَّ أَجفانُهُنَّهْ

٦- وَبِنَفْسِي هَيْفَاءُ تُقْعِدُهَا الأَرْ
دافُ عَجْلَى إذَا مَشَتْ مُطْمَئِنَّهْ

٧- ذَاتُ وَجْهٍ إنْ أَقْبَلَتْ فَصَبَاحٌ
ذَاتُ شَعْرٍ إنْ أَدْبَرَتْ فَدُجُنَّهْ

٨- مِن بَنَاتِ الشُّمُوسِ أَو أَخَوَاتِ الـ
ـبَدْرِ حُسْنًا أَوْ بَعْضِ حورِ الجَنَّهْ

(٧٠)

وقال[٢١٤]: [مِنَ الكَامِل]

١- مَا سُدَّ مَوْضِعُهُ بِمُشْبِهِ فَضْلِهِ
وَلَقَدْ سَمَا فَضْلاً عَنِ الأَشْبَاه

٢- وَضَعُوا حَصَاةً وَهي يَصْغُرُ قَدْرُهَا
عَنْ بَيْذَقٍ غَلَطًا مَكَانَ الشَّاهِ

[قافية الياء]

(٧١)

وقال[٢١٥]: [مِنَ البَسِيطِ]

١- وَنَاحِلِ الخَصْرِ عَقَدَ البَدْنِ مِنْهُ عَلَى
أَوْهَى وَأَضْعَفِ مِنْ تَعْلِيلِ نَحْوِيِّ[٢١٦]

٢- أَحْوَى يُبَدِّدُ مَرْجَانَ الدُّمُوعِ عَلَى
خَدِّي بِمَنْظُومِ ثَغْرٍ مِنْهُ دُرِّيِّ[٢١٧]

(٧٢)

وقال[٢١٨] يرثي ابْنه: [من مجزوء الكامل]

١- قَـالُـوا: تَـعِـيشُ؟ فَـقُـلْـتُ: لا
بِـالـلَّـهِ لَا تَـدْعُـوا عَـلَـيَّـا

٢- قَـالُـوا: تَـمُـوتُ؟ فَـقُـلْـتُ: ذَا
لَـك لَـو غَـدا أَمْـرِي إلـيّـا

٣- لَـو كَـانَ أَسْـعَـدَنِـي إلا
هِـي لَـمْ أَكُـنْ إِذْ ذَاكَ حيّا

٤- قَـدْ كَـانَ مَـوْتِـي رَاحَـتِـي
قَـبْـلَ الـرَّزِيَّـةِ لَـو تَـهَـيّـا

(٧٣)

وقال[٢١٩] الأمير الأجل بدر الدين نشو الدولة أبي الفضل أحمد بن علي بن نفاذة السلمي: [مِنَ البَسِيطِ]

١- يَا مُعْمِلَ العِيسِ في البَيْدَاءِ يُنْضِيهَا
وَمُـرْهِـفًـا عَـزَمَـاتِ السَّيرِ يُمْضِيهَا

٢- تُحِثُّهَا نَغمَةَ الحَادِي وَتُجْهِدُهَا
وخدًا فَلا سَوْطَ إلا صَوْتُ حَادِيهَا[٢٢٠]

٣- وَكُلَّمَا حَنَّ شَوْقًا سَاقَهَا عَجِلا
فَالشَّوْقُ وَالسَّوْقُ يَبْرِيه وَيَبْرِيهَا

٤- في مَهْمَهٍ قُذُفٍ طَلْسَاءَ مُبْهَمَةٍ
يَضْحَى الدَّلِيلُ ذَليلا في نَوَاحِيهَا[٢٢١]

٥- يرقِّصُ الآلُ فِيهَا اليَعْمُلاتِ كَمَا
في لُجَّةِ البَحْرِ يُبْدِي السُّفن طَامِيهَا[٢٢٢]

٦- شِمْ بَارِقَ الشَّامِ حَيَّاهُ الحَيَا فَإِذَا
أَتَـيْـتَ أَهْـلَ دِمَـشـق حَـيِّ أَهْلِيهَا

٧- وَقِفْ عَلَى الشَّرَفِ الأَعْلَى وَنَيْرِبِهَا
وَنَزِّهِ الطَّرْفَ في الشَّقْرا وَوَادِيهَا[٢٢٣]

٨- وَكَمْ بِجِسْرِ ابن شواشٍ تَشَوَّشَتِ الـ
أَلْبَابُ حُسْنًا فَأَعْيَتْ مَنْ يُعَانِيهَا[٢٢٤]

٩- وَصِلْ إلى الرَّبْوَةِ الفَيْحَا وَصَلِّ بِهَا
واسْتَنْشِقِ النَّدَّ مِن أَرْجَاءِ نَادِيهَا[٢٢٥]

١٠- والماءُ يَجْرِى انبثَاقًا مِن أَسَافِلِهَا
وَوَسطِهَا وَانْدِفَاقًا مِنْ أَعَالِيهَا

١١- وَدُونَهَا مُقْسِمُ الأَنْهَارِ آخِذَةً
مِنْ أَصْلِهِ جَارِيَاتٍ فِي مَجَارِيهَا

١٢- يا حَبَّذَا السَّهْمُ في آذارَ مِن غَرَضٍ
لِأَسْهُمٍ صَائِبَاتٍ المُزْنِ تَرْمِيهَا

١٣- أَضْحَتْ بَسَاتِينُه بالزَّهْرِ ضَاحِكَةً
غداةَ بَاتَتْ عُيُونُ السُّحْبِ تُبْكِيهَا

١٤- مَشِيبُ أَغْصَانِهَا رَاقَ العُيُونَ ومَا
يُسْتَحْسَنُ الشَّيْبُ إلا فِي نَواصِيهَا

١٥- بِأَدْمُعِ الطَّلِّ تَبكِي عَيْنُ نَرْجِسِهَا
عِنْدَ الصَّبَاحِ إذا افتَرَّتْ أَقَاحِيهَا

١٦- فَلَم تُصِبْهَا سِهَامُ المزْنِ رَاشِقَةً
إلا وَسلَّتْ سُيُوفًا مِن سَوَاقِيهَا

١٧- أَنْوَارُهَا بَهَرَتْ، آياتُهَا ظَهَرَتْ
سُبْحَانَ خَالِقِهَا سُبْحَانَ بَارِيهَا!

١٨- مَا قَالَ تَحْكِي جِنَانَ الخُلْدِ مُنْصِفُها
لَكِنْ أَقُولُ: جِنَانُ الخُلْدِ تَحْكِيهَا!

١٩- فَمعْلَمَاتُ المَبَانِي فِي مَعَالِمِهَا

وَرَائِـقَـاتُ المـغَـانِـي فِـي مَغَانِيهَا

ما نسب إليه وإلى غيره

(٧٥)

وقال[٢٢٦]: [من الخفيف]

١- كَـمْ تَـبَـادَى وَكَـمْ تُـطَـوِّلُ طَرْطُو

رَكَ مَـا فِيك شِـرةٌ مِـن تَـمِـيـم[٢٢٧]

٢- فَكُلِ الضَّبَّ وامضُغِ الحَنْظَلَ والرَّطْـ

ـبَ واشْـرَبْ مَـا شِئْتَ بَـوْلَ الظَّلِيمِ

٣- لَيْسَ ذا الوَجْهُ مَن يُضِيفُ ولا يَقْـ

ـرِي ولا يَـدْفَـعُ الأَذَى عَـنْ حَـرِيـمِ

*****

الخَاتِمَةُ

حَاوَلَ البَاحِثُ فِي الصَّفحاتِ السَّابقةِ أن يقدِّمَ محاولةً في نِطاقِ الاهتمامِ بشعْرِ (ابن نَفَاذَةَ السُّلَمِيّ)؛ جَمْعًا وتحقيقًا وشرحًا، من خلالِ الاعتِمَادِ عَلَى مصادرَ مخطوطةٍ. وتوَصَّل إلى عِدَّة نتائج، أهمُّها:

١- تَقْدِيمُ مجموعٍ شعريٍّ لِهَذا الشَّاعِرِ بَعْدَ ضَيَاعِ مَخْطُوطَةِ دِيوَانِهِ.

٢- تَنْسِيقُ هَذَا المجموعِ وَتَرْتِيبُه وَفْقَ حُروفِ الرَّوِيِّ مِنَ الأَلِفِ إِلَى اليَاءِ، وَتَرْقِيمُ أَبياتِهِ وَمقَطَّعَاتِهِ وَقَصَائِدِهِ، وَعَمَلُ الفَهَارِسِ اللَّازِمَةِ له.

٣- ضَبْطُ الأَبياتِ الشِّعريَّة فِي هَذَا المجموع، وَشَرْحُ مَا يَحْتَاجُ مِن أَلْفَاظِهَا إِلى شَرْحٍ.

٤- الكشفُ عن مَنْزِعِ صَاحِبِ هَذا المجموع، وَمَدَى انْتِمَائِهِ لوطنِهِ بِكَثْرَةِ حَنِينِهِ إِلَى دِمشقَ، وَتَغَنِّيهِ بِجَمَالِ طَبِيعَتِهَا.

٥- الكَشْفُ عَنِ الأَهَمِّيةِ الجُغرافيّةِ لشِعْرِ هذَا الشَّاعر، وَذَلِكَ مِن خِلَالِ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ وتحديدِهِ للأَمَاكِنِ سَوَاءً في دِمشقَ أَوْ خَارِجِهَا.

٦- إِضَافَةُ نُصُوصٍ شِعْرِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لهَذَا الشَّاعِرِ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً مِنْ قَبْل بالاعْتِمَادِ عَلَى أُصُولٍ مَخْطوطة، وَهَذه النُّصُوصُ تُعَدُّ إِضَافَةً مِنْ زَاوِيَةٍ أُخْرَى إِلَى الحَصِيلَةِ الشِّعْرِيَّةِ لِعَصْرِ الشَّاعِرِ.

فهرس الأوزان والقوافي وعدد الأبيات

م	القافية	الوزن	عدد الأبيات
١	ترقأ	الكامل	١٣
٢	ظلماءُ	البسيط	٣
٣	بمائِها	الرجز	٢
٤	وَصَبَا	البسيط	٢
٥	جلابِبا	الكامل	٢٥
٦	عَجَبَا	مجزوء الرجز	٣
٧	العنبُ	المنسرح	١٣
٨	الصبُّ	الطويل	٢
٩	طيبُها	الطويل	٣
١٠	الرِّماحْ	السريع	٧
١١	الأَقَاحْ	السريع	٢
١٢	الصّباحْ	الخفيف	٧
١٣	مضرَّح	الكامل	٢
١٤	فُصْحُ	الطويل	٢
١٥	سَجَدْ	الرجز	٢
١٦	يُعادْ	السريع	٤٩
١٧	أرغدْ	الطويل	٨
١٨	مُوَرَّدَا	الطويل	٢
١٩	مَعْهَدا	الطويل	٢
٢٠	الأَيَادِي	مجزوء الكامل	٣
٢١	ونهودُ	الكامل	١

٢٢	العنقودُ	الكامل	١
٢٣	شهودُ	الكامل	٢
٢٤	جيدُ	الكامل	١
٢٥	وسهيدُ	الطويل	٧
٢٦	بَعِيدَهْ	المجتث	٣
٢٧	تنفذُ	الكامل	١٣
٢٨	أزهارَا	الخفيف	٦
٢٩	أحمَرا	الرجز	٢
٣٠	جَهْرَا	الطويل	٢
٣١	سِتْرا	الخفيف	٣٣
٣٢	السُّتُورِ	الخفيف	٣٢
٣٣	زاهرُ	الرجز	٣
٣٤	والنَّصرُ	الطويل	١٤
٣٥	سهرُ	الرجز	٣
٣٦	وجوزوا	الطويل	١١
٣٧	بيضُ	الكامل	٧
٣٨	وتأبطُ	الكامل	٣
٣٩	ينطفي	الرجز	١١
٤٠	النَّقا	الرمل	١٤
٤١	الأبارق	الطويل	٢٥
٤٢	لم يحذق	السريع	٢
٤٣	ومشرق	الطويل	٥
٤٤	مشتركُ	البسيط	٢
٤٥	راحلْ	الوافر	٤
٤٦	طولا	الكامل	٢
٤٧	وطلولا	الكامل	٦
٤٨	صقيل	الكامل	٢
٤٩	حامل	الكامل	٥
٥٠	أو لي	المتقارب	٣
٥١	الأبابيل	السريع	٢
٥٢	معدل	الكامل	٤
٥٣	حلَّهْ	مجزوء المتدارك	١
٥٤	وغرامًا	الرمل	٢
٥٥	الغرام	الوافر	٢
٥٦	وسمُ	الطويل	٢
٥٧	كتمُ	الطويل	٢
٥٨	مذموم	البسيط	٢
٥٩	مستهامه	الخفيق	٢٧
٦٠	آلامه	السريع	٥
٦١	مرجانا	البسيط	٢
٦٢	ألوان	الكامل	٢
٦٣	البان	الكامل	٥
٦٤	نيرانُ	البسيط	٣
٦٥	لحَّان	البسيط	٢
٦٦	أحزانه	الخفيف	٢
٦٧	صلبانها	الكامل	٢
٦٨	النُّهى	الكامل	١٠
٦٩	مِئَنَّهْ	الخفيف	٨
٧٠	الأشباه	الكامل	٢
٧١	نحوي	البسيط	٢
٧٢	عليّا	مجزوء الكامل	٤
٧٣	يمضيها	البسيط	١٩
٧٤	تَمِيمِ	الخفيف	٣

الحواشي

(١) مصادر ترجمته:

خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ٣٢٩/١.

سنا البرق الشامي ٣٣٨/١.

مختصر تاج المجامع والمعاجم ٨٧- ٩٣

قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ٢٤٧/١.

بغية الطلب في تاريخ حلب ٩٧٨/٢ – ٩٨١.

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ٣٨/٣، ٣٥٠/٤

الغصون اليانعة في شعراء المئة السابعة ٢٦ – ٢٨.

تاريخ الإسلام ٣٠/١٣.

فوات الوفيات ٤٨/١ – ٨٦.

الوافي بالوفيات ٣٩/٧ – ٤٤.

مخطوط عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ٣٠ – ٣١.

معجم المؤلفين ١/ ١٦٧.

(٢) مختصر تاج المجامع والمعاجم ٨٨، وخريدة القصر وجريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٣٢٩.

(٣) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٣٢٩

(٤) ينظر على سبيل المثال بغية الطلب ٩٧٨/٢، حيث قال: " أحمد بن عبد الرحمن بن المبارك: وقيل ابن عبد الرحمن بن علي بن المبارك بن الحسن بن نفاذة، أبو الفضل السّلمي الدمشقي"، وورد في كشف الظنون ٧٦٩/١: "أحمد بن عبد الرحمن السلمي"، وود في الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية:" نشو الدولة أَحْمد بن نفاذة الدِّمَشْقِي".

(٥) يلحظ أن هذا اللقب لم يستعمل كثيرًا في المصادر المتقدمة، ومعظم وروده في المصادر المتأخرة مثل: الوافي بالوفيات ٣٩/٧، وفوات الوفيات ٨٤/١، وهذا يؤكد إمكانية وقوع التصحيف فيها أو لجوء أصحابها إلى استخفاف نطق الدال أكثر من الذال.

(٦) هذا تصحيف وقع في معجم البلدان ٥١٩/١، والغيث المسجم ٤٠١/١، ومخطوط المرج النضر والأرج العصر الورقتان ١٥، ٢٢، ومعاهد التنصيص ٣، ١٨١، ٣٠١، الكشكول ٢٣٢/١، وكشف الظنون ٧٦٩/١، وأنوار الربيع في أنواع البديع ١٦١/٦، ومعجم المؤلفين ٢٦٧/١.

(٧) اعتمد هذا اللقب معاصره العماد الأصفهاني في خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٣٢٩/١، وذيله ١٥٥، والفتح البنداري في اختصاره لسنا البرق الشامي ٣٣٨/١، وقد روى عنه مباشرة ، وابن الشعار الإربلي في قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ٢٤٧/١، وكذلك ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب ٩٧٨/٢، واعتمده ابن أبي شامة في الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية ٣٨/٣، وابن كثير ، وكان صديقًا له كما صرح، ينظر الكامل في التاريخ ٤٤١/٩، وابن سعيد الأندلسي في الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ٢٦.

(٨) مختصر تاج المجامع والمعاجم ٨٨، وتاريخ الإسلام ٣٠/١٣، ومعجم المؤلفين ٢٦٧/١.

(٩) البد السافر عن أنس المسافر ١٠٥/١.

(١٠) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ٢٦.

(١١) فوات الوفيات ٨٤/١، وتاريخ الإسلام ٣٠/١٣.

(١٢) الوافي بالوفيات ٣٩/٧، وفوات الوفيات ٨٤/١.

(١٣) مختصر تاج المجامع والمعاجم ٨٧، والغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ٢٦، والبدر السافر عن أنس المسافر ١٠٦/١.

(١٤) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٣٢٩، ومختصر تاج المجامع والمعاجم ٩٢.

(١٥) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ٣٢٩/١.

(١٦) في مختصر تاج المجامع والمعاجم ٩٢.

(١٧) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ٢٤٧/١.

(١٨) بغية الطلب في تاريخ حلب ٣٢٠/١.

(١٩) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ٢٦، والبدر السافر عن أنس المسافر ١٠٥/١.

(٢٠) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ٣٢٩/١، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ٢٤٧/١، وَالْهُرِيُّ: بَيْتُ الطَّعَامِ. غريب الحديث للحربي ٦٨٣/٢.

(٢١) النص لشهاب الدين القوصي في مختصر تاج المجامع والمعاجم ٨٧.

(٢٢) النص لأبي المحامد القوصي في مختصر تاج المجامع والمعاجم ٨٧.

(٢٣) النص لجعفر بن ثعلب الأدفوي في البدر السافر عن أنس المسافر ١٠٥/١.

(٢٤) الوافي بالوفيات ٧/ ٣٩، وفوات الوفيات ٨٤/١.

(٢٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٣٠/١٣.

(٢٦) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ٢٦.

(٢٧) الوافي بالوفيات ٧/ ٣٩.

(٢٨) فوات الوفيات ٨٤/١.

(٢٩) تاريخ الإسلام ١٣/ ٣٠.

(٣٠)كشف الظنون٧٦٩/١.

(٣١) التخريج بغية الطلب ٩٧٩/٢، ومختصر تاج المجامع والمعاجم ٩٨.

(٣٢) في البيت تورية باسم الإمـام مالك بن أنس وكتابه الموطأ. ينظر هامش مختصر تاج المجامع والمعاجم.

(٣٣) ورد في مختصر تاج المجامع والمعاجم: "إن يهزّ".

(٣٤) الحانية، والعانيَّة: من أسماء الخمر. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ٣١٢.

(٣٥) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٢١٤.

(٣٦) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٠٩. قال الصفدي في تشنيف السمع: "قلت: في قوله: ضحكت، واغتسلت، فائدة يسأل عنها، وما أظن الناظم تنبه لذلك، وهي ما الفائدة في قوله: اغتسلت بعد قوله ضحكت، إذا الضحك لا يوجب الاغتسال؟ والجواب: أن الضحك هو الحيض، وبه فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾، ولهذا قال الحريري في المقامة الثانية والثلاثين قال: "فإن ضحكت المرأة في صومها؟ قال: بطل صوم يومها، وإذا حاضت العين ناسب اغتسالها"، فإن قلت: كيف تحيض العين ؟ قلت: يخرج مخرج الاستعارة؛ لوجود الدم ، وهو البكاء، وكل من تقدم خلا ابن نفاذة، استعمل لفظة الزنا، وهو غير لائق بالمحبوب والعشاق، فإن لفظة الزنا ينفر منها السمع، لتحريمه في الشرع".

(٣٧) ورد البيت محرفًا في مخطوط عيون التواريخ هكذا: "بعكم".

(٣٨) ورد البيت في مخطوط عيون التواريخ برواية: "يظهرها وقد خالطه".

(٣٩) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٧٣.

(٤٠) مخطوط عيون التواريخ ١/ ٣٥٧.

(٤١) دارين، وداورن: قرية في بلاد فارس على شاطئ البحر، وهي كانت في عهد ابن نفاذة مرفأ سفن الهند بأنواع الطيب، فيقال مسك دارين وطيب دارين. الروض المعطار في خبر الأقطار ٢٣٠.

(٤٢) جِلِّقُ: بكسرتين وتشديد اللام وقاف كذا ضبطه الأزهري والجوهري، وهي لفظة أعجمية، ومن عرّبها قال: هو من جلّق رأسه إذا حلقه: وهو اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل بل هي دمشق نفسها، وقيل جلّق موضع بقرية من قرى دمشق، وقيل صورة امرأة يجري الماء من فيها في قرية من قرى دمشق". معجم البلدان، وفي محاسن جلق ينظر كتاب البرق المتألق في محاسن جلق لمحمد بن مصطفى خُداويردي من علماء القرن الثاني، والكتاب من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٤٣) الربائب: جمع ربيبة، وهي من الدواب ما يشرف على تربيته في البيوت . تاج العروس ٤٦٨/٢.

(٤٤) اللاسب: اللاسع اللادغ. المعجم الوسيط ٥٦٤/٢.

(٤٥) المتجلل: المتغطي. معجم اللغة العربية المعاصرة ٣٨٦/١، والغياهب: الظلمات. النهاية في غريب الحديث والأثر ٧٤٩/٣.

(٤٦) ورد البيت في عيون التواريخ هكذا: "رتبة ... ظن صد عنه عقاربا".

(٤٧) الغيث المسجم ٣٥٣/٢.

(٤٨) الوافي بالوفيات ٤٢/٧.

(٤٩) الغيث المسجم ٣٣٦/٢، وأنوار الربيع ٦٨/١.

(٥٠) ورد البيت في أنوار الربيع، والكشكول برواية: "وافْتِرَاقٍ وَغُرْبَةٌ".

(٥١) البيت المقصود ل جميل بثينة، ينسب أيضًا لمجنون ليلى، وهو:

أَلا أَيُّـهـا الـنُـوّامُ وَيَـحـكُـمُ هُبّوا

أُسـائِـلُـكُـم هَـل يَـقـتِـلُ الـرَجُـلَ الـحُـبُّ

(٥٢) الغيث المسجم ٤٠١/١.

(٥٣) الوافي بالوفيات ٤٣/٧، والأبيات ١، ٢، ٤ – ٧ في فوات الوفيات ٨٦/١، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان (مخطوطة المكتبة السليمانية)٣١/١، قلت هَذَا النَّوْع بديع يُوهم أَنه توكيد فِي الظَّاهِر وَهُوَ فِي الْبَاطِن غير توكيد ٢ في فوات الوفيات والغيث المسجم: أصداف أجفانهم، والأبيات: ٣ ، ٤، ٦ في أنوار الربيع في أنواع البديع ١٦١/٦، والأبيات ١ – ٣ الغيث المسجم ٤٠١/١، والأبيات ١ – ٣ في مخطوط الدر الذي انتظم في شرح لامية العجم لأبي الوفاء العرضي، الورقة ٢٨.

(٥٤) ورد البيت في فوات الوفيات والغيث المسجم برواية: "أصداف أجفانهم"، وورد في الدر الذي انتظم في شرح لامية العجم برواية: " وشرعوا أطراف ... ترى عدت شمس الصباح".

(٥٥) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٢٨٥، ولعلهما تابعان للقصيدة السابقة كما قال (هلال ناجي) في هامش هذا الكتاب.

(٥٦) الأبيات ١، ٢، ٣، ٧ في ذيل خريدة القصر ١٥٥، والأبيات ١، ٤ - ٧ بغية الطلب ٩٧٨/٢ – ٩٧٩.

(٥٧) ورد البيت في بغية الطلب برواية :"وأبدأت".

(٥٨) ورد البيت في ذيل خريدة القصر هكذا: "سالف الديم". وما المعنى حينئذ؟ في البيت تحريف، والصواب: والرِّيمُ: الظَّبْيُ الأَبيض الْخَالِصُ الْبَيَاضِ. لسان العرب ٢٦٠/١٢، والسالف: أعلى العنق. لسان العرب ١٥٩/٩، يشبه عنق محبوبته بعنق الغزالة.

(٥٩) مختصر المجامع والمعاجم ٩١، والوافي بالوفيات ٣٩/٧ – ٤٠، وفوات الوفيات ٨٤/١، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان (مخطوطة المكتبة السليمانية) ٣٠/١، ومستوفى الدواوين ١٣٠/١ – ١٣١، والبيت الثاني فيه ١٤٧/٢. وسابع لفظة في سورة الأعلى هي :)فسوى(، ومقلوبها: "يوسف" على كما ذكر مؤلف مستوفى الدواوين وغيره.

(٦٠) ورد البيت في مستوفى الدواوين برواية: "يا سائلي عن اسم من أحببته".

(٦١) ورد البيت في فوات الوفيات برواية: "في سبح"، وورد في مستوفى الدواوين برواية: "فإذا أردت فاعمد إلى".

(٦٢) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ٩٥.

(٦٣) تَشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٣٦.

(٦٤) خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام ٣٣١/١- ٣٣٤.

(٦٥) ورد البيت في الأصل هكذا: "إن من أمرضتم"، وأخذت بالرواية المثبتة في الهامش لاستقامتها.

(٦٦) الشبا: حَدُّ كلِّ شيءٍ وطرفه. تاج العروس ٣٤٧/٣٨.

(٦٧) الجفن الأولى غمد السيف، والثانية قصد بها الشاعر جفن عين المحبوب.

(٦٨) الصَّنْم: حُسْنُ التصوير. يقال: صَنم الصُّورةَ إذا أحسنَ تصويرها. الاشتقاق لابن دريد ٤١٧.

(٦٩) الثِّمَاد، الحُفَر يكون فِيهَا الماءُ القَليل. تاج العروس ٤٦٧/٧.

(٧٠) العِهَادُ: الحَدِيثةُ من الأَمطارِ. تاج العروس ٤٥٧/٨.

(٧١) النجاد: المرتفع من الأرض. تاج العروس ٢٠٥/٩.

(٧٢) صَلَدَ الزَّنْدُ يَصْلِدُ صَلْدًا: صَوَّتَ وَلم يُورِ. تاج العروس ٢٩١/٨.

(٧٣) طاب نجادًا: أي طاب سموًّا وشرفًا وضبطًا للأمور. ينظر تاج العروس ٢٠٥/٩.

(٧٤) الجُوَادُ، كغُرابٍ: العَطَش أَو شِدَّتُه. تاج العروس ٥٣٠/٧.

(٧٥) مخطوط عيون التواريخ ٣٥٧/١.

(٧٦) الشوابير: لم ترد في المعاجم ، وهي بمعنى القطع. مجلة الرسالة، ع ٣٣٣، ضمن مقال: تصحيح نهاية الأرب ج ١٢، لعبد القادر المغربي، في الرابط:

https://ar.wikisource.org/wiki/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF_333/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9_%D8%A7-%D9%84%D9%86%D9%82%D8%AF

(٧٧) الخشخاش: نبات حولي من الفصيلة الخشخاشية يستخرج الأفيون من ثماره واحدته خشخاشة. المعجم الوسيط ٤٨٩/١.

(٧٨) الهَزارُ كَسَحَاب: طائرٌ حَسَن الصَّوت. تاج العروس ٤٣٢/١٤.

(٧٩) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٨٢. وهي في الطبعة القديمة معطوفة على أبيات للمتنبي، وليست في ديوانه.

(٨٠) مخطوط عيون التواريخ ٣٥٧/١.

(٨١) بُرْدٌ مُفَوَّفٌ: الذي فيه خُطُوطٌ بيضٌ. تاج العروس ٢٣٣/٢٤.

(٨٢) جعدته: راكمته وجمعت أجزاءه. تاج العروس ٥٠٤/٧.

(٨٣) البيتان ٢، ٣ في قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ٢٤٨/١، والمقطعة في مختصر المجامع والمعاجم ٩١، والوافي بالوفيات ٤٠/٧.

(٨٤) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٣٥٦.

(٨٥) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٣٧٨.

(٨٦) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١١٩.

(٨٧) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٢٦٣.

(٨٨) البدر السافر في أنس المسافر ١٠٥/١ – ١٠٦، ولعل الأشعار التي تقع تحت الأرقام ٢١ – ٢٥) من قصيدة واحدة.

(٨٩) في الأصل: "ودمعي شائق".

(٩٠) جيرون: اسم لمواضع كثيرة، أنسبها لسياق الأبيات أنه اسم لدمشق نفسها. ينظر معجم البلدان ١٩٩/٢، بَابُ البريد: بفتح الباء الموحدة، وكسر الراء، بلفظ البريد وهو الرسول: اسم لأحد أبواب جامع دمشق، وهو من أنزه المواضع، وقد أكثرت الشعراء من ذكره ووصفه والتشوق إليه. معجم البلدان ٣٠٦/١.

(٩١) بَيتُ لِهيَا: بكسر اللام، وسكون الهاء، وياء، وألف مقصورة، كذا يتلفظ به، والصحيح بيت الإلاهة: وهي قرية مشهورة بغوطة دمشق يذكرون أن آزر أبا إبراهيم الخليل، عليه السلام، كان ينحت بها الأصنام ويدفعها إلى إبراهيم ليبيعها فيأتي بها إلى حجر فيكسرها عليه. معجم البلدان ٥٢٢/١، وسهمها: أي نصيبها وحظها من الجمال والروعة. والنَيْرَبُ: قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين أنزه موضع. معجم البلدان ٢٣٠/٥، وحاجر: موضع في ديار بني تميم، ومنازل بني فزارة بين النقرة والحاجر، وكان عيينة بن حصن قد نهى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - أن يدخل العلوج المدينة وقال: كأني برجل منهم قد طعنك هنا، ووضع يده تحت سرته، وهو الموضع الذي طعن فيه، فلما طعنه أبو لؤلؤة لعنه الله قال: إن بين النقرة والحاجر لرأيًا. الروض المعطار في خبر الأقطار ١٨٨، وزرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ١٣٩/٣.

(٩٢) ثَوْرا: بالفتح، والقصر: اسم نهر عظيم بدمشق، وقد وصف في بردى، وقد جاء في شعر بعضهم ثورة، بالهاء، وهو ضرورة. معجم البلدان ٨٦/٢، يَزِيدُ: نهر بدمشق ينسب إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. معجم البلدان ٤٣٦/٥.

(٩٣) معاهد التنصيص ٢١٨/٤.

(٩٤) التخريج بغية الطلب ٩٨٠/٢، ومختصر تاج المجامع والمعاجم ٨٩ – ٩٠.

(٩٥) القُذَذُ ريش السهم. لسان العرب ٥٠٤/٣، وفي البيت إقواء. ورد البيت في بغية الطلب هكذا: "مقذذ".

(٩٦) المُشَعْبِذُ بِكَسْر الباءِ وَفتحهَا، أَهمله الجوْهَرِيّ، وَقَالَ اللَّيْث: هُوَ المُشَعْوَذُ بِفَتْح الْوَاو وَكسرهَا، وَقد شَعْبَذَ يُشَعْبِذُ. قَالَ الثعالبي فِي الجنى المحبوب الْمُلْتَقط من ثمار الْقُلُوب: لَا أَصل لقَولهم مشعْبذ، وإِنما هُوَ بِالْوَاو. تاج العروس ٤٢٦/٩، والمشعبذ: المَاهِر في الاحتيال، المظهرُ الشّيءِ على غير حقيقته معتمدًا على خِداع الحواسّ. معجم اللغة العربية المعاصرة ١٢٠٤٠/٢.

(٩٧) ورد في مختصر تاج المجامع والمعاجم برواية: "بجفنه".

(٩٨) في الأصل: "ميهوب" . وورد في مختصر تاج المجامع والمعاجم هكذا: "مهيوب". والصواب ما أثبت.

(٩٩) رجل مُطَرْمِذٌ ملَق فيّاشٌ متكبِّر، يُبْدي غيرَ مَا فِي طَبيعَتِه، ويتزيّنُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ من خُلُق ومُروءَة وكَرَم. تاج العروس ٣٦٧/٢٦.

(١٠٠) يتبغدذ: يتشبه بأهل بغداد. هامش تاج المجامع والمعاجم.

(١٠١) مجذذ: ممزق مقطع. لسان العرب ٤٧٩/٣.

(١٠٢) رذّت السماءُ لغة وأرذّت من الرَذاذ وهو المطر الضعيف، ومرذذ: أي ممطر برذاذ المطر. كتاب الأفعال لابن القطاع ٥٢/٢.

(١٠٣) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ١٦٧، والبيت الخامس فيه ٦٧.

(١٠٤) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٢٧.

(١٠٥) ورد تشنيف السمع في انسكاب الدمع: "وقد جازوا". تصحيف

(١٠٦) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١١١.

(١٠٧) مخطوط عيون التواريخ ٣٥٠/١.

ء() ١٠٧ نَظَرَ إليه شَزْرًا، وهو نظر الغضبان بِمُؤَخَّرِ العين. لسان العرب ٤٠٤/٤.

(١٠٩) الغزالة: الشمس، ذكرها الشاعر هنا على سبيل التورية، والمقصود بالنسر هنا جيوش الظلام.

(١١٠) كرر الشاعر هذه الصورة في بعض شعره، كما في البيت رقم (٢٣) من هذه القصيدة.

(١١١) السرطان: من بروج الفلك، والحوت: برج في السماء. لسان العرب ٣١٤/٤، ٢٧/٢.

(١١٢) الهجرا: أي الهجراء، جمع هجير.

(١١٣) سطرى: من قرى دمشق. معجم البلدان ٢٢٠/٣،و مَقْرَى: بالفتح ثم السكون، وراء، وألف مقصورة تكتب ياء لمجيئها رابعة: قرية بالشام من نواحي دمشق. معجم البلدان ١٧٣/٥- ١٧٤.

(١١٤) ورد البيت في الأصل هكذا: "وبكى الغمام".

(١١٥) دارِينُ: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها داريّ. معجم البلدان ٤٣٢/٢.

(١١٦) الشَّهْل: اخْتِلاَطُ اللّوْنَيْنِ. تاج العروس ٣١٠/٢٩.

(١١٧) اقتباس من قوله تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ ﴾. سورة الفرقان، الآية رقم ٧٦.

(١١٨) تأثر الشاعر في هذا البيت بقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ﴾. سورة الكهف، الآية رقم ٧١.

(١١٩) في الأصل: "حاكمًا". أَمَرَّ الشيء: أحكم أمرة شدة وقوة. من إمرار الحبل : أي إحكام فتله.

(١٢٠) مخطوط عيون التواريخ ١/ ٣٥٦، والبيتان ١٧، ١٨ في الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٢٤٦،وقال مؤلفه: إنهما مأخوذان من قول الشاعر (الباخرزي):

وإذا رمَيْتَ بفضلِ كأسكَ في الهوّا

وتَـرى عتـاق المـاءِ فـي وُكُـناتِـها

عـادَتْ عليكَ من العَقيقِ عُقودا

تَـخْـتـارُ حـرَّ الـنـارِ والـسُّـفّـودا

(١٢١) المِسْحُ، بِالكَسْرِ: البَلاَسُ، بِكَسْر الموحّدة وتفتح، ثَوْبٌ من الشَّعرِ غليظٌ. تاج العروس ١٢٢/٧.

(١٢٢) في الأصل: "ومرق". تصحيف.

(١٢٣) الغِرَارُ: النَّوْمُ القَلِيلُ. تاج العروس ٢٢٤/١٣.

(١٢٤) الرَّيْع من كلِّ شيءٍ: أوَّلُه وأَفْضَلُه. تاج العروس ١٣٨/٢١.

(١٢٥) الـذَّرُورُ: ما يُذَرُّ في العَيْنِ. القاموس المحيط ٣٩٦/١.

(١٢٦) ورد البيت في الأصل هكذا: "قذفت". النُّثَارُ بالضم: ما تَناثَرَ من الشيء. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٨٢٢/٢.

(١٢٧) في الأصل: "كأس العوادي". تصحيف.

(١٢٨) كذا ورد الشطر الثاني، وثورا: اسم نهر في دمشق، وسلاسل: أي تسلسل الأمواج، ووثبها: تقافزها وارتفاعها.

(١٢٩) البم، والزير: من أسماء أوتار العود الذي يضرب به. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ٤٢١.

(١٣٠) ورد البيت في الأصل هكذا: "نعم".

(١٣١) في الأصل: "يغزى".

(١٣٢) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ٢١٤ – ٢١٥.

(١٣٣) الناجم: الظاهر. معجم اللغة العربية المعاصرة ٢١٧٢/٣.

(١٣٤) خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام ٣٢٩/١ – ٣٣١.

(١٣٥) البيتان: ١، ٣ في تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١١١، والبيتان ١ ، ٢ في مخطوط المرج النضر والأرج العطر الورقة ١٥.

(١٣٦) في تشنيف السمع في انسكاب الدمع برواية: "مذ تناءوا".

(١٣٧) التخريج بغية الطلب ٩٨٠/٢ – ٩٨١، ومختصر تاج المجامع والمعاجم ٩٠ – ٩١.

(١٣٨) مخطوط عيون التواريخ ٣٥٦/١ – ٣٥٧.

(١٣٩) معبد (١٢٦هـ)وغريض(توفي في عهد سليمان بن عبد الملك): ممن يضرب بهما المثل في عذوبة الصوت وجمال الأداء في فن الغناء في العصر الأموي.

(١٤٠) كشف الحال في وصف الخال ٢٥١، والبيتان ٢، ٣ في الغيث المسجم في شرح لامية العجم ١٥١/١، وديوان الصبابة ٦٥، ونزهة الأدباء وتحفة الظرفاء ٣٩٠.

(١٤١) ورد البيت الثاني في الغيث المسجم برواية: " تنقط"، وورد في وديوان الصبابة برواية: "فصاده"، وورد في نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء برواية: "فصادها".

(١٤٢) الكشط: المحو والإزالة. هامش الغيث المسجم.

(١٤٣) الوافي بالوفيات ٤٣/٧، ومعاهد التنصيص ٣٠١/٣ – ٣٠٢.

(١٤٤) ورد البيت في الوافي بالوفيات برواية: "غرارهُ، فيا".

(١٤٥) ورد البيت في معاهد التنصيص برواية: "مزَارُهُ بين".

(١٤٦) ورد البيت في معاهد التنصيص برواية: "لمَّا جفَا".

(١٤٧) ورد البيت في الوافي بالوفيات برواية: "يَا لجوى".

(١٤٨) مخطوط عيون التواريخ ٣٥٥/١.

(١٤٩) قُلَّةُ كلِّ شيءٍ: رأْسُهُ وأَعلاهُ. تاج العروس ٢٧٤/٣٠.

(١٥٠) الفيْج من الأرض: الوهد المطمئن. الجيم ٣١/٣.

(١٥١) الدَّمْشقُ: الناقة الخَفِيفة السريعة. لسان العرب ١٠٤/١٠.

(١٥٢) ورد البيت في الأصل هكذا: "كلم".

(١٥٣) مخطوط عيون التواريخ ٣٥٧/١ -٣٥٨.

(١٥٤) الدساتين: جمع دستان، ،وهي النغمة بالفارسية. الألفاظ الفارسية المعربة ٦٤، معبد، ومخارق: ممن يضرب بهما المثل في جودة اللحن وعذوبة الغناء في العصر الأموي.

(١٥٥) جاجه: أي جأجأه. بمعنى: دعاه. ينظر تاج العروس ١٦٥/١، والجواسق: جمع جوسق، وهو القصر أو الحصن. تاج العروس ١٢٦/٢٥.

١٥٦() الكوسات: جمع كوس، وهو الطبل. المعجم الوسيط ٨٠٥/٢. قال ابن دانيال:

وَدَق طَبل الهَنا في كُل ناحِيَة

وَقابَلته مِن الآفاق كوسات

والبيارقِ: جمع بيرق، وهو فارسي، بمعنى العلم والراية. الألفاظ الفارسية المعربة ٣٢.

(١٥٧) المجدل: ملقى صريعًا من قولهم: "وجَدَلَ الحَبُّ في السُّنْبُلِ : وقَعَ . وجَدَلَهُ وجَدَّلَهُ فانْجَدَلَ وتَجَدَّلَ: صَرَعَهُ على الجَدالَةِ". تاج العروس ١٩٣/٢٨.

(١٥٨) بواثِق: جمع بِئْقُ، وهو اسم الموضع الذي حفره الماء. كتاب العين ١٣٩/٥.

(١٥٩) كذا ورد عجز البيت.

(١٦٠) اليلامقِ: جمع يلمق، وهو القباء. الألفاظ الفارسية المعربة ١٦١.

(١٦١) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ٢٤٧/١، ومختصر تاج المجامع والمعاجم ٩٢، والوافي بالوفيات ٤٠/٧، وفوات الوفيات ٨٤/١، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان (مخطوطة المكتبة السليمانية)٣٠/١ .

(١٦٢) ورد البيت في قلائد الجمان برواية: "مكانه أخرق".

(١٦٣) بيدق أو بيذق: جندي الشطرنج وتجمع على بياديق. تكملة المعاجم العربية ٤٩٧/١.

(١٦٤) الروضتين ٣٥١/٤، والوافي بالوفيات ١٣٦/١ ما عدا البيت الأخير.

(١٦٥) ورد البيت في الوافي بالوفيات برواية: "مشمس حلق".

(١٦٦) ورد البيت في الوافي بالوفيات برواية: "أحرم اللون ... من أحمر اللون".

(١٦٧) ورد البيت في الروضتين برواية : "ما يبقي الفؤاد وما بقي".

(١٦٨) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ٢١٤.

(١٦٩) مخطوط عيون التواريخ ٣٥٦/١.

(١٧٠) في مخطوط عيون التواريخ: "جلق إلى".

(١٧١) علمة: لعلها علما، إحدى قرى درعا السورية. ينظر الرابط:

http://esyria.sy/sites/code/index.php?site=daraa&p=stories&category=places&filename=201207251615362

داعل: كفر داعل من قرى حلب . نهر الذهب في تاريخ حلب ٢١٤/١.

(١٧٢) الوافي بالوفيات ٤٤/٧، وفوات الوفيات ٨٦/١، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان (مخطوطة المكتبة السليمانية)٣١/١.

(١٧٣) مخطوط عيون التواريخ ٣٥٦/١.

(١٧٤) مختصر تاج المجامع والمعاجم ٩٢، الوافي بالوفيات ٤٠/٧ - ٤١، وفوات الوفيات ٨٤/١، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان (مخطوطة المكتبة السليمانية)٣٠/١. وفي فوات الوفيات: أخذه من قَول الأرّجاني:

١- قَابلني حَتَّى بَدَت أدمعي
فِي خَدّه المصقولِ مثل المراهْ

٢- يُوهِمُ صَحْبي أَنَّه مُسْعِدِي
بأدمعٍ لم تذرها مقلتاهْ

٣- وَإِنَّمَا قَلَّدَنِي مِنَّةً
بِدَمْعِ عَينٍ مِنْ جُفُونِي مَرَاهْ

٤- وَلم يقَعْ من دمعه قَطْرَةٌ
إِلَّا خَيَالاتُ دُموعِ البُكَاهْ

(١٧٥) الغيث المسجم ٩٣/١.

(١٧٦) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ٢٧، والبدر السافر في أنس المسافر ١٠٦/١، ومختصر المجامع والمعاجم ٨٨.

(١٧٧) الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٤٢٢.

(١٧٨) الغيث المسجم ٧٢/١.

(١٧٩) هذا البيت من الكامل الذي لحقه الإضمار، وهو تسكين الثاني المتحرك، وهذا أدى إلى تشابهه مع الرجز؛ لذا أتبعه الشاعر بوزن الرجز في بيت كامل.

(١٨٠) مجمع الآداب في معجم الألقاب ٥٧٢/٤، وورد فيه هكذا:"من أحله".

(١٨١) الوافي بالوفيات ٤٤/٧، والغيث المسجم ٢٨٦/١، وفيه حاكى جسمها، ومعاهد التنصيص ١٨١/٣، ونزهة الأدباء وتحفة الظرفاء ٣٧٥، وصرح مؤلف معاهد التنصيص: بأن هذا المعنى هو بِعَيْنِه قَول الأرجاني:

١- غالطتني إِذْ كنت جسمي للضنى
كسْوَة أعرت من اللَّحْم العظاما

٢- ثمَّ قَالَت أَنْت عِنْدِي فِي الْهوى

مـثـل عَـيْـنـي صـدقـت لَـكِـن سقاما

(١٨٢) ورد البيت في الغيث المسجم برواية: "خصرها". وورد في الوافي بالوفيات برواية: "جسمها".

(١٨٣) الكشكول ٢٣٢/١.

(١٨٤) كشف الحال في وصف الخال ٢٩٠.

(١٨٥) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٧٩، ولعل هذه النتفة وسابقتها من قصيدة واحدة.

(١٨٦) مختصر تاج المجامع والمعاجم ٩٢، والوافي بالوفيات ٤٠/٧.

(١٨٧) مخطوط عيون التواريخ ١/ ٣٥٥، والأبيات ٢٥، ٢٦، ٢٧ في كشف الحال في وصف الخال ٢٨٥.

(١٨٨) ورد في مخطوط عيون التواريخ: "من رام". تحريف مفسد للمعنى. رامة: موضع بالعقيق، وقيل بل هي وراء القريتين في طريق البصرة إلى مكة. الروض المعطار في خبر الأقطار ٢٦٣.

(١٨٩) ورد البيت في الأصل هكذا: "ورام". الخيف: اسم يقع مضافاً إلى مواضع كثيرة، ولا يكون خيفاً إلا بين جبلين، وقيل: الخيف ارتفاع وهبوط في سفح جبل أو غلظ، وأشهرها خيف منى. الروض المعطار في خبر الأقطار ٢٢٩، والرَّنْد: شجر طيّب الرائحة، ويقال: إنه هو الآس. والبشام: ضرب من الشّجر طيب الرّيح. جمهرة اللغة ٦٤٠/٢، ٣٤٥/١.

(١٩٠) سلع: جبل متصل بالمدينة. الروض المعطار في خبر الأقطار ٣١٨.

(١٩١) ورد البيت في الأصل هكذا: "ولا تسل".

(١٩٢) ورد البيت في مخطوط عيون التواريخ هكذا: "إذا مر على".

(١٩٣) مكان النقاط كلمة لم تتوجه لي قراءتها.

(١٩٤) جمرايا، والهامة: قريتان تقعان غرب دمشق، خطط الشام ١٥٨/٤.

(١٩٥) الكُبرَى: أي دمشق.

(١٩٦) في هذا البيت إيطاء.

(١٩٧) ورد البيت في مخطوط عيون التواريخ هكذا: "ظفره".

(١٩٨) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ٢٦- ٢٧، والبدر السافر في أنس المسافر ١٠٦ – ١٠٧، ومختصر تاج المجامع والمعاجم ٨٧ – ٨٨.

(١٩٩) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٧٩.

(٢٠٠) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٢٨.

(٢٠١) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ٢٨.

(٢٠٢) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٧٩.

(٢٠٣) الغيث المسجم ٢/ ٢٨٥، وشرح لامية العجم (مختصر شرح الصفدي المسمى الغيث المسجم) ١١١

(٢٠٤) الوافي بالوفيات ٤٢/٧ – ٤٣، والأبيات ١ – ٤ في فوات الوفيات ٨٥/١، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان (مخطوطة المكتبة السليمانية)٣١/١.

(٢٠٥) البداية والنهاية ٣٧٢/١٢ - ٣٧٣، والكامل في التاريخ ٤٤١/٩، ومعجم البلدان ٥١٩/١ برواية: "آن حتفها"، والروضتين ٣٨/٢، وسنا البرق الشامي ٣٣٨/١، وفوات الوفيات ٨٥/١، ونهاية الأرب ٣٩٦/٢٨، وهي في شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ١١٧.

(٢٠٦) الوافي بالوفيات ٤١/٧ – ٤٢، وفوات الوفيات ٨٥/١، وعقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان (مخطوطة المكتبة السليمانية)٣٠/١ - ٣١

(٢٠٧) ورد البيت في الوافي بالوفيات برواية: "أَرْضَيتُ جفوني"، وورد في فوات الوفيات: "موهلا".

(٢٠٨) أخذت برواية "فهو "، وهي رواية فوات الوفيات، وفي الوافي بالوفيات: "فهي".

(٢٠٩) ورد البيت في فوات الوفيات برواية: "فيه إذا عدّ".

(٢١٠) ورد البيت في فوات الوفيات برواية: "بدورًا أوجها".

(٢١١) ورد البيت في فوات الوفيات برواية: "تغازل".

(٢١٢) الوافي بالوفيات ٣٩/٧.

(٢١٣) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ٢٤٨/١. وفيه: لما قال ابن نفاده:

إنْ أَعْـوَزَ الـحَـاذقُ فـاستَـبْدِلُـوا

مَـكَـانَـهُ آخَـرَ لَـمْ يَـحْـذَقِ

فَـلاعِـبُ الـشِّـطْـرَنْـجِ مِـنْ شَـأْنِـهِ

وَضْـعُ حَـصَـاةٍ مَـوْضِـعَ الـبَـيْـذَقِ

قال له عماد الدين الأصفهاني: البيذق أصغر ما في الشطرنج تقوم الحصاة عوضه، فارتجل في المعنى ما كتبه إليّ: (وأنشد البيتين). والبيتان في الوافي بالوفيات ٤٠/٧.

(٢١٤) تشنيف السمع في انسكاب الدمع ١٢٨، ومخطوط المرج النضر والأرج العطر الورقة ٢٢.

(٢١٥) ورد البيت في المرج النضر والأرج العطر برواية: "ومخطف الخصر".

(٢١٦) ورد البيت الثاني تشنيف السمع في انسكاب الدمع برواية: "أَحْوَى تَبَدَّد".

(٢١٧) مختصر تاج المجامع والمعاجم ٩٣، الوافي بالوفيات ٤١/٧.

(٢١٨) مخطوط عيون التواريخ ٣٤١/١.

(٢١٩) ورد البيت في مخطوط عيون التواريخ هكذا: "وحذا... الأصوات حاذيها".

(٢٢٠) ورد البيت في مخطوط عيون التواريخ برواية: "في الأصل: في فهمة ... طلسا".

(٢٢١) اليَعْمَلة: الناقة الصَّابرة على العملِ والسَّير، وجمعه يَعَملاتٌ. الاشتقاق لابن دريد ٢٦٨.

(٢٢٢) الشقرا: من أودية دمشق، البرق المتألق في محاسن جلق ١٧، ومنادمة الأطلال ومسامرة الخيال ٤١٨.

(٢٢٣) جِسْرُ ابن شواش: قال عنه ياقوت: "شَواشٌ: بالفتح ثم التشديد وآخره شين أيضًا، اسم رجل نسب إليه موضع في متنزهات دمشق يقال له: جسر بن شوَاش" ٦٥/٣، تشوشت: اختلطت. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٠٠٩/٣.

(٢٢٤) ورد البيت في مخطوط عيون التواريخ هكذا: "وصل إلى".

(٢٢٥) اختراع الخراع للصفدي ٤١ تحقيق فارق اسليم بن أحمد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق. ٢٠٠٠م.

(٢٢٦) تبادى: بحذف التاء من الفعل تخفيفًا، والأصل تتبادى، أي تتشبه بأهل البادية، هامش كتاب اختراع الخراع. وهي في هجاء أحمد بن طولون كما ورد في متن الكتاب، وفي هامشه أن ابن طولون توفي عام (٢٧٠ هـ)، وأنها في هجاء الشاعر حيص بيص (ت ٥٧٤ هـ)، وتنسب الأبيات لابن الفضل، ولعلي بن الأعرابي الموصلي في وفيات الأعيان ٣٦٤/٢.

المصـادر

١- اختراع الخراع للصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: فارق أسليم بن أحمد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق. ٢٠٠٠م.

٢- الاشتقاق: لمحمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،ط١، ١٩٩١م.

٣- أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) تحقيق: شاكر هادي شكر، العراق، ١٩٦٨م.

٤- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م.

٥- البدر السافر عن أنس المسافر، كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثَعلَب الأُدْفُوِي (ت٧٤٨هـ)، دراسة

وتحقيق: قاسم السامرائي، وطـارق طاطمي، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ط١، ٢٠١٥م.

٦- البرق المتألق في محاسن جلق ، لمحمد بن مصطفى خُـداويـردي (ق ١٢ هـ)، تحقيق: محمد أديب الجادر، مجمع اللغة العربية بدمشق،

٧- بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، كمال الدين عمر أحمد الحلبي (ت٦٦٠ هـ) ، حققه وقدم له: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت . د.ت.

٨- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

٩- تشنيف السمع في انسكاب الدمع، صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: محمد عايش، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.

١٠- تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١،٢٠٠٠م.

١١- التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء: لأبي هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت نحو ٣٩٥هـ)، عني بتَحقيقِه: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٦م.

١٢- جمهرة اللغة: لأبي بكر، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٣- الجيم: لأبي عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني (ت ٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٤- خـريـدة الـقـصـر وجـريـدة الـعـصـر: للعماد الأصفهاني(شعراء الشام) تحقيق: شكري فيصل، دمشق ١٩٥٥م.

١٥- خطط الشام: محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي (ت ١٣٧٢هـ)، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٩٨٣م.

١٦- الـدر الـذي انتظم في شرح لامية العجم: لأبي الوفاء العرضي، مخطوط مكتبة أسعد أفندي، رقم ٢٨٠١.

١٧- ذيل خريدة القصر: عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: عـارف أحمد عبد الغني، ومحمود خلف البادي، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.

١٨- الروض المعطار في خبر الأقطار: لمحمد بن عبد المنعم الحِميري ، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

١٩- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، عبد الرحمن بن إسماعيل، أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ)، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢٠- سنا البرق الشامي، الفتح بن علي البنداري (اختصار البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق: رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

٢١- شرح لامية العجم (مختصر شرح الصفدي المسمى الغيث المسجم)، محمد بن موسى الدَّمِيري (ت ٨٠٨ هـ)، تحقيق: جميل عبد الله عويضة، ٢٠٠٨م.

٢٢- شعر ابن نفادة السلمي (ت ٦٠١ هـ)، وليد سامي خليل السامرائي، وصفاء علي حسين، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع١٣، ٢٠٠٨م.

٢٣- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: لأحمد بن إبراهيم الحنبلي، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

٢٥- عيون التواريخ، ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ)، مخطوط لدى الباحث.

٢٦- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (ت ٢٨٥)، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٧- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار المعارف، مصر.

٢٨- الغيث المسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين الصفدي(ت ٧٩٤ هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

٢٩- فوات الوفيات والذيل عليها: لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، د ت .

٣٠- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، ابن الشعار الموصلي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: كامل الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م .

٣١- الكامل في التاريخ، علي بن محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م

٣٢- كتاب الأفعال: لعلي بن جعفر، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (ت ٥١٥ هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣م

٣٣- كشف الحال في وصف الخال، صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن ابن محمد العقيل، طبعة الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٣٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله، حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، ١٩٤١م.

٣٥- الكشكول، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م

٣٦- مجمع الآداب في معجم الألقاب، عبد الرزاق بن أحمد، ابن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣ هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٧- المرج النضر والأرج العطر، الشريف الأسيوطي مخطوطة مكتبة يعقوب نعوم سركيس، رقم ٦٢٠٧.

٣٨- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٠- معجم المؤلفين، عمر بن كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤١- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لعبد القادر بن أحمد بن بدران (ت ١٣٤٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت

٤٢- نهاية الأرب في فنون الأدب: لأحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٣- نهر الذهب في تاريخ حلب، لكامل بن حسين الحلبي، الشهير بالغزي (ت ١٣٥١هـ)، دار القلم، حلب، ط٢، ١٤١٩هـ.

٤٤- الهول المعجب في القول بالموجب، لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: محمد لاشين، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٥م.

٤٥- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار نشر فرانز شتاينر، فيسبادن، نشر على سنوات متعددة.

https://ar.wikisource.org/wiki/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF_333/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9_%D8%A7-%D9%84%D9%86%D9%82%D8%AF

بدو سيناء بعيون الرحالة الأوربيين عصر سلاطين المماليك

د. مصطفى وجيه مصطفى

أكاديمي - مصر

الرحلة قراءة في صفحة الدنيا، ووسيلة رئيسية من وسائل المعرفة، في زمن كانت الجياد فوق الأرض الصلبة والجمال عبر الصحراء وفوق رمالها، والسفن الشراعية فوق مياه الأنهار، أو بين أمواج البحار، أسرع وسائل المواصلات والاتصالات. وقد كانت الرحلة آنذاك، ولا تزال، وسيلة ناجحة، يتوسل بها الإنسان إلى العلم والمعرفة إذا ما كان يبحث عنها.

وموضوع دراستنا يبحث في ناتج مهم من نواتج الرحلة الفردية، التي كانت على مر عصور التاريخ تتم انطلاقا من دوافع فردية مختلفة؛ فالجنود، والسفراء، والتجار، ورجال الدين، والمغامرون، كانوا باستمرار من العناصر المتكررة في تاريخ الرحلة. والتي كان حصادها المعرفي مثيرا على الدوام، وربما فيه فائدة علمية في كثير من الأحيان. وعلى الرغم من أن الرحالة الفرديين كانوا أعدادا لا تحصى، فإن عددا منهم – بطبيعة الحال- هم الذين سجلوا رحلاتهم بشكل أو بآخر. وتحتل الفترة التي يُمثِّلها عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) مساحة مهمة في تاريخ الرحلة الأوروبية إلى مصر؛ فقد شهدت هذه الفترة عدة تطورات تاريخية مهمة بدأت بوقف الخطر المغولي ١٢٦٠م، وانتهت بسقوط دولة المماليك بعد هزيمة مرج دابق والريدانية ١٥١٧م، مرورا بالقضاء على الوجود الصليبيِّ من الشريط الساحلي لبلاد الشام، بعد تحرير عكا بقيادة الأشرف خليل بن قلاوون ١٢٩١م، وكانت النتائج المباشرة لنجاحات دولة سلاطين المماليك في سنواتها الأولى، إلى أن صارت القاهرة العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية للعالم المسلم من ناحية، كما كانت مقصدا للزوَّار والتُّجَّار والسفراء والحجاج، والمغامرين الأوربيون، وحتى الجواسيس من ناحية أخرى. ومن هؤلاء كانت الاستفادة بالنسبة للدراسة؛ حيث شكلت رحلة الحج إلي الأراضي المقدسة بفلسطين إغراء قويا للأوربيين، ودخلت مناطق من مصر في مسار الرحلة الدينية للحجاج

الكاثوليك القادمين من أوروبا، علاوة على ما سمي بتجارة الذخائر المقدسة أي: رفات القديسين وأشيائهم المادية، وكانت تجارة هذه الذخائر مثار اهتمام الأوروبيين، ودافعا أكبر للرحيل. وخلال ترحالهم بين مصر وفلسطين ضمن خط سير الرحلة، اهتم الرحالة الغربيون برصد صور عديدة لبدو سيناء سكان هذه الصحراء الشاسعة، وكان الرحالة الغربيين أو "حجاج بيت المقدس" بمثابة العين الغريبة وآلة التصوير التي تسجل ما تراه غريبا وغير مألوف وشاذ من ممارسات هؤلاء البدو القاطنين بصحراء سيناء بالنسبة لثقافاتهم، على حين يمارس بدو سيناء حياتهم وفق نظامهم القيمي والأخلاقي وعاداتهم وتقاليدهم التي ألفوها جيلا بعد جيل، ولم يروا فيها أية قدر من الغرابة.

أما عن الدراسات السابقة: فعلى حد اطلاعي، ليس هناك دراسة أُفردت للحديث عن بدو سيناء في أي عصر منذ الفتح الإسلامي حتى العصر العثماني، وإن كان هناك دراسات عديدة أُفردت للحديث عن تاريخ القبائل العربية، إلا أن التركيز كان على دور القبائل العربية التي سكنت الريف، وحازت إقطاعات في نواحي مصر المختلفة، كما أن نصيب بدو سيناء فيها كان محدودا وغالبا ما كان ينصب على ذكر الجانب السلبي[1].

إشكالِيَّة المصطلح في المصادر التاريخية:[2]

على الرغم من كثرة المادة المصدرية الواردة عن البدو الذين يعيشون في سيناء، إلا أنه يلاحظ عدم اتفاق المصادر جميعا على مُسمى جامع مانع للبدو سواء أكانت في كتابات الرحالة وكتاب الأخبار المسلمين أم غيرهم من الرحالة الأوربيين. **فالمصطلح في الرحلة الإسلامية** التي ارتحل أصحابها عبر سيناء؛ لأداء فريضة الحج لم يزيد أصحابها في خبرهم عن القبائل العربية التي تعيش في سيناء مصر عن لفظ العرب والأعراب والعربان مع نسبة المكان[3]، وهو نفس الأمر في **مصنفات كتاب الأخبار**، وإن كان ظهر لفظ شيخ العرب، وشيخ الجبال في كتب الحوليات – مقترنا بخبر عن عرب سيناء- فكان استخدامهم على استحياء[4].

وفي الواقع، إن مسألة الوصول لماهية مصطلح (بدو[5] – عربان أعراب – عرب) في المصنفات الإسلامية أمر يكتنفه صعوبات، وتتبين تلك الصعوبات عند مطالعة كتاب البيان والإعراب لشيخ مؤرخي مصر الإسلامية المقريزي[6] فعلى الرغم من وجود مادة مهمة في المصنف المذكور عن الإلمام ببطون القبائل العربية الموجودة في مصر[7] في العصر المملوكي وأماكن وجودها، مع شيء عن تاريخها ودورها في الحياة إلا أن المقريزي –وهو شيخ المؤرخين- لم يتحر في رسالته منهجا مرسوما، وربما سبب ذلك اندماج القبائل العربية في عصره وتداخلها؛ حيث حافظ العرب على أنسابهم في الجزيرة العربية في الجاهلية والإسلام[8]. ومن أجل ذلك ألفت فيه المؤلفات في الأنساب، وبخاصة مع دخول غير العرب في الإسلام، وخوفا من ضياع الأنساب، وبفتوح البلدان، وتدافع الحضارات، إذ تدافعت الحضارة الفارسية مع العربية في فكرة النسبة، وكان الفرس ينسبون إلى المكان أو الحرفة وغير ذلك، وباتساع الدولة وتداخل القبائل مع بعضها البعض، ظهرت عند المسلمين النسبة إلى المكان والمذهب والحرفة، وغير ذلك بالإضافة إلى ما تم البقاء عليه من النسبة للقبيلة. وكان من نتيجة ذلك، أن تأثرت حركة التأليف بهذا، فبدأت

بدو سيناء بعيون الرحالة الأوربيين عصر سلاطين المماليك

المؤلفات بتقسيم المؤلف طبقا للأصول قحطانية وعدنانية، ولما جاء العصر المملوكي أصبحت المؤلفات على استحياء، تريد أن تستغني عن هذا النوع من التقسيم لصعوبته، وتبدأ في فكرة التقسيم على الأساس الجغرافي، وهذا كان من الطبيعي؛ لكون القبيلة الواحدة تفرعت بطونها في عدة أماكن. وقد ظهر ذلك واضحا في مؤلف المقريزي البيان والإعراب عما نزل مصر من الأعراب؛ حيث يُغير المقريزي أسلوب التقسيم من الأساس طبقا للأصول إلى التقسيم طبقا للأساس الجغرافي. ولعل هذا ما يوضح صعوبة تحديد ماهية المصطلح في المصنفات الإسلامية بشكل دقيق أو جامع مانع يمكنا من خلاله أن نقول: مثلا أن ماهية الأعراب في العصر المملوكي تعني كذا...

ولكن المدقق في المادة الواردة عن القبائل العربية في المصنفات الإسلامية في العصر المملوكي يلاحظ أن هذه المصنفات كانت أحيانا تُشير إلى القبائل العربية جميعا باسم " العربان" –مع التميز الجغرافي للمراد ذكر خبره- وصار هذا المسمى يتسع ليشملهم جميعا في نواحي مصر؛ ويرجع ذلك إلى تأثير العناصر التركية في مصر حتى أصبحت كلمة عربان تشمل: العرب، والأعراب، والبدو وكانت تعني وقتئذٍ الرحل ذوي الأصل العربي، وهم الموجودون على تخوم صحاري مصر بمحاذاة النيل، وكان هؤلاء العربان يمثلون كتلة ضخمة من السكان بحيث يصعب التمييز بينهم بمعيار الأنساب، وانتمائهم سواء لليمن القحطانية أو القيسية العدنانية أو البربر، وكان هذا هو السبب الذي دعا معظم مؤلفي العصر المملوكي إلى تسميتهم برمتهم العربان، ولم يميزوا بينهم إلا عن طريق انتمائهم إلى مكان ومحل إقامتهم[٩]. وربما أن سبب إطلاق اسم العربان في المصنفات الإسلامية على القبائل عامة -والذي كان "البدو" أحد معانيه- هو أن كثير من القبائل العربية آنذاك كانوا يعيشون في طور الانتقال من حياة التنقل إلى حياة الاستقرار. أو ربما لأن اسم العربان جاء دائما عند كتاب الأخبار عنوانا للفساد[١٠] والإخلال بالأمن والاعتداء على الآمنين من أهالي القرى والمدن، ومن ثم عُرفوا بذلك؛ لأن استخدام هذا المسمى من قبل المؤرخين، وهم طليعة الفكر والثقافة، كما أن كثير منهم جاء من نخبة الصفوة المدنية بل والعسكرية أيضا لم يأت هباء، وربما عنوا باستخدامه نظرة انتقصت من شأن القبائل، فنعتتهم المصادر باسم "العربان" بدلا من "العرب"[١١].

ومن ناحية أخرى، نجد كتابات **الرحالة الأوربيين استخدمت** في أحيان مصطلح Nomads [١٢] قاصدة بهم سكان سيناء وهو في العربية معناه البدو، وهو أيضا مصطلح يعني عند الرحالة الغربيين نمطا اجتماعيا، يغلب عليه الافتقار للإقامة والتوطن والاستقرار[١٣]، وعند استخدامهم هذا المصطلح Nomads أشاروا إلى أن المصطلح وثيق الصلة بالمهنة الأساسية التي مارسوها وهي الرعي، جاروها مهنة أخرى ثانوية كلما لزم الأمر، ولكن لم تكن لتحجب تلك المهنة الأساسية أو الأم[١٤]. وعلى ذلك ربط الرحالة الغربيين بين مفهوم البدو Nomads وعملهم، وتمثلت الآثار التي تركها المفهوم في الرحلة الأوربية في الثقافة البدوية، والتي من معالمها: التنظيم القبلي[١٥] والسلطة الأبوية لشيخ القبيلة[١٦] والعناية بالأنساب[١٧] والزواج الداخلي والأسرة الممتدة، والعزلة عن

المجتمع وضعف الانتماء له[١٨] والحرص على الثأر[١٩] والملكية العامة للأراضي والمراعي[٢٠] وأشارت إلى أن ذلك كله من شأنه أن يحول دون التكامل مع سائر فئات المجتمع ويضعف من فكرة المواطنة وسلطة الدولة[٢١]. وجدير بالذكر أن الرحلة الأوربية لم تستخدم مصطلح Nomads فقط للتعبير عن البدو الذين قابلوهم في طريقهم من صحراء المطرية حتى غزة، بل استخدموا مسميات أخرى قصدوا بها الفئة نفسها أيضا مثل: العربانOrbano [٢٢] وكذلك العرب Arabs [٢٣] والأعراب El-Arabes [٢٤] وأيضا الرُّحّلAscopards [٢٥]. وفي الواقع فإن الرحلة الأوربية منها ما حملت أكثر من اسم أو كل المسميات السابقة (Orbano, Nomads, Arabs, El-Arabes) للتعبير عن عرب سيناء، لكن مصطلح Nomads كان المصطلح الأكثر شيوعا في العقلية الأوربية[٢٦] وبخاصة أن الرحالة كانوا يطالعون مذكرات من سبقهم في المجيء للشرق ويأخذون بوصياهم في الأمور التي سوف يقابلونها؛ لذلك يقابلنا جملة "...وقد أوصانا به من سلك هذا الدرب..."[٢٧] وفي ضوء ذلك استقر مُسمى Nomads أكثر من غيره، مع عدم إهمال غيره من المسميات والتي ربما أخذوها من ألسنة العرب في هذه البلدان؛ لأن العرب والأعراب والعربان، هي مسميات المصادر الإسلامية أي المسميات التي كانت شائع سماعها في شوارع البلاد وعلى ألسنة العوام ممن قابلهم الرحالة واحتكوا بهم في الأسواق أو غيرها. وعلى الرغم من أن العرب، والعربان، والأعراب وهي الأسماء التي جاء ذكرها أيضا في المصادر الإسلامية قد استخدمها المسلمون للتعبير عن أعراب مصر جميعا مع إضافة النسبة للمكان[٢٨] – أي عربان الشرقية - أو أعراب بلبيس- إلا أنه يمكننا الجزم أن المسميات نفسها في الرحلة الأوربية لم يقصد بها غير بدو سيناء؛ لأن الرحالة الأوربيون منذ خروجهم من أوربا لم يصادفوا في مصر غير بدو سيناء سواء في قدومهم من غزة أم في مسيرهم من القاهرة، ومحرم عليهم نزول القرى، وملتزمون بخط سير معين، وبذلك كان الريف أمرا مجهولا للأوربيين، ومعروف أن باقي عناصر القبائل العربية كانت تحيز أماكن في الريف حق انتفاع، ولم تكن تحيز في المدن[٢٩] شيء، ولم يكن بمقدور أحد من العناصر العربية القدوم من الريف للقاهرة إلا بمرسوم أو لأمر مهم. وعلى ذلك لم يقابل الرحالة الأوربيون طوال رحلتهم في مصر أيٍ من القبائل العربية سوى عرب سيناء. كما أن الرحالة لا يذكرون اسم من أسماء البدو سالفة البيان إلا مقترن بفعل ما من البدو تجاههم خلال رحلة السير في طريق سيناء. وطالما أن المصادر العربية نفسها - وأهل مكة أعلم بشعابها- لم تستطع الوصول لماهية محددة لكل مُسمى، فكان من الطبيعي أن يكون الأمر نفسه عند الرحالة الأجانب عن الديار وأهلها.

ويمكن القول في النهاية: أن البدو هم أولئك السكان الذين يقطنون في الصحراء وهوامشها، يقطنون في بيوت الشعر، ويعتمدون على تربية الإبل أكثر من غيرها. وتتميز حياتهم بالتنقل والترحال. أما الأعراب، فهم السكان الذين انتقلوا من البادية "البدو" إلى أطراف المدن. وقد تركوا حياة البادية، وبدأوا بالاستقرار، ويعتمدون على تربية الأغنام وأنشطة زراعية وتجارية، وبما أن كتابات الرحالة والمصنفات الإسلامية بهما ما يفيد بوجود كلا الوجهين عند أهل سيناء، فذلك يدفعنا إلى القول: إن استعمال مُسمى عرب

وأعراب وبدو وعربان أو غيرها من المسميات كانت واسعة في محتواها لدى مؤرخي ورحالة العصر، بحيث تشمل كل القبائل العربية، ويمكن تمييزها فقط بالمكان الذي تعيش فيه، فيقال: عربان أو بدو أو عرب أو أعراب سيناء، أو الشرقية، أو البحيرة.. وهكذا.

الوجود البدوي بسيناء:

من المعروف أن بداية تمركز البدو في سيناء تعود إلى وقت قدوم القبائل العربية إلى مصر مع الفتح العربي[٣٠]، وقد انتشرت هذه القبائل مع بدء قدومها في صحراء مصر. ولما كانت الصحراء تُحيط بوادي النيل؛ حيث تدفق مياهه وتنتشر فروعه وتحيط به الخضرة من كل جانب، فقد أغرى ذلك القبائل أو كثير منها على النزول إلى الأراضي الزراعية؛ حيث الرزق الوفير والحياة السهلة[٣١]. وقد لانت طباعها الغليظة في الأرض الطيبة. وانتهى بها الأمر إلى هجر الصحراء والانتشار داخل ريف مصر أو على أطرافه، وانتقلت بشكل تدريجي من حالة البداوة إلى مجتمع الزراعة. وعمل أفرادها بالفلاحة وتربية الماشية، حتى أصبحوا أصحاب مزارع، وسيطر بعضهم على مناطق شاسعة من الريف في العصر المملوكي، وعن ذلك يقول المقريزي: "العرب منذ أن نزلوا ريف مصر، واستوطنوا فيه هم وأهلهم، اتخذوا الزرع معاشا وكسبا[٣٢]. وخير دليل على أن العرب أنشأوا كثيرا من القرى، كثرة القرى والنواحي التي يسبقها لفظ (بني)[٣٣]، وقد أكد المقريزي ذلك بقوله: "صارت لربيعة ببلاد البجة مرافق واختطوا قرية تعرف بالنمامس، وحفروا بها آبارا"[٣٤].

وعلى الرغم من ذلك، فقد ظلت بعض القبائل تُصر على حياة الصحراء،[٣٥]. وتسكن الخيام؛ نظرا لأن تقاليدها تحرم السكن تحت أسقف البيوت وزرع الأشجار، اعتقادا منها بأن الذين يخضعون لهذه العادات سيخضعون سريعا لحكام يستعبدونهم[٣٦]؛ وذلك ما شاهده الحاج الألماني فليكس فابري، وذكر أن بدو سيناء يطالبون المسافرين بدفع حق المرور معلنين أنهم أسياد الصحراء وملاك كل ما هو غير محاط بأسوار[٣٧] وهو نفس الأمر الذي شاهده جون ماندفيل ذاكرا أن البدو بسيناء لا يرتضوا السكن بغير الخيام في الصحراء[٣٨] واتفق معهم في ذلك بيلوتي الكريتي[٣٩] وفريسكوبالدي[٤٠] وميشولام ابن مناحم[٤١] والألماني فون هارف[٤٢]. ولعل ذلك سببه أن شبه جزيرة سيناء أغرت قبائل العرب جميعا للاستقرار فيها، بسبب نقل التجارة بين آسيا وإفريقيا وأوروبا[٤٣] وخفارة دير طور سيناء[٤٤]، علاوة على مرور قوافل الحج الإسلامي للحجاز والمسيحي لفلسطين عبر صحرائها، والفوائد التي تعود عليهم من وراء حركة القوافل سواء أكان ذلك بتقديم الخدمات المختلفة لقوافل الحج والتجارة بتوفير ما ينقص المسافرين من مؤن ودواب حمل.. أم غير ذلك مقابل أجر مادي وعيني مرتفع، أو بسلب ونهب ما تحوذه قوافل الحج والتجارة.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن جغرافية الأماكن التي سكنتها القبائل العربية تناغمت مع دورها الاقتصادي؛ بل إن جغرافية الأماكن هي التي حددت نوع هذا الدور؛ فمن عاش على شاطئ النيل أو بالقرب منه سواء في واديه أو دلتاه؛ زرعوا وفلحوا وربوا الحيوانات، وأقاموا القرى وسكنوها؛ ومن لازم الصحراء تعانى الرعي وشارك في التجارة من خلال قطارات الإبل[٤٥] فيما أطلق عليه بعد بالنقل، وبعضهم تعانى

التعدين؛ ومن استقر في المدن تعانى الحرف والتجارة، وآخرون طلبوا العلم فتولوا الوظائف الاقتصادية[٤٦].

التمركز البدوي بطريق المسافرين:

وقبل أن نتعرض للصورة التي رصدتها كتابات الرحالة الأوربيين لبدو سيناء، تجدر الإشارة إلى أماكن تمركزهم، وكذلك الطرق التي كان تسير عليها قوافل الحج والتجارة وجعلتهم يحتكون ببدو سيناء. وقد احتك حجاج بيت المقدس ببدو سيناء عبر طريقين: الطريق الأول: هو أن الحجاج الأوربيين يأتون على متن سفن البندقية ويمرون بكثير من البلاد[٤٧] حتى يصلوا إلى موانى شرق البحر المتوسط وبخاصة قبرص ورودس[٤٨]، ومنها إلى ميناء الإسكندرية ثم يرتحل الأوربيون من الإسكندرية إلى رشيد، ومن رشيد يصلون لمدينة القاهرة، وبعد شراء ما يلزمهم وأخذ تصاريح السفر وأمان المرور يخرج حجاج بيت المقدس من القاهرة عبر طريق سيناء، ويمرون بمحطات كثيرة حتى يصلوا إلى غزة، ومن غزة للخليل، ثم القدس الهدف الرئيس، وقد ذكر بعض الرحالة الأوربيين أن المسافة من مصر إلى غزة كانت تقدر بنحو ٢٩٨ ميلا[٤٩]، وكان الرحالة الإيطالي فريسكوبالدي قد حدد بداية ونهاية طريق صحراء سيناء بقوله:"... والصحراء تبعد خمسة أميال عن القاهرة من جهة البحر الأحمر، وتنتهي بغزة وهي قرب القدس على مسافة ثلاثة أيام..."[٥٠]

وفي واقع الأمر فقد كان الرحالة طوال هذه المسافة يمرون بالأماكن الآتية [٥١]:

المحطة	المسافة بالأميال	المحطة	المسافة بالأميال
القاهرة			
سرياقوس	١٢	صبيحة نخلة	٠٠٠
بئر البيضا	٢٤(؟)	المطيلب	٠٠٠
بلبيس	٣٢	السوادة	٠٠٠
السعيدية	٠٠٠٠	الواردة	١٧٣
العباسية	٤٥	بئر القاضي	٠٠٠
الخطارة	٠٠٠٠	العريش	١٩١
قبر الوايلي	٥٥	الخروبة	٢٠٢
الصالحية	٦٨	الزعقة	٢١١
بئر عفري	٠٠٠	رفح	٢٢٠
القصير	٨٩	خان يونس	٢٣٨
حبوة	٩٩	السلقة	٢٤١
الغزالي	١٠٣	غزة	٢٥١
قطيا[٥٢]	١١٩	حبرون – القدس..	

وكان الحجاج طوال هذه المسافة في احتكاك مباشر مع بدو سيناء سواء أكان ذلك احتكاك ايجابي غرضه التموين، أم احتكاك سلبي غرضه النهب. وقد سار على هذا الطريق بيرو طافور وجون ماندفيل وميشولام وعوبديا وهارف.. وغيرهم.. ممن سيأتي ذكرهم في الصفحات الآتية.

أما الطريق الثاني الذي احتك فيه حجاج بيت المقدس ببدو سيناء: فكان يتمثل في مجيء الحجاج على سفن البندقية إلى موانى الساحل الشامي، فينزل الأوربيون إلى ميناء يافا، ومنها للقدس، ثم بعدها لحبرون، ومن حبرون إلى غزة، وتبدأ الرحالة في صحراء سيناء وما بها من مخاطر حتى الوصول للقاهرة، وقد صار

في هذه الصحراء من غزة حتى السويس فابري وبريدنباخ. وهكذا ففي كلا الطريقين لابد أن يمر الأوربيون القادمين من بيت المقدس إلى مصر أو المسافرين من القاهرة لبيت المقدس بصحراء سيناء التي يعيش فيها البدو[٥٣].

أما عن أماكن تمركز البدو في سيناء وموقف الدولة تجاههم: فقد تم تقسيم الطريق السينائي في العصر المملوكي على بدو سيناء من أجل دفع شرور الأعراب، فمنحتهم الدرك أو الخفارة على طول طريق سيناء ومنحتهم الدولة المقررات السنوية، وذلك لمحاولة كسبهم[٥٤] ومن جانبهم سعى البدو إلى توفير الخدمات للمسافرين بأسعار مرتفعة. وبدا سلوك القبائل العربية نتاج لهذه العلاقة في شكل دور سلبي ودور إيجابي على الحياة الاقتصادية، بل قسَّمت بعض المصادر القبائل على أساسها إلى عرب الطاعة وعرب عصاة[٥٥].

ولقد أوضح المؤرخون السبل التي اتبعها سلاطين مصر في دفع شرور الأعراب، فحددوا أولا قبائل البدو التي يمر بها المسافرون في ذهابهم وإيابهم ما بين مصر والشام والحجاز، وبالعكس، ولتسهيل التحديد قسم الطريق إلى أربع أرباع ذاكرين في كل ربع قبائل الأعراب التي تحيط بالطريق خلاله: وكان الربع الأول يبدأ من صحراء القاهرة إلى مناخ عقبة أيله، وهو قليل الماء والشجر، وأكثر وأقوى القبائل في هذا الربع هي قبيلتا العائد وعطية، وهم أهل فساد[٥٦]. والربع الثاني من أيله إلى الأزلم، وهو أكثر مياه من الذي قبله، وشجره كثير للغاية، والقبائل المسيطرة عليه هي الرشيدات من بني عطية، وعقبة وبلى، وأشهرهم المساعيد والسلالمة من بني عطية[٥٧]. والربع الثالث: يبدأ من الأزلم وينتهي بينبع وتسيطر عليه قبائل الأحامدة من بلى وقبيلة جهينة[٥٨]. والربع الرابع[٥٩]: من ينبع إلى مكة وأقوى قبائله بنو إبراهيم، وبقية الطريق بين مكة والمدينة ضمن نفوذ أمراء مكة والمدينة[٦٠].

وكان هؤلاء البدو الذين ذكرتهم المصادر مصدرا من مصادر القلق لكل المسافرين بسيناء سواء أكان حجاج الحجاز أم حجاج بيت المقدس، وكذلك قوافل التجارة المارة بنفس الطريق، ولم يكن البدو يهتمون في سبيل الوصول إلى ما يريدونه من مال ومتاع بما يزهق من أرواح، وما يترتب عليه من مـآس[٦١] ولكي يتجنب المماليك هذه الأخطار، أقاموا بعض هؤلاء الأعـراب حراسا للحاج مقابل مبلغ كبير من المال، كما أعطوا البعض الآخر إتاوة سنوية، دونما مقابل، واتخذوا فريقا ثالثا قوادا للجمال التي تنقل الحبوب والإمدادات. ورابع دليل ماهر بصير بالطريق وعلاماته وموارده المائية القريبة من المسار الرئيس، وسلامة القوافل من خلال الحماية والخفارة مما كان له أبعد الأثر في انتظام السير على هذا الطريق[٦٢].

فأما طريق سيناء من القاهرة إلى عقبة أيله، فجعل المماليك خفارته لأقوى قبائل الأعراب من بطون العائد وبنو عطية يخفرونها، ويقدمون الخدمات للمسافرين من إمدادهم بالجمال وغير ذلك. وكان لكل طائفة من هؤلاء اثنان وأربعون دينارا مازالت تزداد حتى بلغت الخمسمائة[٦٣]. أما العائد فكانت لهم المنطقة من أول صحراء القاهرة حتى سطح العقبة. في حين كانت مسألة رعاية منطقة النقب ودركها مخولة لأربع بدنات من الأعـراب؛ حيث كانت تنقسم إلى أربعة أقسام: القسم الأول منها كان لعربان الوحيدات،

والقسم الثاني لعربان المساعيد، والثالث لعربان الرتيمات والقسم الأخير لعربان الترابين، أما منطقة المناخ حتى بويب العقبة فيها عربان بني شاكر أولاد راشد[٦٤] وشاركهم في خفارتها أيضا طائفة من عربان بني عطية[٦٥]. ولهم على ذلك المعلوم المرتب لهم من الديوان بالقاهرة[٦٦]. أما الربع الثاني من طريق سيناء، فيمتد من عقبة أيلة إلى الأزلم وكان به دركان وجزء من درك ثالث والدرك الأول لعرب الرشيدات من بني عطية، وأولـه من البويب وآخـره المحل الـذي يسمى عند البدو "كبيدة" وهو بآخر مغارة شعيب، والدرك الثاني من الربع نفسه لبني عطية ولهم مقرر معلوم[٦٧]. كما أن طريق الطور ضمنه عرب بني سليمان[٦٨]، ووقع درك طريق الدرب السلطاني على عرب ثعلبة وجرم الذين انتشروا على طول هذا الدرب وكانت قطيا هي المركز الرئيس لهذه القبائل[٦٩] وقد ذكر ذلك ابن بطوطة حين تعرض لذكر قطيا قائلا:"... طريقها في ضمان العرب وقد وكلوا بحفظه..."[٧٠]

ولم تكن هذه الأموال التي يأخذها الأعراب كل عام هي مقررهم فقط، بل كانت لهم هدايا مفروضة، أوردها الجزيري في بعض السنوات وهي ١٢٧ ثوبا من القماش، ١٠٥ معطفا، و١١ قطعة من الشاش، كما كان سلاطين المماليك يغدقون الأموال على الأعراب من وقت لآخر[٧١] وقد أوضح الجزيري سبب ذلك بقوله أن سلاطين مصر "... رتبوا لأرباب الأدراك على سلوك تلك الطرقات رواتب يسمو ذكرها، ويكثر قدرها ويبين، لا لخوف من شـرورهـم، ولا لعجز من مقدورهم، وإنما ذاك ليكثر الأمن بالرّفد، وتحصل العمارة للوفد، وينمو خير الجالب من كل جانب، وترد طوائف العربان في كل محل ومنهل ومكان للتسبب على الحجاج من الأغنام والسمن والألبان، وسائر ما يحصل به الرفق مقصدا جميلا، وتأسيسا جليلا...".

هذا التوزيع والتكليف من قبل دولة المماليك لبدو سيناء بدرك الطريق، راجع لرغبة الدولة في استتباب الأمن على الطريق، وانتظام حركة سير قوافل التجارة، والحج الإسلامي والمسيحي واليهودي عليه.

الدور الإيجابي للبدو السينائي: -

تأتي أهمية التعرض للدور الإيجابي لبدو سيناء في كونه محاولة لتسليط الضوء على الدور الخدمي الذي قام به هؤلاء البدو تجاه الدولة ورعاياها وضيوفها من ناحية، وتعرض الرحالة الغرباء الغربيين لهذا الجانب المضيء من ناحية أخرى، وبخاصة أن الأبحاث التي تناولت تاريخ البدو في عصور السيادة الإسلامية، تكاد تنحصر في مواضيع سلبية البدو وعدائهم للحضر تارة، ونشاط الحضر التجاري داخل مصر وخارجها تارة أخرى، متجاهلين الدور الحقيقي الذي قدمه بدو سيناء ليس فقط في تاريخ مصر، بل في تاريخ المنطقة العربية كلها في عصور سيادتها. وهم في ذلك يقتفون أثر أسطورة نسجتها مخيلة أصحاب الكتابات الغربية تجاه البدو؛ حيث لم ينس الغربيون للقبائل العربية دورهم الرائد في نشر الإسلام وقطع دابر الروم[٧٢]، ومن المؤسف أن نقل الباحثين العرب من كتب هؤلاء الغربيين الأمر كما كتبوه هم بعدما تصوروا أن هناك قصورا في المصادر العربية فجنحوا إلى كتابات المستشرقين ليسدوا نقط الضعف في رؤيتهم الذاتية[٧٣] في إطار نظرية الاستعلاء الغربي على الشرق العربي، والتي مازلنا نعاني من آثارها حتى يومنا هذا ولأجل غير مسمى ولعل

الصفحات القادمة تستطيع معالجة بعض الأمور في هذا الصدد.

تأمين الطرق ودركها.

جدير بالذكر أن القبائل البدوية في سيناء قامت من خلال سيطرتها على الطرق المؤدية للشام والحجاز، والعائدة منهما بأعمال أسهمت من خلالها في رواج التجارة الداخلية والخارجية تمثلت في:

درك الطرق: حيث يرد في المصادر المملوكية وصفهم بعرب الطرق وملّاكها[٧٤]، أو أرباب الأدراك[٧٥]، أو أصحاب الـدرك[٧٦]. والدرك هو: حراسة وتأمين الطرق والسيطرة عليها[٧٧] وضمانها، وحماية قوافل الحج[٧٨] التجارة[٧٩] ودلالة الطريق، وتقديم الإقامات وغير ذلك[٨٠]. وممن ذكرتهم المصادر بأرباب الأدراك قبيلة العائذ من جـذام[٨١]، وقبيلة جهينة[٨٢]، وقبيلة هوَّارة[٨٣]، وبنو صبرة[٨٤]، وقبيلة بلي، فخذ من قضاعة[٨٥]. إذ كانت هناك بعض الطرق التي مرت بسيناء وسببت قلقا للسلطنة المملوكية، لاسيما الطريق التي عبرت الصحراء الشرقية وسيناء؛ لتصل بين وادي النيل من أطفيح وأسيوط وأخميم من ناحية، وبلاد الشام من ناحية أخرى؛ لذلك جعلت الدولة حفظها على البدو وخصت منهم عرب العائذ وكانت الدولة تمنع السير على هذه الطرق منعا باتا؛ لأنها كانت تستخدم في تهريب البضائع بين مصر والشام دون المرور بقطيا – المركز الجمركي الرئيس في طريق القاهرة الشام[٨٦] ـ كذلك كانت طريقا لمن أراد التسلل إلى داخل الأراضي المصرية من الجواسيس وغيرهم[٨٧]. لذلك كانت الدولة تشدد على بدو العائذ في "... حفظ نوبتهم بحيث لا يفوتهم الطائر إذا طار إلى تلك الجهات بالجملة الكافية ويحفظ جهة السويس، وماء العنبج، والطريق البدرية[٨٨] ومن وجد على غير الطريق الجادة رائحا أو واصلا أمسك، ويطالع به..."[٨٩] وإن كان هذا النص يبين دور البدو حفظة للدرك فإنه في الوقت نفسه يؤكد على دورهم المهم أدلاء للطريق.

وقد أشارت كتابات الرحالة الأوربيين إلى ذلك الـدور الإيجابي المهم لبدو سيناء، وهو تأمين الصحراء من تسلل العناصر الجاسوسية التي انتشرت في أواخر العصور الوسطى تجاه المنطقة العربية بشكل كبير، فعن السير في الصحراء قال فريسكوبالدي: أن البدو المكلفين بحفظ الطرق "... لا يدعون أحدا يركب الجمال في الليل... وعند السير في الصباح لا تستطيع التوقف وإذا أردت التبول تفعل ذلك وأنت تسير بسبب منع التوقف إلا عند مغيب الشمس ..."[٩٠] وهكذا كانت التعليمات تصدر بوقف السير ليلا حتى لا يستطيع متسلل التخفي في ظلام الليل ويهرب، لكن المسير نهارا؛ لأن في النهار يتوقف المسافرين للتفتيش في أمام نقاط محددة للتفتيش عن تصاريح الأمان، وقد أكد الرحالة جورجو غوتشي مثلا سنة ١٣٨٤م على ذلك الأمـر وأوضـح ضـرورة الحصول على خطاب الأمان لتقديمه لبدو سيناء فبعد أن أنهى ورفاقه شراء مستلزمات السفر قال:"...قمنا مع مترجم الحجاج بإعداد العدة لرحلتنا فأخذنا كتاب التوصية مع المترجم العربي حتى ننطلق بأمان إلى الصحراء..."[٩١]؛ وبين فريسكوبالدي السبب ذاكرا أن ضرورة الحصول على خطاب أمان؛ لأنه هناك نقاط تفتيش في الصحراء من البدو المكلفين من السلطان بالبحث عن خطابات الأمان صحبة أية مسافر[٩٢]، وقد ذكر هذا الدور لبدو سيناء الرحالة نيكولو بوجيونسي، فذكر الـدور البدوي في هذا الجانب؛ حيث أوقفهم

البدو ومنعوهم من السير تجاه الأماكن المقدسة بفلسطين؛ لأنهم شكوا فيهم أنهم جواسيس أجانب، ورغم أن المترجم قدم لهم خطاب الأمان من السلطان ولكنهم لم يقتنعوا بشكله العام وشكوا في صحته، ولم يتركوا نيكولو بوجيونسي يمر هو وباقي حجاج بيت المقدس إلا بعدما سافر أحد البدو مع المترجم إلى القاهرة، للتأكد من صحة خطاب أمان السلطان[٩٣]. وقد اعترض البدو القافلة التي بها فريسكوبالدي للتأكد من وجود خطاب أمان السلطان، وهم في سيرهم متجهين من العريش إلى غزة، وكان المترجم قد تركهم في العريش، وعرج بها لقضاء أمر يخصه على أن يلحق بالقافلة في المساء، فلما تركهم قال له حجاج بيت المقدس:"... ليس هذا من شيم الكرام. فقال لنا: لا تخافوا فمعكم رسالة توصية من السلطان وتبعدون مسافة يوم ونصف عن غزة وبها ملك يتبع السلطان، وبالفعل تركنا والتحق بنا في المساء... وفي الساعة الثالثة وجدنا آثار خيل، وبعد قليل شاهدنا عصبة من الناس مدججين بالسلاح ومع أحدهم قطعة حديد... فقال الترجمان: لا تخافوا هذا من جند العرب، ويريد أن يرى كتاب التوصية، وهذا ما طلبوه فأحضرته لهم..."[٩٤]. وتأكيدا لدور البدو في هذا الصدد صار واجبا على الترجمان قبل مغادرة القاهرة بعد ذلك الحصول على إيصال أمان آخر "غير خطاب أمان السلطان" يتضمن أمان مرور للحجاج من رؤساء العربان ممن يتولون درك الأرباع ومحطاتها، لكي يتقدموا بأمان ودون اعتراض في صحراء سيناء من حماة الأدراك البدو[٩٥]. وهو ما بين الدور الذي قام به البدو في تأمين الصحراء والأراضي العربية من مرور المخالفين والجواسيس.

استخدامهم أدلاء ومرشدين:

ليكن مدخلنا إلى هذه النقطة المهمة ما ذكره شيخ المؤرخين أحمد بن علي المقريزي في وصفه مصر بقوله إنها:"... لا تؤتى من ناحية من النواحي إلا من صحراء أو مفازة..."[٩٦]. وقوله صحيحا تماما؛ لأن المعمور المصري عبارة عن واحة أو جزيرة تحيط بها الصحاري، فلا يمكن الخروج منها أو الوصول إليها إلا من خلال شبكة من الطرق العابرة للصحراء[٩٧]، وكان البدو هم القادرون على العمل على هذه الطرق، فهم الذين يعرفون خبايا الصحراء، ومسالكها وهم الذين يجيدون استخدام الجمل إلى جانب معرفتهم بآداب السفر عبر الصحراء، وما يستلزمه قطع الصحراء من استعدادات، إذ كان البدو حداة إبل ورجال قوافل. وإذا كان الشائع لدى الناس أن الإبل هي سفينة الصحراء فمن الحق والإنصاف بل والعدل أيضا القول: إن البدو هم ربان هذه السفن وقاداتها وسط المحيط الصحراوي المترامي الأطراف[٩٨].

وفي الواقع، أن الرحالة الأوربيين كانوا يدركون دور البدو في هذا الإطار معرفة تامة، وليس أدل على ذلك مما رواه فرانسيسكو فريسكوبالدي عن الأدلاء البدو بقوله:"... وهم على معرفة ودراية بالصحراء، فنظراتهم تدل على أنهم يعرفون كيف يسيرون وعيونهم مغمضة كربان السفينة الذي يعرف كل صخرة يتجنبها وكل وجهة يسير فيها..."[٩٩]، وفي الصدد ذاته أشار الراهب الألماني فليكس فابري[١٠٠] إلى أنه بعدما أراد ورفاقه في القافلة السير من غزة إلى سيناء لمواصلة الرحلة إلى مصر قاموا باستئجار اثنين من رؤساء العربان كمرشدين لهم بطريق صحراء سيناء الشاسعة؛ لأنهم هم

سادة الصحراء ولا يرهبهم أحد فيها[١٠١]. وفي الواقع، كان الرحالة الأوربيين سريعي الشك في أمانة أدلائهم من البدو السينائي، وتأويل تصرفاتهم ضدهم –غالبا – فمثلا أثناء سير قافلة فابري وبريدنباخ خلف أدلائهم من البدو للوصول لدير سانت كاترين في جنوب سيناء، وبينما يسير الأدلاء في الطريق الصحيح بسبب الالتفاتات الطبيعية بسبب الجبال الكثيرة المحيطة بالدير وتعترض طريقه. فأصبح الأدلاء من البدو يسيرون تارة ناحية المشرق، ثم بعد ذلك جهة الشمال، وتارة أخرى جهة الغرب، فانتاب حجاج بيت المقدس اليأس، وبخاصة عندما كانوا يشاهدون جبل سيناء خلفهم بعد أن كان أمامهم؛ لذلك أشيع بين حجاج بيت المقدس أن الأدلاء البدو يدورون بهم في حلقة مفرغة، ليحصلوا على مزيد من الأموال وأخذوا يلعنون في الأدلاء والمرشدين لهم من البدو[١٠٢]. كما أن فريسكوبالدي ورفاقه حين تعرضوا لهجمات البدو أرجعوا ذلك إلى تحالف المترجم والجمالة مع البدو من أجل نهبهم للحجاج[١٠٣].

ومن الراجح، أن ذلك التشكك في أمانة الأدلاء راجعا إلى تكوين رحالة غرب أوربا فكرة مسبقة شريرة عن كل من هو بدوي؛ لأن مَن شاهد الوادي على الطبيعة وما به من التفافات طبيعية ومنحدرات ومرتفعات جبلية متباينة في الامتداد والارتفاع والوعورة يدرك أنه لا يمكن الوصول إلى الدير إلا من خلالها. كما أن حياة كثير من البدو قائمة على النهب والسلب طالما كان خصمهم أضعف منهم سواء أكان الأجانب أم أطراف المدن القريبة للصحراء، ولم يكن البدو في حاجه للتحالف مع مترجم أو غيره ممن يخدمون المسافرين من أجل ممارسة هوايتهم المفضلة –النهب- ولكن عدم علم رحالة أوروبا بطبائع البدو هي سبب هذه الأحكام[١٠٤].

على أية حال، لم يكن دور البدو أدلاء ومرشدين منصب على إرشاد القافلة في سيرها من وإلى الأماكن المقدسة عبر سيناء، بل هناك شواهد تؤكد استخدامهم في البحث عن أفراد القافلة إذا ما ضل أحدهم أو بعضهم الطريق[١٠٥]؛ لأنهم ليس لهم بلد غير الصحراء، ويحفظون دوابها ويتولون دركها، فعندما فُقد بعض الحجاج في قافلة فابري، أرسل المترجم اثنين من بدو سيناء العارفين بخبايا الصحراء ومعهم جملين محملين بالزاد والماء للبحث عن المفقودين من الحجاج وبالفعل نجحوا في أداء مهمتهم التي وكلوا بها[١٠٦]. كما كان الأدلاء من البدو السينائي من مهامهم مرافقة الحجاج، إذا ما أراد بعضهم وقت استراحة القافلة أن يزور بعض الأماكن التي يعتقدون أن أجدادهم عاشوا فيها أو مروا بها في الأزمنة الغابرة، لاسيما زيارة البحر الأحمر وبخاصة بعد الانتهاء من زيارة دير القديسة كاترين حيث يكونون بعدها على مقربة من البحر الأحمر، فيتوجهوا لزيارته لاعتقادهم أن أبناء إسرائيل عبروا البحر الأحمر في هذا المكان هروبا من فرعون موسى[١٠٧]، فإذا ما رغب الحجاج في تتبع آثار القدماء عند البحر الأحمر يعين المترجم مع الزائرين بعض من بدو سيناء مرشدين لهم، ومرافقين في الذهاب للمكان المراد، والعودة لمكان استراحة باقي القافلة[١٠٨].

اقتصاد ومهن بدو سيناء "نقل - جمالين - حمارين - حداة - حمالين":

من الخدمات التي قدمتها القبائل البدوية بسيناء، وأسهمت في تنشيط الحج التجارة، بين مصر والشام والحجاز القيام على ما يعرف

اليوم بالنقل والمواصلات، فقد قام بدو سيناء بنقل البضائع[١٠٩]، وصرح المقريزي بذلك في خبر سنة ٧١٩هـ حيث: "هم السلطان بالحركة إلى الحجاز ليحج، وتقدم إلى كريم الدين الكبير بتجهيزه، فأحضر الخولة...، ودفع كريم الدين إلى العربان أجرة الأحمال من الشعير والدقيق والبقسماط"[١١٠].

ويقول الجزيري في "الدرر الفرائد": وممن كان يحمل قديما من باطن أمير العائد طائفة تدعى خزام البياضين، ومحملهم قديما لا غير خمسة أحمال...، ومن العائد عربان الطور وهم بدنتان: فالأولى عربان العليقات وهم أصحاب جمال وسعي، كما هو المشهور عنهم،... وكان محمل الجميع قديما خمس مائة حملا..."[١١١]، ويضيف الجزيري الأمر وضوحا بخبر فيه ما كان يدفع للعربان في سيناء من أجرة النقل، ذاكرا أنه اطلع عليه في أوراق والده، أنه في سنة ٨٩٧هـ من ولاية المرحوم السلطان قايتباي، أن أجرة الحمل على ظهور جمال العربان، فإلى الطور كل حمل بدينارين، وإلى الأزلم بأربعة دنانير، واستمر الحال على ذلك إلى سنة ثمان وعشرين ويشير حجاج بيت المقدس أن هؤلاء البدو هم من كانوا يقدرون العدد الكافي الذي يلزم إيجاره لنقل الحجاج وما معهم من سلع فيوزن البدو كل شيء ويُقَدرون الجمال اللازمة للكراء، وقد قدروا بأن الحمولة التي كانت بصحبة فابري لا يستطيع حملها اثنان وعشرون جملا، لذلك استأجر الحجاج من بدو سيناء ثلاثة جمال إضافية بعد مشادات حامية من قبل الحجاج مع البدو لإحساسهم بأنهم يريدون استغلالهم[١١٢].

كراء الجمال:

جاء في كتابات الرحالة الأوربيين معلومات مهمة عن دور بدو سيناء في توفير الجمال ودواب الحمل للقافلة في ذهابها إلى الأماكن المقدسة سواء أكانت جمال يركبها المسافرين أم لنقل التجارة[١١٣]؛ لأن جمال البدو التي تربت في بيئة الصحراء تختلف عن الجمال الموجودة في شوارع القاهرة، من حيث القوة؛ حيث كانت جمال المدينة تستخدم عادة في حمل الأمتعة. وتشق طريقها عبر شوارع القاهرة الضيقة، ولذلك لم تكن تصلح بالمرة لمثل هذه الرحلة الصعبة؛ إذ أن أقدامها الناعمة لم تكن لتحتمل خشونة الصخور والرمال. لذلك كان من المعتاد أنه عقب حصول حجاج بيت المقدس على أمان المرور كان الحجاج يرسلون بمساعدة الترجمان الأكبر إلى بدو الصحراء؛ ليحضروا بعض الجمال والبغال لحملهم وأمتعتهم إلى دير القديسة كاترين، ومن ثم إلى فلسطين[١١٤] وأكد بعض الحجاج أنه لم يكن بإمكان البدو الدخول بهذه الجمال إلى المدينة؛ لأنها جمال غير مروضة، وإنما كانوا ينتظرون الحجاج على مسافة من القاهرة، وإذا ما حدث وتسرب بعضهم إليها كانوا يسجنون وتؤخذ جمالهم[١١٥]؛ لأن هذه الجمال "... متوحشة يصعب ترويضها ولا يمكنك ركوبها غير في الصحراء..."[١١٦] وإذا كان ذلك يبين دور بدو سيناء في حركة نقل الحجاج والتجارة ذائع الصيت، فإنه في الوقت نفسه يبين الحركة التنظيمية التي كانت تقوم بها الدولة؛ حيث جعلت للبدو محطات نهائية أو مواقف يتوقفون فيها خارج القاهرة بجمالهم غير المروضة منعا للحوادث بالمدينة؛ لأنها تعيش بالصحراء. كما يتضح الشهرة الواسعة لجمال

وبغال البدو التي أرسل حجاج بيت المقدس من يؤجرها لهم من البدو على الرغم من توافر جمال وبغال للإيجار في القاهرة، إلا أن جمال وبغال القاهرة لا يمكن قياس درجة تحملها قياسا إلى جمال وبغال البدو في سيناء التي هي أكثر قوة وتتحمل ظروف الصحراء القاحلة[١١٧].

وكانت المطرية هي المكان المخصص لوقوف جمال بدو سيناء القوية المخصصة، لنقل الحجاج وبضائعهم ومن المطرية يتسلمها الحجاج بعد أن يكونوا وصلوا ببضائعهم من القاهرة على الجمال المنتشرة في شوارع المدينة، ليتولى الحمالون وضعها على جمال البدو المنتظرة بالمطرية، وأكد على ذلك كثير من الرحالة منهم على سبيل المثال: جورجو غوتشي فبعد أن انتهى من وصف حديقة البلسان بالمطرية، وبعد أن اشتروا ما يلزمهم من طعام من سوق المطرية قال:"... ثم جاءت الجمال لتحملنا إلى الصحراء مع امتعتنا..."[١١٨]، كما أن فريسكوبالدي أكد على نفس الأمر بعدما عد المطرية بداية الصحراء، وأشار إلى حصولهم على جمال ودواب الحمل من بدو صحراء سيناء قائلا:"... تقع الصحراء على بعد خمسة أميال من القاهرة، وهنا وجدنا الجمال العربية وعددها ١٤ مع سائقها، ولا تستطيع الجمال الأخرى عبور الصحراء؛ لأن هناك مسيرة أربعة أو خمسة أيام دون كلاء أو ماء..."[١١٩]. وفي الصدد نفسه، أشار نيقولو دي بوجيونسي أنه طلب من المترجم أن يستأجر له جمل من بدو سيناء كي تحمل اغراضه، فأرسل المترجم لحساب ينقولو دي بوجيونسي مسلما إلى صحراء سيناء لإحضار بعض الجمال من البدو الذين كانوا يؤجرونها، ووصلت الحيوانات بعد ستة أيام " وتبدو وكأنها مصنوعة من الحديد بحيث تتحمل الكثير من المشاق..."[١٢٠].

أما إذا كان حجاج بيت المقدس ذهبوا للقدس عبر الساحل الشامي، ويرغبون في تكملة المسيرة لزيارة دير القديسة كاترين السينائية وباقي المزارات بمصر فيخرجون من القدس للخليل ومنها لغزة وعلى مشارف غزة باتجاه مصر يرسلون إلى بدو سيناء بالعريش، فيؤجرون منهم الجمال ففي يوم التاسع من سبتمبر ١٤٨٣م /٧شعبان ٨٨٨هـ، وصل الجمالون من بدو سيناء صحبة المترجم الذي ذهب إليهم، لتأجير دواب الحمل والنقل لفابري ورفاقه، وما إن وصلوا حتى نقلوا كل أمتعة الحجاج[١٢١] وأصبحت القافلة تضم خمسة وعشرين جملا وثلاثين حمارا[١٢٢] وسبعة جمالين وسبعة حمارين واثنين من رؤساء العرب مرشدين[١٢٣]. وهنا نلاحظ أن كل ما تضمه القافلة – باستثناء الحجاج فقط- تم شراؤه أو إيجاره من البدو لقضاء المهمة. ونلاحظ أيضا أن البدو في سيناء لم يكونوا يكرون الجمال فقط، بل كانوا يكرون الحمير أيضا، ويتضح ذلك بصورة جلية من رواية الحاج برتراندون دي لابروكير حيث تحدث عن بدو سيناء على حدود غزه وقال عنهم أن هؤلاء البدو: ".... لديهم حمير يكرونها وثمن الحمار في غزة دوكتان في حيث يتقاضون خمس دوكات عن الحمار مقابل نقل الحجاج الي دير سانت كاترين..."[١٢٤]

وفي جانب آخر أشار فون هارف أن المكاري الذي يتولى أمر قيادة الدابة، كان يتقاسم مع المسافر الطعام في الطريق؛ علاوة على دفع المسافر مبلغ من المال للمكاري لمجاملة أو إكرامية[١٢٥] وكانت هذه الإكرامية التي دفعها هارف للمكاري من دير سانت كاترين إلى مدينة الطور على البحر الأحمر دوكة واحدة وطعام

وأشياء أخرى ضرورية[١٢٦]. وبالطبع، كانت هذه الإكرامية خارج المبلغ المتفق عليه بين الحجاج والبدو. وقد أشارت كتابات حجاج بيت المقدس أن البدوي الذي يعمل مكاري أو حماريّ، والذي كان مكلف بسحب الجمل أو الحمار كان في بعض الأحيان لا يتناول نفس طعام حجاج بيت المقدس التي بها لحوم، أو غريبة أكلاتهم المعروفة. أكد ذلك الحاج الالماني فليكس فابري؛ حيث استراحت القافلة في الوادي المسي جايان؛ حيث نصبوا خيامهم، وجمعوا أغصان الغاب الجافة وطهوا طعامهم، أما الجمالين والحمارين الذين هم من البدو فاكتفوا بصنع الخبز الذي في الرمال وأكلوه[١٢٧]. وقد فسر فابري ذلك في موضوع آخر، بأنهم يخافوا أن يكون طعام حجاج بيت المقدسي به لحم خنزير والبدو "... يعتقدون أنه من الإلحاد أكل لحم الخنزير؛ ولذلك لا يوجد لديهم هذا الحيوان..."[١٢٨]

وكان البدو يمتلكون كثير من هذه الجمال ودواب الحمل القوية، وهو الأمر الذي دفع التاجر بيلوتي الكريتي بالقول عنهم إنهم: "... يمتطون الحيوانات ويركبون الإبل، ولديهم أعداد كبيرة من الحيوانات.... أكثر من أي مكان آخر في مصر..."[١٢٩] أما جون ماندفيل الذي سماهم "البدو"[١٣٠] فقد تطرق لنفس النقطة التي تفيد بامتلاكهم الجمال بأعداد كثيرة قائلا: "... ويلاحظ أن أهل سيناء لا يستخدمون الخيل؛ حيث ندرة الطعام والماء؛ ولذلك يستخدمون الجمال التي تتغذى على أوراق الشجر، وإن بإمكانها أن تعيش دون ماء يومين أو ثلاثة، وهو ما لا تتحمله الخيول... " وقد توافقت معهم في هذا الصدد أيضا رواية فريسكوبالدي الذي أدهشه ما شاهده من أعداد كبيرة من جمال البدو، وهي تجوب الصحراء حول القاهرة علاوة على أعداد كبيرة من الخراف والبقر والماعز[١٣١] ومن هذه الروايات سواء أكان بيلوتي أم ماندفيل وفريسكوبالدي التي تفيد بكثره امتلاك العرب للجمال بكثره دون غيرها، وبوضعها أمام رواية سيجولي عن إرسال الحجاج رجال من المصريين لاستئجار الجمال من البدو في طريق سيناء، يعني أن الجمال كانت مصدرا اقتصاديا مهما للبدو في سيناء، وأن الحجاج كانوا دائما في حاجه إلى البدو لحاجتهم للجمال ودواب الخيل التي تتقن السير في صحراء سيناء، والتي يتفنن البدو في تربيتها؛ لأجل هذه المهام هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية يبين أيضا فضل البدو في مسيرة حركة الحج الإسلامي للحجاز أو المسيحي واليهودي لفلسطين، والمجهود الذي بذلته السلطنة المملوكية كي تستطيع أن توفق بين القبائل على أن تقوم كل قبيلة بواجبها في هذا المجال.

وعلاوة على ما سبق، كان البدو يوفرون الجمال ودواب الحمل التي تلزم المسافرين في أماكن الاستراحات على طول الطريق حتى الشام والحجاز؛ لأن المسافر ربما يتعرض لمفاجآت، من بينها أن تنفق الدابة التي يركبها، أو يصيبها الهزال؛ وذلك بسبب الماء المالح الذي تشربه الدواب، وبسبب الحرارة الشديدة، بالإضافة إلى التراب الذي يدخل أفواههم، والرمال التي يغرقون في بحرها حتى الركبة فتصيبهم الآلام والحاجة إلى الطعام في هذه الرحلة الطويلة[١٣٢]. وفي ذلك ذكر العمري في "مسالك الأبصار"، ومن بعده الجزيري في "الدرر الفرائد أن طوائف العربان كانت تنزل في كل محل ومنهل ومكان، للتسبب على الحجاج يخرجون عليهم بأشياء

منها الجمال للبيع والكراء[١٣٣]، وهذا يعني أنَّ ذلك كان مستمرا من أيام العمري إلى الجزيري؛ حيث قدمت القبائل العربية على الطرق التجارية خدمة كراء الجمال[١٣٤]؛ وقد ورد في المصادر أن السلاطين المماليك كثيرا ما رسموا بحضور العربان، وبالأخص من الشرقية والغربية؛ لأجل كراء الجمال إلى مكة بمقدار مائة وستين درهما، وإلى ينبع بمائة وثلاثين،[١٣٥].

وفي شهر المحرم سنة ٧٤٦هـ،يخبرنا ابن تغري بردي أنه قد تحرك عزم السلطان للحج، وكتب بحضور العربان بجمالهم، فقدمت طائفة من العربان وقبضوا مالا ليجهزوا جمالهم إلى أن هل ربيع الآخر فتغير مزاج السلطان ولزم الفراش، وكتب استعادة المال من العربان[١٣٦]. ثم كُتبَ للأعمال باسترجاع ما قبضته العرب من كراء الأحمال وغير ذلك[١٣٧]. وقد قامت القبائل العربية أيضا بخدمة كراء الجمال على طريق دمشق إلى مصر، ويذكر أبو شامة مقدار ما يدفع من كراء الجمل من دمشق إلى مصر أنه كان نحو مئتي درهم، وذلك في سنة ٦٦٠هـ في أثناء هجمات التتار على الشام[١٣٨]. في حين لم يحدد فابري الذي جاء من بيت المقدس إلى مصر عبر سينا إلى قيمة الإيجار[١٣٩]، وإن كان برتراندون دي لابروكير قد ذكر أن البدو "... يتقاضون خمس دوكات عن الحمار مقابل نقل الحجاج الي دير سانت كاترين..."من غزة[١٤٠]

ومن نافلة القول، الإشارة إلى أن بعض حجاج بيت المقدس كانوا يخشون على أنفسهم من البدو السينائيين حداة الجمال في أثناء الرحلة الي الصحراء. يتضح ذلك من موقف الحاج البلجيكي أنسلم أدرنوا الذي وقع عقدا مع من استأجر منهم الجمال، وتم توقيع العقد في القاهرة مع الحداة في وجود شهود قاهريين، حتى لا يستطيع حداة الجمال بأن يقوموا بأي فعل تجاههم[١٤١].

علي أية حال، كانت هناك مهنا أخرى قام بها البدو وذكرها الرحالة الأوربيين[١٤٢]ضمن الصور الأخرى الإيجابية فعلاوة على تناول أعمالهم مكارية وأدلاء ومرشدين، تناولوا أيضا صورة البدو "الحداة"[١٤٣] وقد اهتم بعض الأوربيين بذكر دور الحداة في سير القافلة قائلا:"... ومن الملاحظ أيضا أن تلك الجمال – جمال البدو- مع كونها متوحشة لا تلجم لكي تسرع في السير، ولا يصيحون بها، ولا يضربونها بالسوط، وعندما يغني لها بعض الجمالين أغنياتهم تفهم ماذا يجب أن تفعله وتسير في طريق دون أخرى..."[١٤٤] كذلك تناولت الرحلة الأوربية صورة البدو الحمالين[١٤٥] والحمارين[١٤٦] وكذلك من يقدمون الخدمة للحجاج حول آبار الماء[١٤٧]، وهو ما يبين تعدد مهام البدو ومداخيلهم الاقتصادية في آن واحد.

البيع للمسافرين على طول طريق الحج والتجارة بسيناء:

كانت أول محطة للمسافر للحجاز أو الشام بعد القاهرة هي بركة الحاج، وكان ينصب بالبركة (بركة الحاج) سوق كبير، يأتي إليه بدو الصحراء يبيعون ويؤجرون فيه أعداد من الجمال، والحمير، والبغال، وأنواع الملابس المعدة للسفر، وما يحتاجه المسافرون من الركوب والملبوس، والمأكول؛ بحيث إن من أراد ابتداء السفر من البركة يتهيأ له سائر ما يحتاجه من أسبابه، وينتظم بها سائر أصول الركب[١٤٨]. وأكد ذلك شيخ المؤرخين المقريزي بقوله:"... وبركة الحاج اليوم أرباب أدراكها قوم من العرب يعرفون ببني صبرة، أما الدرك الكلي

المشهور، فهو على أمير عربان العايد بالشرقية وعلى جماعته.."[١٤٩].

كذلك قال العمري إن: "...الأسواق تقام على كل سهل ماء، وفي كل مكان، والحجاج في غاية الطمأنينة والأمن لتولي أهل تلك الأرض لحراستهم واستعدادهم طول السنة للبيع عليهم في ذلك الوقت المقدر المعلوم..."[١٥٠]، وفي سياق غير متصل يقول: "... فصارت القبائل العربية تخرج إلى الحجاج إذا حلوا في أرضهم ونزلوا ببلادهم متظاهرين نهارا جهارا بالماء والغنم واللبن والسمن والعسل والأقطان والتمر والعلف والجمال للبيع والكراء..."[١٥١]. ليس هذا فحسب بل كان البدو المتمركزين حول آبار المياه يجعلون بعض أولادهم ينادي في القافلة يا حجاج من يشتري اللحم[١٥٢]. وقد استمر هذا السلوك في البيع للحجاج والمسافرين حتى زمن الجزيري إذ ذكر أن: "... طوائف العربان ترد في كل محل ومنهل ومكان للتسبب على الحجاج من الأغنام والسمن والألبان، وسائر ما يحصل به الرفق مقصدا جميلا..."[١٥٣]. فما إن ينزل الحجاج بأرض العرب حتى:"...يخرجون على الحجاج بالكلأ والغنم واللبن والسمن والعسل والعلف والجمال للبيع والكراء، وتقام الأسواق في كل منهل مـــاء..."""[١٥٤]. وكانت أشهر التجارات بخلاف ما تقدم ذكره، ما يقدم للمسافرين على الطرق؛ فقد كانت تجارة العرب من قيس وجذام في النوى والشعير والعلف وتجارة التمر الذي يجمعونه من غابات النخيل[١٥٥] فمثلا. كان بعض سكان الفرما: "...مـن العرب من بني جَرَى وسائر جذام، وأكثر متاجرهم في النوى والشعير والعلف؛ لكثرة اجتياز القوافل بهم، ولهم بظاهر مدينتهم نخل كثير له رطب فائق وتمر حسن يجهز إلى كل بلد..."[١٥٦].

وإذا كانت كتابات الأوربيين ذكرت عمل البدو بالتجارة بصورها السابقة، كما أشارت إلى عملهم بزراعة النخيل والتجارة في التمر، فإنها في الوقت ذاتـه لم تغفل الإشـارة إلى جانب مهم آخر في حياة البدو الاقتصادية وهو الاهتمام بتربية الحيوانات اللازمة للذبح وليس فقط دواب الحمل بشكل كبير وفي ذلك يقول بيلوتي الكريتي "... بفضل هؤلاء الأعراب إلى القاهرة، كانت تمتلئ المدينة بشتى أنواع الحيوانات المعدة للذبح، وبأعداد أخرى كبيرة من الخيول والجمال..."[١٥٧]. ويؤكد كلام بيلوتي الأعـداد الكثيرة من الحيوانات التي صادرها المماليك من العربان[١٥٨]، وتشير المصادر إلى تعرض البلاد في سنة من السنوات لموجة سقوط البَرَد على ناحية قبيلة بني عدي، فهلك لرجل واحد ستون رأسا من الضأن ولآخر خمسون رأسا من الماعز، وهذا ما أورده الخبر بأنه هلك، فما بالنا بما يملكه الرجل، هذا يدل على أن ما تملكه القبيلة شيء كثيرٌ جدّا ناهيك عن باقي قبائل البدو[١٥٩].

عـادات البـدو: "فـي المـأكل والملبس والمسكن"

وفي جانب آخر تناول حجاج بيت المقدس معلومات شاهدوها عن بعض عادات بدو سيناء اليومية، لاسيما المسكن والمأكل والملبس، وفي هذا الصدد ذكر ماندفيل أن البدو في هذه الصحراء لا يقيمون في مساكن، بل في الخيام[١٦٠] التي يصنعونها من جلود الحيوانات أو الجمال أو من جلود أية حيوانات أخرى بعد أكلها، وأماكن تمركز خيامهم بالصحراء حول المكان الذي يوجد به الماء أو بالقرب من سواحل

البحر الأحمر أو غيره من السواحل، والحقيقة – والحديث لماندیفیل- أن صحراء سيناء تفتقر إلى الحياة، وأن هؤلاء البدو، لا يأكلون الخبز ولا يسكنون المدن، وأنهم يشوون اللحم والأسماك بعد وضعها على الأحجار الساخنة في مواجهة أشعة الشمس، وعن ملابسهم يقول ماندیفیل أن بدو سيناء لا يلبسون غير الملابس البيضاء "... ويلفون رؤوسهم وأعناقهم بكمية كبيرة من قماش الكتان الأبيض..."[١٦١].

وكرر الحاج الألماني فليكس فابري نفس قول ماندیفیل ولكن روايته حملت تفسيرا لبعض المشاهدات، إذ ذكر أنه شاهد الرجال والنساء البدو تبلغ أعمارهم المائة عام تقريبا يجرون عبر الصحراء بكل خفة مثل الظباء نحيلي الجسد؛ لأنهم دائما جوعى، ولا يملكون حتى الخبز الكافي لسد رمقهم، ويطهون خبزهم بدفنه في الرمال، ويتناولون اللحوم غير كاملة النضج لنقص الأخشاب بالصحراء، كما يقتاتون على بعض الخضروات القليلة، ويشربون لبن الجمال والماعز، ويتناولون الخبز الجاف أحيانا، كما يتناولون الأسماك التي يصطادونها من البحر الأحمر بشيها على الأحجار بواسطة تأثير أشعة الشمس. ويعتقدون أنه من الإلحاد أكل لحم الخنزير، ولذلك لا يوجد لديهم هذا الحيوان[١٦٢]. وذكر فريسكوبالدي عن البدو السينائي أن هؤلاء الناس ليس لديهم مأوى يلجؤون إليه بل مغاور حجرية، وليس عندهم متاع وبيوتهم عبارة عن قطع من جلد الصوف يتخذونها من خرافهم، فتبدوا وكأنها قطع من الزيزفون، يحيكونها فيبلغ طولها ٤ أذرع ويضعونها على هياكل من الأغصان يغرسونها في الأرض أنصاف دوائر، وتحتها يعيش الرجل رب الأسرة وزوجته وأولاده ومعهم الحيوانات والكلاب[١٦٣]

ولم يزد هارف عن أقوالهم واكتفى في حديثه عن بدو سيناء بقوله:"... والعرب هم أُناس عنيفة وصعبة ولهم بشرة سوداء. لا يمتلكون منازل باستثناء الخيام التي يحملوها معهم دائما في الصحراء مع جمالهم والسيسي والأغنام والماعز وزوجاتهم وأطفالهم..."[١٦٤]. وفي سياق غير متصل أشار هارف أيضا إلى ملمحٍ أخر من ملامح الحياة الاقتصادية للبدو قائلاً:"... والعرب... يعيشون على بعض مزارع التمر الذي ينمو الكثير منها على الرمل الساخن..."[١٦٥]

وأقوال الرحالة فيما يخص حياة البدو اليومية يتبين منها:

تعدد المهام التي وكلت لبدو سيناء من ناحية والاستفادة الاقتصادية "المشروعة" من هذه المهمات من ناحية أخرى.

بساطة البدو في مأكلهم ومشربهم وملبسهم؛ نتيجة ظروف المعيشة في الصحراء القاحلة من ناحية، وارتباطهم بقيم وعادات منذ القدم من ناحية أخرى.

سكناهم الخيام وليس المنازل، جاء نتيجة تنقلهم من مكان لآخر؛ بحثا عن الرزق بخدمة القوافل أو الحراسة أو العشب للحيوانات التي امتلكوها بكثرة.

أمانة البدو:

ومن جهة ثانية، لم تغفل الرحلات الأوربية الإشارة إلى الأمانة التي تمتع بها بعض البدو، إذا ما كانت هناك حادثة تؤكد ذلك. فعلى سبيل المثال أثناء سير قافلة فابري في صحراء السويس اكتشف أحد الحجاج بالقافلة، وهو السيد برينارد

بريدنباخ اختفاء كيس نقوده من جيبه؛ حيث كان قد وضعه، وهذا المبلغ كان عبارة عن عدد كبير من الدوكات، فاستدعى المترجم وشكى إليه فقدان ذهبه، فأمر المترجم الجميع بالتوقف وعاد مع الحجاج إلى المكان الذي سبق أن توقفوا فيه من قبل. وهناك بحثوا دون جدوى، ثم بدأ الحجاج في تهديد الجمالين العرب والحمارين، وفي ذلك الحين، اقترب أحد العرب الذي كان بالأمس يطلب منهم بعض الخبز لسد رمقه قائلا: أنه عثر على هذه النقود، وأعطى المال لصاحبه مما دفعه –أي بريدنباخ- إلى إعطاء البدوي دوكا واحدا مكافأة له[١٦٦]. وهذا يعد دليل واضح وجلي على مدى أمانة العرب التي تجسدت في رد هذا البدوي تلك الأموال الضائعة، في حين كان يتسول كسرات الخبز من فابري ورفاقه في اليوم السابق[١٦٧].

صورة البدوي المحارب:

ومن ضمن الصور الإيجابية لبدو سيناء في مشاهدات الغربيين، صورة البدوي المحارب؛ حيث وصفتهم كتابات حجاج بيت المقدس بأنهم " محاربون شجعان"، فإذا كان الحاج الإيطالي بيلوتي الكريتي قال عنهم "... الأعراب أو البدو هم الذين يمثلون أكبر وأقوى قوة في البلاد..."[١٦٨]؛ فإن غيره من الحجاج أضاف أن كثرة عددهم كان يوازيه شجاعة؛ فقد سجل الرحالة جون ماندیفیل أن البدو في صحراء سيناء "... رجال أشداء ومحاربون مهرة، ومن الصعب حصر أعدادهم... ويتميزون بجرأة شديدة وغلظة في التعامل، ويشنون الثورات والقلاقل ضد السلطان في أية وقت دون خوف منه..."[١٦٩]. وفي نفس الصدد تحدث عنهم فابري بأن ليس لديهم بلدا غير الصحراء، ولا يستطيع أية شخص السيطرة عليهم، إذ أنهم محاربون ومحبون للحرب، ويتحركون في مجموعات ولا يرهبهم أحد[١٧٠]. وعضد الرحالة اليهودي عوبديا جارية الحديث عن قوة وشجاعة العرب بصورة أسطورية قائلا إن القوافل: "... أحيانا ما كانت تتعرض القوافل للسطو عليها في البرية من أناس عمالقة، كان في وسع أحدهم أن يتعقب ألفا من العرب –يقصد المسافرين بالصحراء- وقد أطلق عليهم اسم العرب مسمى الأعراب وبالأحرى العربان El Arabes... ويؤكد العرب على أن واحدا من هؤلاء العربان كان قادرا على أن يحمل جملا بإحدى يديه، بينما يقبض على السيف الذي يحارب به بيده الأخرى..."[١٧١]. وتجدر الإشارة إلى ما ذكره ابن خلدون في مقدمته التنظيرية في هذا الجانب ومفاده أن "العرب "البدو" بطبيعتهم نهابون، وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعبث، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر، ويفرون إلى منتجعهم بالقفز. ولا يذهبون إلى المزاحفة والمحاربة إلا إذا دافعوا بذلك على أنفسهم"[١٧٢].

أما عن صورة البدوي إبان الهجوم فقد بين الرحالة أنه قلما يقاتل البدوي إلا وهو يمتطي جواده، وهو مسلح عادة بسيف بالغ القصر وخنجر وحربة طويلة، كما يكون في غالب الأحيان مسلحا برمح وكمية من الأسلحة التي يعلقها في قوس سرج جواده[١٧٣]، وأثناء استخدامه سلاحه يرفع يده دون أن يترك عنان فرسه بطريقة يستطيع بها أن يثبت سلاحه وأن يصوبه كما لو كان راجلا، وعلى الرغم من أنه مدرب على إلقاء حربته لأبعد مدى وبدقة شديدة، فإنه من النادر مع ذلك أن يتخلى عنها في

المعركة، فهو يمسك بها عادة بالقرب من سهمه، ويرمي بها بقوة تاركا إياها تنزلق من يده دون أن يتخلص منا كلية، وبحركة معاكسة يستعيدها سريعا إلى وضعها الأول، وحيث إن كفاءته كفارس أكبر منها عن درجة تباهيه بسلاحه فإنه يحرص على اتخاذ الجانب الأيسر من خصمه وهو يحوم حوله ويتفادى ضرباته هاربا بجواده الذي تساعده مرونته المذهلة بشكل رائع في تلك المعارك التي يلتحم فيها المقاتلون[١٧٤].

وهذه الإشارات والروايات آنفة الذكر، تؤكد بلا شك على المكانة الحربية للأعراب، أو بدو الصحراء، وأنهم كانوا مدربين على الحرب بصورة كبيرة.

الجانب السلبي[١٧٥]:

وبما أننا تعرضنا للجانب الإيجابي كما جاء ذكره في الرحلة الأوربية فكان لزاما أن نتعرض للجانب المظلم أيضا؛ لأن هذه الدراسة لا ترمي إلى الدفاع عن هذا النمط أو غيره، بإبراز حسناته والتجاوز عن سيئاته، ولكنها تسعى إلى فهم بعض القوالب التي صيغ العديد منها على مُثل. فلقد درج العرب، مثلا، على التعامل مع تاريخهم على أنه مجموعة من القيم الثابتة؛ ومن بين هذه القيم الإصرار على أن ظاهرة تجزئة هذا المجتمع تعود بالدرجة الأولى إلى انقسامه إلى بدو وحضر، بل إن هناك اتجاه ليس بقليل من دارسي التاريخ المملوكي يرجعون السبب الأكبر في هزيمة الجيش المملوكي إلى خيانة البدو (عرب غزالة وعرب بني بقر)! ليس هذا فحسب؛ بل تم تفسير تخلف هذا المجتمع على الدوام بأنه ناتج من تنافر البدو مع السلطة المملوكية! وكوننا نشير إلى الجانب الإيجابي القوي للبدو في العصر المملوكي ونفي عن النمط البدوي المسؤولية التامة في إخفاقات هذه الدولة فذلك لا يعني بأن البدو أو القبائل العربية عامة لا يتحملون نصيبهم من تدهورها. فالجميع أسهم في انحطاط هذه الدولة؛ كما أن الجميع أسهم في تحقيق نجاحتها؛ وفي رأيي أن ليس بمقدور أحد أن يحدد نِسب البدو والمماليك والمجتمع المصري عامة في مجالي البناء والهدم في عصر سلاطين المماليك.

ثورات البدو:

وكيفما كان الأمر، سلطت كتابات الرحالة الأوربيون الضوء على ثورات بدو سيناء على سلطنة المماليك، وبخاصة أنهم أهل حرب، وهو الأمر الذي كان ملحوظا في شطر الدول الثاني[١٧٦] ويروي ماندفيل أنه شاهد إحدى ثوراتهم على السلطان وذكر أنه اشترك مع السلطان في حملة عسكرية لقتال بدو سيناء بسبب ثورتهم وقال عن البدو بسبب ذلك:"... أنهم أُناس أقوياء ويجيدون القتال، ويوجد هناك عدد كبير لا يحصى من هؤلاء القوم، كما أنهم لا يهتمون بأية شيء، ولا يفعلون شيئا سوى مطاردة الحيوانات وأكلها،... ولذلك فإنهم لا يخافون السلطان، ولا أية أمير أخر، ويتجرؤون على محاربته، إذا فعل فيهم أية أمر من شأنه مضايقتهم، وقد حاربوا السلطان عدة مرات، واحدة منهم كانت عندما كنت بصحبته..."[١٧٧]. وفي نفس الاتجاه أشار فابري أن بدو سيناء حين يجدوا أنفسهم عاجزين عن البقاء في الصحراء بسبب نقص الطعام، يتجمعون في مجموعات كبيرة تاركين أولادهم ونساءهم في الصحراء ويغيرون على أية مدينة أو مزرعة محطمين أبواب المنازل، وينهبون كل ما يقع تحت أيديهم، ثم يعودون بما نهبوه بعد ذلك إلى الصحراء، ويواصل حديثه ذاكرا أن هؤلاء

البدو لا يقتلون الناس إلا بطريقة عفوية، ولا يستطيع أحد هزيمتهم، لذا نجد الجميع يخشاهم لمقدرتهم إثارة الاضطرابات في البلاد دائما، مما يجعل القائمون على شؤون البلاد سواء السلطان أو المماليك يكرهونهم بشدة[١٧٨]. لذلك اتجهت الحملات العسكرية التأديبية للبدو في أحيان كثيرة، ومن ثم تتفنن في عقاب من يقع تحت قبضتهم، وقد شاهد ميشولام عقاب السلطان لأحد زعماء بدو سيناء في القاهرة بسبب فساده ورد فعل البدو تجاه ذلك، فعندما وصل بلبيس ربط بين شيءٍ رآه بالقاهرة، كان له تأثيره فيما صادفه في بلبيس، وقد قال عن ذلك: "... بينما نحن لا نزال في مصر، منذ وقت قصيرٍ شاهدنا السلطان يحكم على رجل من الأعراب بالإعدام..."[١٧٩]؛ لأنَّه لص، لذا أخذ رجال السلطان –والحديث مازال لميشولام-يسلخون جلد الرجل ابتداء من الكاهل، فحديثه يعني أن السلطان أمر بإعدام أحد كبار العربان المفسدين؛ بسبب إغارته على القوافل، وإمعانا في تعذيبه فقد أمرهم بسلخ جلده قبل إعدامه. ومعروف أن عقوبة السلخ اقترنت بزعماء العربان نوعا من التنكيل والتشفي فيهم، لما اقترفوه من جرائم استهدفت أمن الدولة السياسي وزعزعة الاستقرار الاقتصادي وترويع الأهالي، وتمتلئ مصادر العصر بكثير من صور عقاب السلاطين للعربان[١٨٠].

وقد ترتب على ما فعله السلطان بحق زعيم العربان أن وقف شقيقه في صحراء بلبيس لقطع طرق القوافل يريد الانتقام لأخيه؛ فخرج إلى الصحراء في صحبته خمسمئة رجلٍ بخيولهم حاملين الأقواس، يسرقون كل من يمر. "ودخل في نفوسنا الخوف منهم وتوقفنا عند بلبيس"[١٨١]. وبسبب هذا الخطر لم تبدأ القافلة السير إلا في يوم السبت بعد المساء، عندما وصلت قافلة من أربعمئة تركي إلى بلبيس بخيولهم مسلحين بالأقواس، كانوا في طريقهم إلى الشام[١٨٢]. وقد لخص أسباب ذلك بيلوتي الكريتي في رواية قائلا:"... ولقد استغل هؤلاء البدو الحروب كثير من المرات ضد السلطان قائلين: إن الله لم يأمرهم بوجوب دفع أموال[١٨٣] للسلطان، وكانوا بالفعل يمتنعون عن سداد هذه الأموال في بعض الأحيان، فكان السلطان يرسل لهم عددا من القادة وبصحبتهم قوة كبيرة، مزودين بالسلاح، يقبضون على رؤوسهم الكبار، حينئذ يقومون بدفع كمية كبيرة من الذهب ليتخلصوا من تلك المحنة، وبعدها يعقدون سلاما مع السلطان، وبعد مرور عامين يرجعون إلى حالة من التمرد على السلطان..."[١٨٤]. وهنا نلاحظ أن الرحالة الأوربيون رغم اهتمامهم بثورات البدو، فإنهم لم يغفلوا عقاب الدولة لهم، وهو ما يوضح أن عقاب الدولة كان أمرا مهولا على المفسدين من البدو[١٨٥]، وربما كان الاهتمام المملوكي بتحجيم العربان على النحو الذي أشارت إليه المصادر العربية والأوربية راجع بنسبة كبيرة إلى نظام الجيش المملوكي نفسه، القائم على نظام الإقطاع الحربي، الذي يُعدُّ المصدر الرئيس لدخل سلاطين وأمراء وجنود المماليك؛ أي قوت يومهم، وبما أن الخراج كان المصدر الأساس لدخل الدولة خلال فترة الدراسة، فإن الامتناع عن دفع الخراج أو تهديد وصوله يعني ضرب نظام الإقطاع في مقتل، وحرمان المقطعين من موارد دخلهم وهم من الأمراء والجنود ومن ثَمَّ إضعاف الجيش، الذي هو مبرر وجودهم في الحكم وفي البلاد أصلا[١٨٦].

وفي حقيقة الأمر، فإن المطالع للمصادر

يجد بعد مقارنة ثورات العربان عصر البحرية بثوراتهم عصر البرجية، هي قلتها في عصر البحرية، على الرغم من مقاومة البرجية لهم بشدة إلا أن قلتها عصر البحرية بالتأكيد كان سببه: قوة السلطة المركزية مع محدودية الجور والمصادرات التي تسببت في قلاقل العربان إذا ما قورنت بالدولة الثانية، كما تشير إلى ارتعاش يد الدولة تجاههم في الشطر الثاني، وهو ما أدركه العربان[١٨٧]؛ لذلك تعددت اضطراباتهم التي وصفتها المصادر المعاصرة بعبارات تدل على أفعالهم مثل " كثر فسادهم" و " أكثروا من الفساد" و " كثر فساد لهانة وهوارة " أو "وكانت الفتن ونفاق العربان" " نافقت العربان بالصعيد" وكذلك " خرج عربان الوجه القبلي عن الطاعة " وغير ذلك كثير من الصفات التي لاصقتهم نتيجة أفعالهم[١٨٨]. لذلك اتبعت الدولة المملوكية – في وقت ضعفها- تجاه مخاطر العربان سياسة الرومان، وهي سياسة " فرق تسد " بين قبائل العربان، أو ما يُعرف بـ"عرب الطاعة" و"عرب المعصية" واستخدام "عرب الطاعة " في قتال " عرب المعصية " في مقابل جعلهم أمراء للعرب في هذه الأقاليم، وتقديم أصاغر العربان على أكابرهم[١٨٩]، ولا شك من أن الهدف من هذه السياسة هو شق الصف وبث الخلافات داخل القبائل العربية وإشغالها بصرعات عربية – عربية، بدلا من توحدهم في وجه الدولة، والمستفيد من ذلك هو السلطة المملوكية. كما أن استخدم المماليك الأعراب في حماية الطرق والتجار مقابل أموال مقررة لهم، نظير حمايتهم للتجارة كان مناورة ذكية من السلطة أيضا في هذا الصدد.

الاعتراض – السرقة.

وعلى جانب آخر، تناولت كتابات حجاج بيت المقدس صورة أخرى لبدو سيناء، وهي صورة البدوي المعتدي الهمجي، الذي دائما ما يعترض طريق الحجاج، وقد أخذت هذه الصورة أكثر من جانب، الجانب الأول هو البدوي الذي يكفيه الحصول على بعض الطعام، ويترك القافلة تمر في سلام دون أية اعتداء[١٩٠]، وقد أوضح بعض الرحالة الأوربيين السبب في ذلك، وهو أنه بسبب عدم **توفر احتياجات البدو**[١٩١]، فهم يهيمون بلا توقف عبر الصحراء، مسلحين بدروعهم ورماحهم، نصف عراة؛ وذلك ليس بهدف الحرب وإنما بغرض السلب والنهب[١٩٢]. حيث "... يعيش هؤلاء في فقر مدس عندهم مكان يلجؤون إليه، وهم يعملون ويرأسهم قبطان يعلمهم السطو على بعض الأماكن..."[١٩٣]. وقد ذكر الرحالة الأوربيون مواقف عديدة تؤيد ذلك منهم على سبيل المثال: ما قاله فريسكوبالدي أنه بسبب اعتراض البدو لهم قبل وصولهم غزة بيوم ونصف "...وحتى يكفوا عن مضايقتنا اضطر الرفاق إلى دفع ٢٢ دوكة فابتعد العرب آخذين معهم بعض الحوائج..."[١٩٤] لذلك وجه الرحالة الأوربيين نصائحهم لكل من يعبر هذه المناطق أن يتخذوا حذرهم من البدو بأن يسيروا في أعداد كبيرة حتى يستطيعوا مواجهة هذا الخطر الذي سوف يقابلهم حتما[١٩٥].

وأشارت كتابات حجاج بيت المقدس أن هؤلاء البدو كانوا يهيمون بلا توقف عبر صحراء سيناء، وعندما يشعرون بقدوم قوافل التجار أو أية مسافر بالصحراء سواء إلى الحجاز أم فلسطين يسرعون بنصب خيامهم أمام آبار المياه؛ لتكون وسيلة تحكم في القادمين[١٩٦].

وكما مر أن اعتراض البدو لقوافل الحج والتجارة كان غالبا- غرضه الحصول على بعض الخبز والماء، ليسدوا رمقهم في هذه الصحراء القاحلة، وليس أدل على ذلك من أن حجاج بيت المقدس كانوا قبل خروجهم من القاهرة باتجاه سيناء يجهزون القافلة بمزيد من البشماط والخبز والجبن وتموينات غذائية أخرى أعدت خصيصا لبدو سيناء في الطريق، حتى يتموا سيرهم دون اعتراض أو أذى. وفي هذا الصدد ذكر كاتب رحلة الحاج البلجيكي أنسلم أدورنو أنهم أخذوا معهم قديد الخبز والجبن، والخبز بكميات كبيرة؛ لأنهم كانوا يقابلون في طريقهم العربان الذين كانوا يعرضون الحجاج لبعض الأخطار ما لم يعطوا شيئا من هذا القبيل[١٩٧]. وفي الصدد نفسه ذكر فريسكوبالدي أنهم قبل الخروج من القاهرة وهم يجهزون القافلة بما ينقصها فعلوا مثل ذلك فيقول:"...وتزودنا بالخل والسكر والجبن بكمية كبيرة لإعطاء جزء منها...للعرب حتى لا نتعرض لسطوتهم فهذا ما أوصانا به من سلك هذا الطريق..."[١٩٨] وواصل سرده في سياق غير متصل ذاكرا أنهم بعدما تركوا المطرية بيوم وبينما هم في الصحراء عثروا على بئر ماء، فتوقفت القافلة للشرب، وملأ القرب وبينما هم في هذا الوضع سمعوا صيحات عالية جدا، وكأن الأرض قد زلزلت، وشاهدوا أشخاصا يركضون نحوهم "... وهم شبه عراة، ولم يكونوا مسلحين، بل كان مع بعضهم عصى كالقصب في طرفها حديد، وبدو هزلين ولونهم أسود وكأنهم الموت. ولقد قال لنا الترجمان ألا نخاف منهم، فهم عرب أتوا ليأخذوا بعض الخبز، فأعطيناهم وذهبوا دون أن يتعرضوا لنا..."[١٩٩] وقد عدد فابري أمثلة كثيرة تفيد باعتراض البدو لحجاج بيت المقدس؛ لأجل الحصول على مقررات غذائية منها عند استراحتهم في وادي جايان؛ حيث أشار إلى أن القائم بالحراسة أنذرهم بأن هناك اثنين من العرب تسللا إلى القافلة واستقرا بجانب خيامها، فأعطاهما فابري الخبز والماء، وسألهما الابتعاد عن الخيام والأمتعة، وقد فعلوا ذلك شاكرين[٢٠٠]. وبعدما تحركت نفس القافلة، ووصلت إلى وادي الحسنة، وجدوا العرب نصبوا خيامهم حول بئر المياه الموجود هناك، ووقف العرب برماحهم أمام الخيام في انتظار قافلة حجاج، وبدافع حاجتهم إلى المياه نزلوا في اتجاههم يتملكهم الخوف، وفي الحال هرع إليهم أبناء العرب ونساؤهم فأعطوهم البشماط حينئذٍ سمح لهم العرب بأخذ الماء لهم ولدوابهم[٢٠١]، علاوة على ذلك، قدم الحجاج لزعيم البدو دوكا واحدا، فقبلها الأعرابي وعرض عليهم أن يصحبهم ليدافع عنهم ضد أية هجمات محتملة. فشكروه وغادروا المنطقة[٢٠٢]. كما أن القافلة التي كان بها هارف اضطر حجاجها إلى وضع الدقيق والماء في إناء كبير كان معهم وعجنوا الدقيق بأيديهم وصنعوا الخبز؛ لأنه نفذ منهم بسبب "... ما طلبه العرب أو سرقوه أو أعطيناه لهم..."[٢٠٣]

وقد روى أحد حجاج بيت المقدس رواية تفيد باستخدام بدو سيناء طريقة جديدة غير متوقعة من أجل نهب المسافرين، وهي طريقة "الكمين المفاجئ" ومفادها أن يقوم بعض البدو من غير المكلفين من قبل الدولة بتأمين وخفارة الطريق ويعد نقاط تفتيش وهمية يقف فيها جماعة من البدو المحتالين على اعتبار أنهم يتبعون السلطان ويتخذون ذلك مطية لنهب المسافر دون أية مقاومة وقد تعرض للنهب عبر هذه الخدعة "الكمين المفاجئ" الحاج الإيطالي فريسكوبالدي وقافلته في طريقها لدير القديسة كاترين وقال

عن ذلك:"... وفي تلك الصحراء... التقينا بعدد من المسلمين على خيولهم وبعضهم على أقدامه مع كلابهم، وكأنهم في رحلة صيد، ولقد أدعوا بأنهم موظفون عند كبار مترجمي العرب، وقالوا بأنهم يريدون تفتيشنا والبحث عن الموجودات وكشوف المكوس، وسرعان ما دفعوا جمالنا عن طريقها وبدأوا بأخذ الثياب والأغطية والقبعات والشمع وأشياء أخرى انتزعوها بالقوة. وفي ختام الأمر طلبوا منا ١٥ دوكة لقاء أشياء أعادوها إلينا..."[٢٠٤]. وفي ضوء ذلك يكون الكمين الوهمي المفاجئ استراتيجية جديدة من استراتيجيات البدو في نهب المسافرين.

ومن جهة ثانية تناولت كتابات حجاج بيت المقدس صورة أخرى وهي صورة البدوي اللص الذي يسلب قوافل الحجاج عنوة. ليس فقط سلب الطعام لكن إجبارهم على دفع مقررات مالية بجانب مصادرة السلع الغذائية، معتمدين في ذلك على الصورة الوحشية المشهورة عنهم لدى المسافرين[٢٠٥]. وقد أكد ذلك الألماني فون هارف بقوله أن:"... العرب عندما يشاهدوهم من بعيد يتسابقون تجاههم كرهان ليرون من الذي يستطيع الوصول إليهم..."[٢٠٦]. ولا يستطيع أي من الحجاج اعتراض البدوي عن عزمه "... حيث تبلغ قمة إثارتهم إذا علموا أن رفاقهم قد هزموا أو احتقروا فيصبحون غاية في القسوة والشراسة..."[٢٠٧]. ويروي في ذلك فابري أن حجاج بيت المقدس عندما كانوا على مقربة من جبل سيناء المقدس شاهدوا "... مجموعة كبيرة من الرجال والنساء والأطفال والجمال والحمير والخيول يقفون عند سفح الجبل مستعدين لمهاجمتنا، وما إن شاهدونا هرعوا إلينا برماحهم وسيوفهم وبنادقهم وكانوا يصيحون..."[٢٠٨] وعندما اقتربوا منهم تقدم الرجال تجاههم، وبدأوا يفكون لجام الجمال، ثم حمولتها، وقطعوا إحدى حقائب البشماط، ونثروه على الأرض، ليتولى النساء والأطفال جمعه في حين لم يعر الأدلاء أي اهتمام لما يحدث، وعلاوة على ذلك قدم فابري ورفاقه الخبز للنساء والأطفال، في حين نصحهم المترجم دفع ضريبة معينة لهؤلاء البدو بحيث يدفع كل حاج درهما فضيا أو درهمين. وبعد تجميع المال وإعطاء العرب إياه تركوا الحجاج يمرون في سلام[٢٠٩].

وفي الصدد نفسه نصح الرابي اليهودي ميشولام بن مناحم الفولتيري المسافرين من حجاج بيت المقدس عبر سيناء ضرورة أخذ حذره من الأعراب قائلا:"... سوف تجد رجالا ينتظرون على الطريق مختفين في الرمال التي تغطيهم حتى أعناقهم، مختبئين دون طعام ولا شراب ويضعون حجرا أمامهم يحجب رؤيتهم، وهم في هذا الكمين يستطيعون رؤية القادمين الذين لا يرونهم، وعندما يرى هؤلاء قدوم قافلة أقل عددا أو أضعف جندا ينطلقون بعد صيحة على زملائهم ويركبون خيولهم بسرعة النمور، حاملين الحراب الخشية ذات رؤوس حديدية في أيديهم، وهي رماح شديدة الصلابة. هؤلاء أيضا يحملون الميس mace الذي يستخدمه القراصنة لأجل كسر الدروع، وترس مصنوع من الرقاع والقار، هؤلاء يمتطون صهوة الجياد عراة إلا من قميص قصير، من دون بنطال أو نعال، أو مهماز، يفاجئون القافلة ويأخذون كل شيء حتى الملابس والخيول، بل أحيانا يقتلونهم... ومن هنا على المرء أن يكون حريصا في أساليبه، وأن يستجمع أشكال لحكمة حتى ينقذ نفسه من كل هذه الشرور..."[٢١٠]

وهذه الهجمات تكون بعد علم البدو أن لهم مقدرة بالقافلة سواء أكان عددها صغيرا أو غير مسلحة أم ليس معها قوة عسكرية تحميها. أما إن كانت القافلة مسلحة أو معها قوة تردعهم يلجأ البدو حينئذٍ إلى الحيل في نهب القوافل والمسافرين من ذلك:

حيل البدو في نهب المسافرين:

مما رواه رحالة أوربا ممن سافروا عبر سيناء، وتعرضوا لهجمات البدو بكل صورها، أن الأعراب لا يجاريهم أحد في حيلهم في الشرور التي يرتكبونها في صحراء سيناء، والشباك التي ينصبونها لنهب المسافر. "... مثلا وعلى الوجه الذي تحدثنا عنه، تسير القافلة في سكون الليل، وفي أثناء السير ليلا، يغلب بعضهم النوم فينام قسم من المسافرين، وهم فوق الدواب ولكيلا ينام بعضهم يترجلون ويأخذون لجام الدواب بأيديهم ويسيرون، أما الأعراب الخبثاء فيقتربون بمهارة وينتزعون الألجمة عن رأس الدواب، ويقوم واحد بأخذ الحمار، والآخر يمسك باللجام، ويسير عدة خطوات، ثم يتركه ويهرب. ويفيق الرجل فيرى- وهو في دهشة شديدة- فيجد اللجام فارغة، وأن الدابة التي كان يقودها قد اختفت تماما. واحد آخر، يختلط بأفراد القافلة وهم كثيرون بحيث لا يعرف أحدٌ أحدا، ويظهر نفسه كأنه واحد من القافلة، يسأل هذا عن حاله وأحواله، ويظن المسافر الموجه له الكلام – وهو تحت تأثير النعاس- أن المتحدث إليه من رفاق سفره، فيجاريه بهمهمة في حديثه. أما اللص فيقوم بعد أن يتأكد بأن مخاطبه هذا نعسان، فيخطف منه مقود الحيوان ويوقعه من على حصانه ويسرع هو فورا بامتطائه ويختفي به. أما حال المسافر الذي يكون مكانه في آخر القافلة فغاية في السوء، إذا أراد أن يقضي حاجة له؛ لأن اللصوص يظهرون فجأة مثل البرغوث من بين الرمال، ويخطفون حمار الرجل وأمتعته ويختفون. أما اللصوص الأكثر جرأة، فإنهم يقتربون أيضا من الإبل المحملة بالبضائع يقطعون الحبال وينزلون البضاعة الموازنة للبضاعة في الجهة الأخرى ويتعلق أحدهم بالحبال حتى يحافظ على التوازن وبعد أن يهرب زملاؤه البضاعة يترك الحبال فيقع الحمل المتبقي في الجانب الأخر، كما يسقط الرجل الذي يركب الحيوان، فيحدث هرج ومرج في القافلة واحد منهم يقول: " ضاع حماري" والأخر يقول: " سرقوا سلتي" ويبكون ويصيحون ولكن بلى فائدة.[٢١١]. لذلك نصح ميشولام قارئ رحلته المسافر بنفس الطريق أن "... يسير بصحبة قافلة كبيرة تجنبا لأخطار اللصوص الذين يتكرر ظهورهم في الصحراء..."[٢١٢]

ولكن على الرغم من كل ما سبق ذكره، إلا أن مما لا شك فيه أن مجتمع مصر عصر المماليك كان مجتمعا فسيفسائيا شكل الصراع بين البدو والدولة إحدى سماته، ولكن هذا الصراع لم يكن السمة الوحيدة ولا الدائمة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الدارس الموضوعي يرى بوضوح بأنه إلى جانب التنافر الذي شكل لا محالة حيزا مهما في العلاقات البدوية الحضرية في عصور السيادة الإسلامية، فإنه من المفيد أن نذكر أن المصادر الإسلامية والرحلات الأوربية مليئة بشواهد تفيد بأن تكامل بل وتجانس هذين النمطين، كان هو الآخر إحدى سمات هذا المجتمع.

وبعد أن عرضنا صورة بدو سيناء في الرحلة الأوربية يحق لنا أن نخرج ببعض النتائج.

النـــتائج

مما سبق، يتبين أن بدو سيناء جعلوا من دروب الصحراء ووديانها طرقا تنبض بالحياة وتعج بالحركة؛ إذ قامت القبائل البدوية التي تضرب على حواف المعمور المصري وفي البوادي بتقديم الخدمات للقوافل القاطعة للصحراء، فعملت على توفير الجمال اللازمة لحمل المسافرين والأمتعة والسلع التجارية، كذلك توفير الدليل الماهر البصير بالطريق وعلاماته وموارده المائية القريبة من المسار الرئيس، وسلامة القوافل من خلال الخفارة والحماية؛ مما كان له أبعد الأثر في انتظام حركة السير على هذه الطريق. ويمكن القول إن القبائل البدوية عملت على توفير خدمة منتظمة للنقل بالقوافل بين مصر وفلسطين وسائر بلاد الشام والحجاز، علاوة على توفير الأمن والأمان بسبب درك الطريق. وهو ما كان نتيجته أن أصبحت المرأة؛ في أوقات قوة الدولة وسطوتها وسيطرتها وامتدادها وجسارة جنودها وفرسانها؛ تستطيع أن تسافر بمفردها من القاهرة إلى الشام سواء أكانت راكبة أم ماشية وهي لا تصحب معها زاد ولا ماء[٢١٣]. وفي هذا الصدد يمكن القول إنه إذا كان المماليك قد استطاعوا اقصاء القبائل البدوية عن لعبة أي دور في الحياة السياسية؛ فإنه لا يمكن لأحد أن ينكر دورهم على المستوى الاقتصادي ومشاركتهم أيضا في صنع التطور الحضاري للبشرية.

تبين من البحث أيضا أنه على الرغم من ظهور حالات ليس بقليلة قام فيها البدو بقطع الطريق ونهب المسافرين، إلا أن المدقق في المادة المصدرية الواردة عن بدو سيناء في العصر المملوكي يدرك أن العربان أو البدو كانوا حريصين على انتظام حركة السير في طرق سيناء بين مصر والشام والحجاز؛ لأن كثير منهم كان يتكسب قوته أو ينمي ممتلكاته من وراء العمل في نقل التجارة والحجاج أو تقديم الخدمات للقوافل المارة فإذا انقطع الطريق انقطع معاشهم وماتوا جوعا، ولكن قسوة الحاكم العسكري ومحاولة المماليك الاستحواذ على السلطة والثروة وحدهم وفرض الضرائب على العربان وتحميلهم مزيدا من الأعباء. كل ذلك كان يدفعهم إلى الثورة والتمرد والعصيان وفي كثير من الأحيان جاء قطعهم للطرق وإخلالهم بالأمن كرد فعل على الممارسات التعسفية التي قام بها المماليك تجاههم.

بعد وضوح الجانب المشرق للبدو في الرحلة الأوربية؛ يحق لأي امرئ أن يتساءل عن سبب إصرار التفاسير الغربية المغرضة خاصة، ومن نحا نحوها، على التنويه بالأحداث التي لا تكتفي بالتركيز على خطورة البدو في حياة أهل المدن، بل نراها تعمل على تعميقه متجاهلة الوقائع التي تبرز تعاون كلا النمطين وتكاملهما. والحقيقة التي يتوجب علينا تأكيدها هي أن الأعمال الغربية لا تتحمل بمفردها مسؤولية شيوع هذه الأفكار السلبية وانتشارها. فالمصادر العربية وبكل إيجابياتها كانت بدورها مسؤولة عن تعميق فكرة انقسام المجتمع إلى شطرين متوازيين من ناحية، وعلى سلبية البدو من ناحية أخرى.

الحواشي

(١) في رأيي إن التركيز على الجانب السلبي لبدو سيناء في الدراسات التي تناولت تاريخ القبائل العربية، لا يعود إلى استهلاكية هذا الموضوع، بقدر ما يعود إلى ندرة الأعمال الجادة التي دعت إلى اجتهادات بديلة للأطروحات الجامدة،

التي ساهمت مدرسة الاستشراق الكلاسيكية في نشرها، وليس أدل على ذلك من أن مجلة الاجتهاد حين عقدت العزم على نشر أعداد (أعداد مجلة الاجتهاد ١٩٩٢، ١٩٩٣م) عن البدو كانت "مثل الذي سكت دهرًا ونطق كفرًا" إذ لم يجد هيئة التحرير من معالجة للموضوع أمامهم غير التيمم شطر الأعمال الأوربية، ونقلها للعربية !! كما أن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية حين أكرمها الله بفكرة عقد مؤتمر " البدو في الوطن العربي عبر العصور عام ٢٠١٠م"، لم تتضمن الندوة بمجلديها موضوع واحد عن البدو في مصر في أية عصر منذ الفتح الإسلامي حتى العصر العثماني، علاوة على ذلك أن الدراسات التي أعدها باحثون عرب، عن البدو بصفة عامة تضمنت في مجملها العديد من تأويلات مدرسة الاستشراق.

(٢) ليست إشكالية المصطلح في المصادر التاريخية وحدها؛ حيث لا نجد تفسيرًا دقيقًا يمكن من خلاله التوصل لماهية العرب والأعراب والبدو في كتب التراث عامة التي تعود للعصر المملوكي، ففي كتب التفاسير نلاحظ أن العرب هم الجنس المعروف الذي ينقسم إلى حضر وبدوٍ، والحضر هم ساكنو المدن والقرى، أما البدو فهم " الأعراب " سكان البادية، وهؤلاء هم الذين تُخبر عنهم الآيات الكريمات في سورة التوبة. قال النووي رحمه الله : "أهل البادية هم الأعراب، ويغلب فيهم الجهل والجفاء، ولهذا جاء في الحديث : (من بدا جفا)، والبادية والبدو بمعنًى [واحد] : وهو ما عدا الحاضرة والعمران. والنسبة إليها بدوي. ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم (ج١ص١٦٩)، وينظر: ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، ج٤ص٢٠١-٢٠٢؛السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص٣٩٤؛ المفردات في غريب القرآن،ج ١ص٣٢٨)، وقال الدكتور جواد علي: المفصل تاريخ العرب قبل الإسلام (ج١ص٢٥، ج٤ص٢٧١ (المجتمع العربي : بدو وحضر، ويعرف الحضر، وهم العرب المستقرون بـ " أهل المدر "، عرفوا بذلك؛ لأن أبنية الحضر إنما هي بالمدر. والمدر : قطع الطين اليابس. وورد أن أهل البادية إنما قيل لهم " أهل الوبر "؛ لأن لهم أخبية الوبر. تمييزاً لهم عن أهل الحضر الذين لهم مبان من المدر .وتطلق لفظة " عرب " على أهل المدر خاصةً، أي: على الحضر و "الحاضر" و"الحاضرة" من العرب، أما أهل البادية فعرفوا بـ"أعراب" وفي الواقع أن كتب اللغة هي أيضاً لا تساعد على التفرقة بين العرب والأعراب والبدو (ينظر: : الرازي : مختار الصحاح،ج ١ص ١٥٥، ٢٣٨؛ ابن منظور: لسان العرب ج١ ص ٥٨٦)، بل تناولت نفس أقوال كتب التفسير، كما النص القرآني يأبى تصنيف الأعراب جميعًا ممن رفض التبعية لدين الإسلام. وهو ما يجعل إشكالية المصطلح أكثر تعقيدًا.

(٣) العبدري : محمد بن محمد بن علي بن أحمد، (ت. بعد سنة ٧٠٠هـ)، رحلة العبدري، تحقيق، علي إبراهيم كردي، ط٢، دار سعد الدين، (دمشق)، ٢٠٠٥م، ص٣٣٠؛ ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت. ٧٧٩هـ)، رحلته نشر محمد السعيد الزيني، المكتبة التوفيقية، (القاهرة)، د.ت،ص٤٩، ٥٠.

(٤) المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت. ٨٤٥هـ) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، ط٣، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، ٢٠٠٩م.ج٤ص٨٤

(٥) اهتم ابن خلدون بتوصيف البداوة، لكن مفهوم البداوة عنده لا ينطبق إلا على طبيعة بلاد المغرب في عصره، ولا يمكن أن نعممه على مصر لاختلاف البيئات، ويمكننا فقط هنا إدراج تصنيفه للبدو حيث صنفهم إلى ثلاثة مستويات أولها : رعاة الإبل، وثانيها رعاة الشاه والبقر، وثالثهما البدو المزارعون، ابن خلدون، المقدمة،الدار التونسية للنشر (تونس)١٩٨٤م ج١ ص١٩٧- ٢٢٥ .

(٦) المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، ط١، عالم الكتب (القاهرة)، ١٩٦١م.

(٧) يشير بعض الباحثين إلى أن العروبة في مصر قديمة قدم أول إنسان نشأ على هذه الأرض، وسكن الوادي بعد انتهاء العصر المطير زاحفًا إلى أماكن

المياه والصيد، وتؤكد ذلك الدراسات الأنثربولوجية وعلماؤها أمثال سجلمان وأليوث سميث وكولين ماكيفيدي وغيرهم؛ حيث إنها تقرر أن العروبة في مصر القديمة منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد. ولم يكن الفتح الإسلامي لمصر إلا جمعًا للشمل بعد تباعد السيطرة الرومانية على الديار المصرية من عرب مصر وإخوانهم في الجزيرة العربية، وتلك حقائق لا تقبل التشكيك ولا يقلل منها إلا جاهل لدراسة إنثربولوجية الأجناس، ينظر: بالتفصيل: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م، جـ٢، صـ٣٤٢؛ عبد الفتاح مقلد: عروبة مصر قبل الإسلام، دراسة تاريخية أنثريولوجية أركيولوجية، دار الإشعاع للطباعة، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م، صـ٥٨

(٨) حَضَّ الإسلام على الحفاظ على الأنساب وعلى تعلمها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأجل"، وقال عمر- بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم، ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدهم ممن أنت؟ قال: من قرية كذا .الحديث صحيح أخرجه أحمد بن حنبل، المسند (ج٢ص ٣٧٤) حديث رقم: ٨٨٥٥؛ الحاكم، المستدرك (ج٤ ص ١٧٨) حديث رقم: ٧٢٨٤؛ الطبراني، المعجم الأوسط (٨جص ١٧٢) حديث رقم: ٨٣٠٨؛ ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق ج ١ص ٨٥ حديث رقم: ٢٥٢وجميعهم عن طريق أبي هريرة.

(٩) ينظر: عبدالحميد صالح حمدان: تاريخ القبائل العربية في مصر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ص١، ٦، ٢٩

(١٠) ينظر : المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٦٥٨؛ ص٦٦٨-٦٧٣-٨٣٣، ٨٥٠؛ ج٤، ص١١٣٣؛ ابـن حـجـر: أحـمـد بـن علي بـن محمد، (ت. ٨٥٢هـ) إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلـى للشئون الإسلامية (القاهرة)، ٢٠٠٩م.، ج٢، ص٤٥، ج٣، ص٦٩ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٦٨-٦٧٣-٨٣٣، ٨٥٠؛ ج٤، ص١١٣٣

(١١) ولعل خير مثال يؤكد تلك النظرة التعسفية أن الأعمال العربية الأولى نصت على عدم مساواة أهل البادية بأهل المدن فقالوا أن البدو "... لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدهم ..." ابـن سـلام،أبـو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ)،كتاب الأموال،تحقيق محمد خليل هراس،ط١،(بيروت)١٣٩٦هـ ص ٢٩٠. ولكن لا ننكر أن بعض الدراسات الحديثة تفطنت إلى حقيقة مبالغة الأعمال العربية الأولى في تحديد الدور التخريبي للبدو، وبذلك تؤكد –دون قصد- عيوب تفاسير مدرسة الاستشراق الكلاسيكية وإسقاطاتها، إلا أن هذه الدراسات لا زالت تمثل جهوداً فردية وردت -غالبًا- ضمن أعمال متخصصة وترتب على هذا أن لم يلتفت إليها غير الفئة التي تشاطرهم الرأي. وهذا يفسر استمرار المعتقد التقليدي حول دور البدو أو أية معتقد أخر في الأعمال الحديثة المتعلقة بتاريخ هذه الأمة.

(12) Piloti, L›Egypte au commencement du qunzieme siècle d›apres le trait d› Emmenuel Piloti de cret incipt 1420, (ed.) Dopp., (Le Caire), 1950, p.18; John Mandeville, the travels, London, 1900, p.44.

(13) Fabri, F. Voyage en Egypte de Felix Fabri, (ed)masson .j, (paris)1975, tom 3 p. 810; Mandeville, travels, p.44-45

(14) Mandeville, travels, p.44

(15) Loc .cit

(16) Fabri, Voyage, tom 3 p.812

(17) Piloti, L›Egypte, p.11 ;Obadiah Jara Da Bertinoro, Itinerary of Obadiah 1487-1490AD, in J.T. (ed)Adler (London)1930, p.239.

(18) Piloti, L'Egypte, pp.18-19 (; Fabri, Voyage, tom 3 p.810

(19) Meshullam Ben manahem, Itinerary of Rabbi meshullam ben menahem of 1481 (ed) Adler, in J T, (London) 1930, p.176; Fabri, Voyage, tom 3 p.889; Mandeville, travels, p.44.

(20) Fabri, Voyage, tom 3 p.810

(21) Itinerary, pp.177, 180 Meshullam, Piloti, L›Egypte, pp.19-20;

(22) Itinerary, pp.176, 180 Meshullam,

(23) Piloti, L›Egypte, p.18

(24) Obadiah, Itinerary, p.239

(25) Mandeville, travels, p.44.

(٢٦) أضاف فابري إلى هذه المسميات لبدو سيناء اسما أخرى هي " إسماعيليون، وأبناء هاجر، ومديانيون " Fabri، Voyage،tom ٣p. ٨١٠.

(27) Frescobaldi, Avisit to the holy places, (ed) the ophilus (Jerusalem) 1948, p.52

(٢٨) لم يغب نسبة قبائل العربان إلى المكان الذي يعيشون فيه عن بال بعض الرحالة الغربيين على سبيل المثال قال فابري بعد أن ذكر المسميات السابقة للبدو "... والبعض يسمونهم باسم الإقليم الذي يقطنونه، فيطلقون عليهم اسم المديانين..." Fabri، Voyage،tom ٣،p. ٨١٠

(٢٩) ينظر: بالتفصيل عن ذلك الموضوع دراسات كل من : محمود محمد السيد، تاريخ القبائل العربية في مصر في عهد الدولة الأيوبية والمملوكية،، ماجستير كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٧٧م؛ مغاوري عبيد، حركات الأعراب في مصر في العصر المملوكي الأول ٦٤٨-٧٨٤هـ،، ماجستير اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٨٦م؛ إبراهيم القلا: الحوف الغربي خلال العصرين الأيوبي و المملوكي دراسة حضارية وتحليلية مقارنة، رسالة دكتوراه، إشراف د/ راجية إبراهيم، جامعة الزقازيق، كلية الآداب، فرع بنها، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(٣٠) ينظر: عبدالله خورشيد البري، القبائل العربية في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة،دار الكتاب العربي (القاهرة) ١٩٦٧م ص ٥٢.

(٣١) المقريزي: الإعراب ص ٥١-٥٢؛ وانظر : ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ١، صـ٢٧٧، برقم ٧٠٨، جـ٤، صـ١٠، جـ٣، صـ١٧٨، برقم٤١٨، جـ٤، صـ٣٥٦، ٣٥٧).

(٣٢) المقريزي: الخطط، مكتبة الآداب، (القاهرة)، ١٩٩٦م، جـ١، صـ٢٣٩.

(٣٣) مثل: قرية بني عدي علي مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٩، صـ٩٤، المطبعة الكبرى الأميرية، ط١، بولاق، ١٣٠٥هـ. وأهلها من قبيلة بني عدي القبيلة القرشية المشهورة، وقرية بني مزار علي مبارك: الخطط (ط دار الكتب)، صـ٩٨، محمد رمزي: القاموس (ط دار الكتب)، قسم٢، جـ٣، صـ٢١٦، ٢١٧. وأهلها عرب بني نزار وهم بطن من لواتة التي نزلت بالبهنساوية، ومنشية بني غرواس التي أُنْشِئَتْ في عهد العرب، وهم عرب من بطون قبيلة لواتة القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت. ٨٢١هـ)،: صبح الأعشى (ط دار الكتب)، جـ١، صـ٣٦٥ وناحية بني سوادة محمد رمزي: القاموس، قسم٢، جـ٣، صـ٢٠١. وسوادة من أشهر بطون بلي المقريزي: البيان والإعراب، صـ٣٠، القلقشندي: نهاية الأرب، صـ١٨٠، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، (القاهرة)، ١٩٨٢م، صـ٤٥ وقرية بني هلال وأهلها من بني هلال بن عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان من العرب العدنانية المقريزي: البيان، صـ٢٧، ٢٨؛ وينظر: أمثلة أخرى عند: ياقوت الحموي: معجم البلدان: دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، جـ٢، صـ٤٥٣؛ الأدفوي: الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، (مصر)، ١٩١٤م. صـ٩والهامش؛ ابن دقماق: الانتصار،طبعة مصورة عن طبعة بولاق (القاهرة)١٨٩٣م،جـ٥، صـ٣٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، صـ٦٧، جـ١٤، صـ٣٧٣؛ المقريزي: البيان والإعراب، صـ١٢٢، ١٣٦.

(٣٤) المقريزي: البيان والإعراب، صـ٤٤.

(٣٥) ينظر: المقريزي: البيان والإعراب، صـ ٥، ٦.

(٣٦) سفارة بدرومارتير ص ٤٥٩

(37) Fabri, Voyage, tom 3p.810

(38) Mandeville, traveles, p.44.

(39) Piloti, L›Egypte, p. 18.

(40) Frescobaldi, Avisit, p.32

(41) Meshullam, Itinerary, p.182-183

(42) Harff, The Pilgremage of Arnold Von Harff, 1496- 1499, (ed)M .Lettes (Ledon), 1946, p.135.

(٤٣) ينظر: ذلك بالتفصيل عند: مصطفى وجيه مصطفى، احتفالات الحج المصرية عصر سلاطين المماليك، دار عين (القاهرة)٢٠١٤م،ص٥٢يتبع

(٤٤) أحمد لطفي السيد، قبائل العرب في مصر، القاهرة ١٩٣٥م ص ٨٢

(٤٥) ينظر هذا الجانب عند : C. Cahen،Nomads et sedentaires dans le mode muslman du milieu du moyen age،in، islamic civilization،oxford،١٩٧٣،p.٩٤ وبصرف النظر عن بعض السلبيات التي تضمنتها هذه الدراسة، فإنها تعد من بين الأعمال القليلة النادرة التي أشادت ببعض إيجابيات البدو التي انكرتها الأعمال الغربية، وغير الغربية.

(٤٦) ينظر: أسامة محمد محمد السَّعْدُوْنِيّ جميل، الدَّوْرُ الاقْتِصَادِيّ لِلْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِيْ مِصْرَ في عصر المَمَالِيْك، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة،٢٠١٦م،ص١٠٣.

(٤٧) المحطات الأوربية بالتفصيل عند : ابراهيم سعيد فهيم، حركة الحج الأوربي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى الإسلامي، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)٢٠٠٩م ج١ ص٧١ يتبع

(٤٨) عن المكانة التي صارت عليها هاتين الجزيرتين في عالم البحر المتوسط أواخر العصور الوسطى انظر :

Philip Zaleski، Knights Hospitallers، in" PARABOLA"؛ vol 15،winter،1990.pp.55-62 Nicol، The Reluctant Emperor A biography : of john cantacuzene،Byzantine Emperor and monk 0295-1383، Cambridge 2002،pp.45-83; Ostrogorsky، History of Byzantine state، trans. by J. Hussey oxford 1959،pp. 444-474; Norman Housley، The later crusades 1274-1580،Oxford، 1992،p.215; Lutterff "Venice and the Kinghts Hospitallers of Rhodes in the fourteenth Century" papers of the British school at Roma، V،26،، 1958،p.197; Palmira Brummett " The Overrated adversary: Rhodes and Ottoman navel power " Historical Journal (Great Britain) 1993، 3، pp.518-528؛

جوناثان رايلي سميث، الأسبتارية : فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص١٠٥٠-١٣١٠م، ترجمة صبحي الجابي، دمشق ١٩٨٩م، ص٦٢-٧١.

(49) 49) Meshullam, Itinerary, p.180

(50) 50) Frescobaldi, Avisit, p.53

(51) 51() See: PoPper.W, . Egypt and Syria under circassian sultans 1382-1468 A.D. systematic notes to ibn tagri Bardi, s chronicale of Egypt, 2 vols, Berkeley university of California, press, 1955-1957, vol 1, p.47.

(٥٢) لذلك ما إن تم تثبيت أركان دولة سلاطين المماليك، حتى اهتمت الدولة بتأمين الطريق وحفظها ولضمان ذلك قام الظاهر بيبرس عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م " ... بترتيب أحوال العربان ومن بها من الرجال وجدد لأمراء العرب مناشير إقطاعاتهم وأجرى لهم عادات صلاتهم ..." السيوطي، حسن المحاضرة ج٢ص٢٧٦-٢٧٧. فالبدو كانوا هم " حفظة الدروب" العيني، عقد الجمان ج٢ص٣٥٠؛ المقريزي، السلوك ج١ص٤٨١ كما كانوا " مشايخ البلاد" القلقشندي، صبح الأعشى ج١ص٣٨٦ الذين وقع عليهم إخراج الخفراء من الأوقات المختلفة لحراسة الطرق وحفظها "... في الليل والنهار والمساء والصباح والغدو والرواح وإخراج بيوت الشعر ينزل بها الخفراء من القرية إلى القرية لتأنيس الطرقات وحفظها وإجابة المستصرخ وإلحاق المتعري وإدراك الهارب وإمساك المفسد..." شافع بن علي بن عباس (ت٧٣٠هـ)حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبدالعزيز الخويطر،ط٢،(الرياض)١٩٨٩م، ص ١٢٠.

(53) Harf, Op. Cit., P. 139 S Suriano, F. Treatise on the holy land, (ed)by fr.; Theophilus Bellorini, (Jerusalem), 1948, p. 188

(٥٤) السخاوي: التبر المسبوك السخاوي: التبر المسبوك

في الذيل على السلوك تحقيق نجوى مصطفى كامل، ولبيبة إبراهيم مصطفى، دار الكتب، القاهرة١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.، جـ ٢، صـ ٦٣،٦١،

(٥٥) القلقشندي، قلائد الجمان، ص ٦٥؛ الجزيري: عبد القادر بن محمد بن القادر (ت. ٩٤٤هـ)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، نشر حمد الجاسر، ط١ (الرياض)، ١٤٠٣هـ ص١٣١٤٠(والعائد،إحدى بطون جذام من عرب القحطانية ومساكنهم فيما بين بلبيس من الديار المصرية إلي عقبة أيلة،والكرك من ناحية فلسطين وهم مسئولون عن حماية الحاج في منطقتهم (القلقشندي،نفسه،ص٦٤)أما بنو عطية، فهم من القحطانية أيضاً،وينسبون إلى بني عقبة،وقد نزلوا حول خليج العقبة في القرن ١٤م وبيوتهم حول العقبة إلى عجرود (المقريزي،الإعراب،ص١٤٩)

(٥٦) المقريزي، الإعراب، ص ٧٢؛ الجزيري، درر الفرائد، ص ١٣٤٩-١٣٥٠(والمساعيد، من عربان عقبة وكانوا يتألفون من بدنات كثيرة ومنزلتهم الكرك(الجزيري،ص١٣٠٨)والسلالمة، قبيلة عظيمة من قيس كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، وقد انتقلت طوائف منهم إلى افريقية،فسكنت برقة مما يلي المغرب ومما يلي مصر (المقريزي،الإعراب،ص٦٨)

(٥٧) المقريزي، الإعراب، ص ٧٢؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ٣٩٦؛ الجزيري، درر الفرائد، ص ١٤٠٠،١٣٩٢(الأحامدة،أحد بطون ميمون ابن سالم ابن حرب،ويسكنون ما بين مكة والمدينة (الجزيري، المصدر السابق، ص١٣٠٨) وجهينة، فرع من قضاعة ومنازلهم بين ينبع والمدينة إلى وادي الصفراء(الجزيري،نفسه)

(٥٨) لا شك أن نهاية الربع الثالث والربع الرابع خارج الإطار المكاني لموضوع الدراسة لكن ذكرهما من باب تتبع التمركز البدوي بالصحاري المؤدية والعابرة بسيناء من ناحية. وحتى ندرك حجم الدور الذي لعبته سلطنة المماليك في تأمين هذه المساحة المكانية من ناحية أخرى.

(٥٩) المقريزي، الإعراب، ص ٢٦، ٧٢؛العمري،مسالك الأبصار ج٤ ص٣٦٩،الجزيري،المصدر السابق،ص١٤٢٢(وبنو إبراهيم،بطن من جهينة وكانوا مصدر قلق للحجاج طوال العصر المملوكي حتى أخضعهم الغوري (الجزيري،المصدر السابق،نفس المكان

(60) Obadiah, Itinerary, p.239

(٦١) ابن حجر،إنباء الغمر ج١ص١٩٠؛ مصطفى وجيه مصطفى، احتفالات ص ١٩٠

(٦٢) العمري، مسالك الأبصار، ج٤ ص٣٩٦؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ص ١٣٤٤

(٦٣) وإلى جانب هؤلاء البدو القائمين بأمر الخفارة والرعاية في هذا الربع من الطريق، كان هناك الرهبان الذين لعبوا دورًا مهمًا في تأمين خفارة الطريق لاسيما منطقة طور سيناء، حيث دير القديسة كاترين الذي كان مقصدًا لزيارة حجاج بيت المقدس، فقد كان للرهبان سلطة ونفوذ على بدو تلك المنطقة، وذلك لحاجة هؤلاء البدو إليهم، إذ ارتبطت حياتهم إلى حد بعيد بدير طور سيناء، فكان يزودهم الدير بالزاد والشراب، كما كان يوقع أشد العقاب على كل بدوي يرتكب عملاً من شأنه الحاق الضرر بالدير، ومن هنا أمكن لهؤلاء الرهبان استخدام البدو في الخفارة وإلزامهم بحماية القوافل والمارين والمترددين على الدير سواء المسلمين أو المسيحيين : ينظر: وثائق دير سانت كاترين، وثيقة رقم ٣١٨ مخطوط عربي بتاريخ ٧٠٠هـ ورقة ٩٣٣.

(٦٤) الجزيري، الدرر الفرائد ص ١٩٢-١٩٣

(٦٥) القلقشندي، قلائد الجمان، ص ٤٥؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ١٣٦١ وكانت خفارة الربع الثالث في يد بطون قبائل بلى وجهينة. ولهم على ذلك أموال ومؤن القلقشندي، نفسه،ص٦٥؛ الجزيري، المصدر السابق،ص١٣٩٩). وكان الربع الرابع بيد بني إبراهيم المنازله بالينبع. وقد قرر لهم مرتباً من ديوان السلطنة الشريفة يصرف لهم مقابل الإشراف على الدرك وملئ الفسقية المقريزي، الإعراب، ص ٧٢؛ العمري، مسالك الأبصار،

ج٤، ص ٢٩٧؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ص ٦٥، ١٠٤؛ الجزيري، نفس المصدر، ص ١٤٢٦

(٦٦) المقريزي، الإعراب، ص ٧٢؛ الجزيري، درر الفرائد، ص ١٣٤٩-١٣٥٠

(٦٧) ابن ايبك الدواداري، : كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩" تحقيق هانس روبرت رويمر، (القاهرة)، ١٩٦٠م.ص١٠٥

(68) Meshullam, Itinerary, p. 177

(٦٩) ابن بطوطه، رحلة ص٧٠

(٧٠) الجزيري، درر الفرائد، ص ١٢١٤- ١٢١٥، ص ١٢١٦. المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٢١٤؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج٣، ص ١٧١؛ Jomier، J.، Le Mahmal et la caravane egyptienne des pelerins de la mecque، le caire، ١٩٥٣،p.٩٥جدير بالذكر أن كتاب المحمل وقافلة الحج المصرية، لمؤلفه الفرنسي جوميه تحدث فيه المؤلف عن المحمل والقافلة المصرية منذ الفتح الإسلامي، حتى القرن العشرين. وقد أفاد الدراسة فيما يتعلق بفترة العصر المملوكي وهو يعد بمثابة اختصار لكتاب الدرر الفرائد للجزيري.

(٧١) ينظر: الرؤية الأوربية عند : J.J Saunders، The Nomads as Empire builders : A comparison of the Arab and Mongol conquest :in Diogene1965. vol 2p.82- 87

(٧٢) بطبيعة الحال نحن هنا لا نقصد اسم باحث بعينه؛ وإنما نقصد كل من اقتبس من كتابات الغربيين اقتباساً أعمى، دون الحيطة والوقوف أمام دافع أصحاب الأقلام الغربية من القضايا العربية في عصور السيادة الإسلامية عامة.

(٧٣) العمري: مسالك الأبصار، جـ٤، صـ٣٩٥.

(٧٤) المقريزي: السلوك، جـ٤، قسم١، صـ٥٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣، صـ٥٢٥، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، صـ٣٢١، ٣٢٢، جـ١، صـ٤٨٨.

(٧٥) الجزيري: الدرر الفرائد، صـ١٣٦٢، ابن جبير: الرحلة، صـ٣٧، ٣٨، (وقد جاء في العبر لابن خلدون المعهود إليهم درك السابلة، ابن خلدون: العبر، جـ٦، صـ٦)؛ كذلك : Obadiah، Itinerary، P. ٢٣٩

(٧٦) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، حمزة عباس، جـ٤، صـ٢٤٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١١، صـ٣٢٧، ٣٢٨.

(٧٧) يشير الجزيري إلى الدور الكبير في هذا الشأن إبان الحرب بين المماليك وابن عثمان بقوله: ": أنه في سنة ٩٢٢هـ توجهت الكسوة الشريفة من طريق الطور بصحبة بعض مشايخ الأدراك، منهم الشيخ جلاس بن نصار بن جماز صاحب درك الوجه والرحبة، من أحامدة بلي، وأحضر له العربان جمالًا ركبها إلى الحجاز" الجزيري: الدرر الفرائد، جـ٢، صـ٧٩٨

(٧٨) والجدير بالذكر أن قوافل الحج كانت عادة تصحبها قوافل التجار ينظر: المقريزي: السلوك، ج4صـ754 755، صـ768؛ Piloti، op.cit، P. 46؛. Harff، Pilgremage.، P. 93; Fabri، Voyage، vol 2 p.436; Thenoud، J. Le voyage d›outre mer de jeun thenoud، (Paris)، 1888.، P. 37; Jomier، J.،le mhamal، P. 175; Darrag، A.، L›Egypte sous le regne de Barsbay (Damas) .1961p. 204- 206

(٧٩) المقريزي: السلوك، جـ١، قسم١، صـ٢٥٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٠، صـ٨٣، صـ٢٧٠.

(٨٠) العمري: مسالك الأبصار، جـ٤، صـ٣٩٥، ابن خلدون: العبر، جـ٦، صـ٦، المقريزي: البيان، صـ١٩، ١١٨، القلقشندي: قلائد الجمان، صـ٦٥، نهاية الأرب، صـ٣٣٣.

(٨١) ابن خلدون: العبر، صـ٦، الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، صـ٣٢١، ٣٢٢.

(٨٢) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، صـ٤٨٨.

(٨٣) المقريزي: البيان، صـ١٩، ١١٨.

(٨٤) ابن جبير: الرحلة،، صـ٦٠.

(٨٥) Meshullam، ltinerary،p ١٧٧. (وقال ابن بطوطة عن قطيا : وبها تؤخذ الزكاة من التجار وتفتش امتعتهم ويبحث عما لديهم أشد البحث، وفيها الدواوين والعمال والكتاب، والشهود. ومجباها في كل يوم ألف دينار ذهب، ولا يجوز عليها أحد من الشام إلا ببراءة من مصر. ولا إلى مصر إلا ببراءة من الشام، احتياطًا على أموال الناس وتوقيًا من الجواسيس، وطريقها في ضمان العرب، وقد وكلوا بحفظه، فإذا كان الليل مسحوا على الرمل حتى لا يبق به أثر، ثم يأتي الأمير صباحًا، فينظر إلى الرمل فإن وجد به أثرًا طالب العرب بإحضاره مؤثره، فيذهبون في طلبه، فلا يفوتهم فيأتون به الأمير ..." بن بطوطة، الرحلة، ص٥٠. ويُفهم مما ذكره بن حجر، إنباء الغمر ج١ص٨ أنه كان من المعتاد إذا نُهب شيء من المسافرين بسيناء يتم القبض على صاحب الدرك ولا يطلق سراحه إلا بعد دفعه أموال قيمة ما نُهب).

(٨٦) ابن ايبك، كنز الدرر ج٩ص١٤٤-١١٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج١ص٣٣٦؛ المقريزي الإعراب ص١٩-٢٠وجدير بالذكر أن صحراء السويس كانت ملتقى ومخرج مسارات الطرق التي تعبر سيناء في اتجاه الشمال الشرقي لتصل إلى الشام أو تلك التي تتجه شرقاً لتصل إلى الحجاز أو التي تتجه جنوبًا لتصل إلى الطور أو التي تتجه نحو الجنوب الغربي عبر الصحراء الشرقية لتصل إلى الصعيد وإفريقيا والتي تتجه غربًا لتصل إلى القاهرة لذلك لم تكتف الدولة بتكليف عرب العائد وحدهم بحفظ وتأمين ومراقبة هذه المنطقة الخطيرة ولكنها اهتمت بإرسال تجاريد عسكرية تقيم في برج السويس الذي انشأه صلاح الدين سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م ليقيم به عشرون فارساً حفظاً للطريق وتأمين للمسافر وكانت التعليمات تصدر لوالي الشرقية بتزويد البرج بالحمام الرسائلي "... صحبة من جرت العادة بتجريدهم فيه ..." شافع بن علي الكاتب، ص ١٢١. ولكن هذا لا ينفي الدور الذي قامت به قبيلة العائد في حفظ المنطقة لأنهم أكثر علما بمداخلها ومخارجها من غيرهم.

(٨٧) الطرق البدرية هي التي تعبر سيناء دون المرور بقطيا ولا يستطيع أحد استخدام هذه الطريق إلا بدليل من عرب العائد لأنها كانت طريق شاقة ليس لها درب سالك داخل سيناء ابن أيبك، كنز الدرر،ج٩ص١١٥

شافع بن علي, المناقب, ص121 (88)

(89) Frescobaldi, A visit, p. 65

(٩٠) جورجو غوتشي، رحلة جورجو غوتشي، ترجمة أحمد إيبش، هيئة أبو ظبي، ٢٠١١م ص ٤٢

(91) Frescobaldi, A visit, p. 65

(92) Nicolo of Poggibosi, A voyage beyond the seas (1346-1350) ed, T. Bellorini and E. Hoad, Jerusalem, 1945, pp. 101-103

(93) Frescobaldi, A visit, p. 56

(94) Brygg, T., The ltinerary in the Holy land of lord Thomas of swynbune commander of the fort of sGuines and later Mayor of Borde Western pilgrims, ed, Eugene Hoade, Jerusalem, 1970, 85; Gucci, G., Visit to the Holy places of Egypt. sinai. palestine and Syria, ed, Theophilus Bellorini, and other, Jerusalem, 1948p., 106, 151

(٩٥) المقريزي: الخطط، ج١ص٢٤٥

(٩٦) ينظر ذلك عند : محمد عبدالعزيز سياج، النقل والمواصلات في مصر عصر سلاطين المماليك، ماجستير بآداب الزقازيق ٢٠٠٩م ص١٢٠

(٩٧) وقد أدرك المعاصرون قيمة البدو في معرفة خبايا الصحراء ودونوها في كتاباتهم، فيصف العمري القبائل التي تنزل على هذه الطرق بقوله: "عرب الطرق المسلوكة أو دلالها من العربان" العمري: مسالك الأبصار، جـ٤، صـ٣٩٥، وذكر كتاب الأخبار الروايات الطوال عن أن البدو كانوا يعرفون طرقًا غير المعروفة لدى الناس، لذا عملوا أدلاءً لها بأجور، مثلما ذكر ابن تغري بردي من أن شعبان بن عيسى العائدي من قبيلة العائد كان دليلًا للجند الشامي حتى وصل بهم إلى الطور وسار بهم في درب الحاج إلى نخل، (ابن تغري بردي: السابق، جـ١٣، صـ١١٤) وما ذكره المقريزي أنه: سار الأمير أيتمش يريد بلاد جعفر بن عمر من برقة، ومسافتها من الإسكندرية على

الجادة نحو شهرين، فدله بعض العرب على طريق مسافتها ثلاثة عشر يومًا يفضي به إلى القوم من غير أن يعلموا به، وطلب في نظير دلالته على هذا الطريق مائة دينار وإقطاعا من السلطان بعد عود العسكر إلى القاهرة، فعجل له أيتمش المائة، والتزم له بالإقطاع من السلطان، وكتب له بعشرة أرادب قمحًا لعياله، وأركبه ناقة؛ وكتم ذلك كله عن العسكر من الأمراء والأجناد والعربان...، حتى إذا مضت ثلاث عشرة ليلة أشرف على منازل جعفر بن عمر وعربانه؛ فدهشوا لرؤية العسكر، (المقريزي: السلوك، جـ٢، قسم١، صـ١٩١).

(98) Frescobaldi, A visit, p. 55

(99) Fabri, F. Voyage, tom 1, pp. 93-94

(100) Piloti, L›Egypte, p.18 ;Fabri, F. Voyage, tom 3, p.809

(101) Fabri, F. Voyage, tom 3, pp.831-832

(102) Frescobaldi, A visit, p. 65

(١٠٣) بطبيعة الحال لكل قاعدة شواذ؛ إذ لا نستطيع أن نجزم أن كل الأدلاء أو المترجمين أو من يخدمون القافلة من البدو كانوا على نفس الدرجه من الأمانة وتدبير المكائد، ففي كثير من الأحيان نفذ هؤلاء البدو الأدلاء أو الجمالين والحداة واجبهم نظير الأجرة المتفق عليها على الوجه الأكمل، إلا أن بعضهم كان نقض ميثاقه حاضراً دائمًا في عقله إذا وجد الفرصة والكسب المالي سيعود عليه بأكثر مما هو متفق ومتعاقد عليه، انظر قصة ميشولام ورفيقه روفائيل مع دليلهم البدوي واسمه علي الذي دبر مكيده لأجل سرقة خيولهم ونقودهم، وكاد ينجح في مكيدته، لولا إدراك فرسان المماليك لهم : ميشولام ص ١٨٧-١٨٨

(104) Fabri, F. Voyage, tom 3, p.887

(105) Fabri, F. Voyage, tom 3, p.887

(106) Fabri, F. Voyage, tom 1, pp.232-234

(107) Fabri, F. Voyage, tom 3, p.889

(١٠٨) المقريزي: البيان والإعراب، صـ٦٧؛ Thenoud، J. Le voyage.p٣٧.

(١٠٩) المقريزي: السلوك، جـ٢، صـ١٩٦.

(١١٠) الجزيري: الدرر الفرائد، جـ٢، صـ١١٨٠، ١١٨١.

(111) Fabri, F. Voyage, tom 3 p.802

(١١٢) لم يكن الجمل استعماله شائع بمصر قبل الفتح الإسلامي، بل كان الحمار أكثر وسائل النقل استعمالا وكان إدخال العرب المسلمين الجمل إلى مصر واستخدامه في النقل على نطاق واسع من الأحداث العظيمة والفارقة، فقد فجرت الإبل هدوء الصحراء وحولتها إلى خلية نحل لا تهدأ لها حركة ليلاً أو نهاراً. وأوصلت وبكفاءة عالية بين أماكن كان يصعب الوصول إليها من قبل، إذ أنها قامت بالدور الذي تقوم به السكك الحديدية اليوم، وإذا علمنا أن الرومان لم يقدموا على ما أقدم عليه العرب في هذا الميدان أدركنا عظم الرسالة العربية الإسلامية في هذه الأقاليم والتي أدت ربط أجزاء الدولة العربية الإسلامية من ناحية والشرق والغرب من ناحية. جورج يعقوب، أثر الشرق في الغرب، ترجمة فؤاد حسين علي، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٤٦م ص٥٣؛ سياج، النقل ص ٤٣.

(113) Fitzsimons, S., Itinerary of simon Fitzsimons (1322-1323), in. western pilgrims, ed, Eugene Hoade, Jerusalem, 1970, p.140; Frescobaldi, A visit, p.53

(114) Fitzsimons, Itinerary, p.140; fabri, Voyage, tom III, p. 896; Breyden Bach, les saintes peregrinations, Bernard de Breyden Bech 1483 (ed) larrvaz (le caire) 1904, p.40

(115) Frescobaldi, A visit, p.54

(116) Frescobaldi, A visit, pp.53-54

(117) جورجو غوتشي, رحلة, ص 44

(118) Frescobaldi, A visit, p.54

(١١٩) Frescobaldi، A visit،pp ٥٣-٥٤. أيضاً : آن وولف، كم تبعد القاهرة ؟ ترجمة قاسم عبده قاسم، المشروع القومي للترجمة (القاهرة) ٢٠٠٦م ص ٢٧١

(120) fabri, Voyage, tom III, p.802

(١٢١) كانت مهمة الحمار لا تقل عن مهمة الجمل؛ إذ أن حمير البدو قوية وخشنة وتتحمل المشاق وهو الأمر الذي أشار إليه فريسكوبالدي بقوله :"... ولقد اشترينا ثلاثة حمير لركوبها فيما بعد لأن أحصنتنا لا تستطيع عبور الصحراء فليس هناك علف ..."

Frescobaldi، A visit،p ٥٤.

(122) fabri, Voyage, tom 1, pp.93-94

(١٢٣) برتراندون لابروكير، رحلة، ص ٣٧-٣٨

(124) Harff, Pilgremage, p.135

(125) Harff, Pilgremage, p.149

(126) fabri, Voyage, tom 3, p.812

(127) fabri, Voyage, tom 2, pp.695-696; Harff, Pilgremage, p.119

(128) Piloti, L›Egypte, p.18

(129) Mandeville, traveles, pp.39, 44

(130) Frescobaldi, A visit, p.54

(131) Meshullam, Itinerary, p.184

(١٣٢) العمري: مسالك الأبصار، جـ٢، صـ٣٨٩؛ الجزيري: الدرر الفرائد، جـ٢، ـ١٢١٤- ١٢١٧.

(١٣٣) المقريزي: السلوك، جـ٢، صـ٢٦٠، ٢٦١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٠، صـ٩٤.

(١٣٤) المقريزي: السلوك، جـ٢،، صـ٢٦٠. وأكد ذلك الرحالة العبدري في رحلته التي قام عصر الناصر محمد، وهو يذكر القبائل العربية في برقة متجهًا إلى مصر، يقول: سمعت شخصًا ينشد في الركب مكتريًا راحلة ويقول: من يكري زاملة، فسمعه بدوي، فقال له: أعندك الزّمالة ؟ فقال: نعم. فقال: فلا تقل من يكري وقل: من يستكري، العبدري: رحلة العبدري، صـ٢٠٧

(١٣٥) (١٣٦)() ابن تغري بـردي: النجوم الزاهرة، جـ١٠، صـ٩٤.

(١٣٦) ابن تغري بردي: السابق، صـ١٣٣.

(١٣٧) أبو شامة: الذيل على الروضتين، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.، صـ٢٢٠

(138) fabri, Voyage, tom 1, pp.93-94

(١٣٩) برتراندون لابروكير رحلة، ص ٣٧-٣٨

(140) Anslem Adrno, Itineraire d' Anslem Adrno en terre sainte (1470-1471), ed, Jacques Heers de Geoer, paris, 1978, p.213, 215

(١٤١) بطبيعة الحال عمل بدو سيناء في أعمال اخرى مثل : تجهيز الإقامات على الطريق سواء المتجهة إلى الحجاز أو إلى الشام(التي اشتهرت به قبيلة العائد المقريزي: السابق، جـ٣،، صـ٦٠٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١١، صـ٣٧٧، جـ١٣، صـ١١٤ وكذلك العمل ملتزمي خيل البريد النويري: نهاية، جـ٨، صـ٢٠٠، ٢٠٢، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، صـ٤٩٧. ولا يخفى ما للبريد من أهمية كبيرة على الطرق التجارية في نقل الرسائل بالشراء والبيع وتحديد قيمة وكمية البضائع وغير ذلك مما كان يرد في رسائل التجار التي تنقل عبر البريد؛ بل كان التجار أنفسهم يركبون خيل البريد، وفي ذلك ذكر المقريزي أنه في سنة ٧٤١هـ: "قدم الخبر باختلال حال البريد، من كثرة ركوب التجار والعرب (البريد)، فرسم ألا يركب إلا من يـأذن له السلطان في ركوبه (المقريزي: السلوك، جـ٢،، صـ٥١٦) وقد عملوا بمهن أخرى كثيرة (عنها انظر : أسامه السعدوني، الدور الاقتصادي، ص٢١٣ وما بعدها) ولكن اكتفينا هنا بما رصده الرحالة الأوربيين فقط؛ حتى لا نخرج عن العنوان المحدد للبحث.

(142) Anslem Adrno, Itineraire, p.213, 215

(143) Frescobaldi, A visit, pp.54-55

(144) fabri, Voyage, tom 1, p.94

(145) Loc. cit

(146) Mandeville, traveles, p.44

(١٤٧) الجزيري: الدرر الفرائد، جـ٢، صـ١٣١١: ١٣١٣.

(١٤٨) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٣٥٤؛ الجزيري: الدرر الفرائد، صـ١٣١١: ١٣١٣.

(١٤٩) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، جـ٢، صـ٣٨٩.وذلك دفع كاهين إلى القول بأن البدو ليس بالضرورة معادين للأنماط الاجتماعية الأخرى، والأمثلة التي تفيد بتكامل الأنشطة البدوية بالأنشطة الزراعية على سبيل المثال،كثيرة، فقطعان الماشية والتي ترعى في الأراضي غير المستغلة زراعيًا تسهم في اخصابها من ناحية، وزيادة قيمتها من ناحية أخرى. C .Cahen، Quelques mots sur les Hilaliens et le nomads،in، J.E.S.H.O ١٣١.p،١٩٦٨

(١٥٠) ابن فضل الله العمري، نفسه، صـ ٣٨٩.

(١٥١) العبدري: رحلة العبدري، صـ٢٠٩.

(١٥٢) الجزيري: الدرر الفرائد، جـ٢، صـ١٢١٤، ١٢١٥.

(١٥٣) الجزيري: نفسه، جـ٢، صـ١٢١٦، ١٢١٧.

(١٥٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، صـ٢٥٥، ٢٥٦؛ Harff، Pilgremage،p ١٣٦.

(١٥٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، صـ٢٥٥، ٢٥٦، وورود خبر عند ابن تغري بردي عن تجارة العرب في الرطب يعني أن ما تحدث عنه ياقوت استمر حتى زمن ابن تغري بردي، (ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ١، صـ١٦٩). كذلك: هارف ص ١٣٧-١٣٨

(156) Piloti, L›Egypte, p.18

(١٥٧) عن ذلك بالتفصيل ينظر : البيومي إسماعيل الشربيني، النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة العامة للكتاب (س تاريخ المصريين)، القاهرة، ١٩٩٨م.

(١٥٨) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٣، صـ١٤٤.

(١٥٩) فسر ابن خلدون محافظة البدو على سكن الخيام تفسيرًا سلبيًا قائلًا أن من " همجية البدو أنهم يخربون المباني للحصول على حجر ينصبونه أثافي لقدورهم، والخشب أيضاً إنما حاجتهم إليه ليعمدوا به خيامهم، ويتخذوا الأوتاد لبيوتهم فيخربون السقف عليها لذلك، فصارت طبيعة وجودهم نافية للبناء الذي هو أصل العمران " المقدمة ج١ص١٩٧-١٩٨، ويجب أن نأخذ في اعتبارنا أنه على الرغم من دقة ملاحظات ابن خلدون وأهميتها، إلا أنه لا يتحدث عن البدو في المطلق هذا من ناحية بل انعكاس لوضع بدو المغرب العربي في عصره، وهو بلا شك يؤكد على ما ذهب إليه رحالة غرب أوربا من اعتزاز البدوي بسكن الخيام.

(160) Mandeville, traveles, p.44

(161) fabri, Voyage, tom 3, p.889

(162) Frescobaldi, A visit, p.57

(163) Harff, Pilgremage, p.135

(164) Harff, Pilgremage, pp.184-185

(165) fabri, Voyage, tom 1, p.395

(166) fabri, Voyage, tom 3, p.893

(167) Piloti, L›Egypte, p.18

(١٦٨) Mandeville، traveles،p ٤٤. ومما ذكره ابن خلدون في هذا الشأن أن العرب " أمة باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم، فصار لهم خلقًا وجبلة وكان عندهم ملذوذًا لما فيه من الخروج على ربقة الحكم وعدم الانقياد للسياسة " المقدمة ج١ص١٩٨.

(169) fabri, Voyage, tom 3, pp.809-810

(170) Obadiah, Itinerary, p.239

(١٧١) ابن خلدون، المقدمة ج١ص١٩٨

(172) Meshulam, Itinerary, p. 182

(١٧٣) Meshulam،Itinerary،p ١٨٢. ; Mandeville، traveles،p ٤٤. ; fabri، Voyage،tom ٣، pp.٨٠٩-٨١٠ Obadiah، Itinerary،p ٢٣٩. ; المقريزي، السلوك ج٢ص٩١٣، الإعراب ص٢٧، ٢٤. ينظر أيضًا: دي بوا إيميه، القبائل العربية في صحروات مصر، ضمن وصف مصر ترجمة زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة) ١٩٩٦م ج٢ص٢٧٩.

(١٧٤) تجدر الإشارة هنا أن الدراسات الغربية ركزت على رصد الجانب السلبي للبدو دائمًا متأثرين بأطروحة إدانة البدو بسبب وبدون سبب متشدقين في حديثهم بما ذكره ابن خلدون في مقدمته التنظيرية على سبيل المثال ينظر : R. B .Serjeant، Social stratification in Arabia: social stratification and the city quarters، in the Islamic city (ed) by R.B .Serjeant. UNESCO، ١٩٨٠،p. ١٢٧. إلا أن المتمعن في فصول مقدمة ابن خلدون والي تحمل العناوين التالية "في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وأن البادية أصل العمران والأمصار وعددها"، وفصل "في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر "، وفصل " في أن أهل البدو أقرب

إلى الشجاعة من أهل الحضر". يستخلص عدة نتائج منها:- أن البدو لم يمثلوا على الدوام الجانب السلبي للمجتمع العربي في عصور سيادته، ثانياً : أن الدافع وراء الصاق الصفات السلبية بالبدو هو الوضع الذي كانت عليه بلاد المغرب وقت تدوين ابن خلدون مقدمته .

(١٧٥) ينظر: العيني، عقد الجمان، ج٤ص١٧٣-١٧٤المقريزي، السلوك ج١ص٩٢٠-٩٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨ص١٤٩-١٥٤؛ مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، نشر زيترشتين، ص١٠٧.

(176) Mandeville, traveles, p.44 ; Piloti, L›Egypte, pp.19-20

(177) fabri, Voyage, tom 1, p.89

(178) Meshullam, Itinerary, p.176

(١٧٩) على سبيل المثال: السلوك، ج٢ص٤٠٩؛ ابن الصيرفي، إنباء ص ١٣٩، ٤٤٥، ٤٤٨؛ ابن إياس، بدائع، ج٢ ص٤١٨، ج٣ص٤٣، ١٤٧، ٢٤٠، ٣٩١، ج ٤ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(180) Meshullam, Itinerary, p.176

(١٨١) وانظر : Fabri, Voyage‹tom I,p.١٨٢، ٣١١-٣١٣؛ فارتيما، رحلات، ص ٣٦؛ Obadiah,Itinerary,p.٢٢٥. ولا ننسى أن بلبيس كانت آنذاك- نقطة انطلاق القوافل، حتَّى أن المصادر أطلقت عليها اسم "باب الشام (شيخ الربوة، نخبة الدهر، ٢٣١) ومنها تتجه القوافل إلى الصالحية مرورًا بعدة استراحات صغيرة مثل السعيدية والخطارة والوايلي إلى أن تصل الصالحية، التي بعدها يبدأ منقطع الرمال، حتى أطلق على الصالحية آخر المعمور من الديار المصرية، وقد كانت أول محطة رئيسة للقوافل بعد خروجها من بلبيس (العمري، التعريف ص ١٨٩-١٩٠)، ثم من الصالحية إلى العريش مرورا بعدة استراحات صغيرة مثل القصير والغرابي ثم قطية، ثم يتجه الطريق من قطية إلى العريش، ثم منها إلى رفح إلى قلعة الداروم، وهي التي تقع قبل غزة للقاصد دمشق، ومنها إلى عسقلان، إلى بيت جبريل، ومنها إلى الخليل "حبرون" ثم إلى بيت لحم ومنها إلى بيت المقدس (العمري، التعريف ص ١٨٩-١٩٠)

(١٨٢) ربما المقصود بالأموال هنا أموال النواحي التي ضمنها العربان في كافة نواحي السلطنة

(183) Piloti, L›Egypte, p.18

(184) See: R.B, Two Journey to Jerusalem, London, 1685, p.22

(١٨٥) ، ولم تخف المصادر ذلك، ففي عام ٧٠٠هـ يقول ابن أيبك :أن العربان "... تسلطوا تسلطاً عظيماً حتى منعوا الجند والأمـراء إقطاعاتهم وخراجاتهم بجميع الصعيد..."(ابن أيبك، المصدر السابق، ج٩ ص٦٣ وانظر: سيد عبد العال، ثورات العربان، ص٤١٠؛ طرخان، الجراكسة، ص٣٣٧) ويقول بيبرس الدودار أيضاً: "... منعوا الحقوق واعتمدوا العقوق وقطع أراذلهم الطريق وهاشوا على الأجناد..." بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٩٢ ويوضح العيني أن العرب طمعوا "... في مغل الأمـراء والجند ومنعوا الحقوق، فأصلح تلك البلاد حتى أخذ الناس مغلهم كاملاً..." العيني، عقد الجمان، ج٤ ص١٣٨-١٣٩ وعندما ثار عربان الصعيد سنة ٧٥٤هـ "... كسروا مغل الأمـراء والأجناد..." المقريزي، السلوك، ج٢ ص٩٠٧ هذه النصوص وغيرها مما ورد في مصادر العصر، تفسر أسباب كثرة الحملات المملوكية ضد الأعراب في نواحي مصر المختلفة، والتي كانت تقلم أظافر العربان بالاستيلاء على كل ما يملكون من خيل وجِمَال.. من ناحية، كما تفسر سبب استطرادنا في هذه القضية من ناحية أخرى.

(186) Laurent D›Arvieux ; Memoires du chevalier d› Arvieux, paris, 1985, p.118:Voir

(١٨٧) ينظر: ابن الفرات، تاريخ، المجلد التاسع، ج٢ ص١٦؛ المقريزي، السلوك، ج٣ ص٦٣٨، ج٤ ص٦٧٨؛ ابن حجر إنباء الغمر، ج٢ ص٤٢؛ ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١ ص١٢١؛ النجوم، ج١١ ص٣٥٢؛ عبدالباسط بن خليل، نيل الأمل، ج١ ق١، ص٢١٨، ٢٦٣؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١ ص٢٣٢؛ Harff، Pilgremage، P. ١٤٣ ; Obadiah، Itinerary، ٢٣٢، ٢٣٨.

(١٨٨) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١ ص٢١٣؛ وانظر: سيد عبد العال، ثورات العربان، ص٤٠٠.

(189) Atiya, The late crusades in the middle ages (London) 1938, p. 181

(١٩٠) نلحظ هنا أن الرحلة الأوربية ربطت بين تسلط البدو وحاجتهم لسبل المعيشة؛ وهو ما كان ناتجًا عن انغماس السلطة في اللهو والصراع من أجل الحصول على أدوات الحكم دائمًا، لم يهتم النظام العسكري المملوكي حتى بأبسط حقوق البدو والتي اقرتها الشريعة الإسلامية مما دفعهم في بعض الأوقات (التي جفت فيها سبل الحياة الت يعتمدون عليها بسبب تدهور وضع البلاد في فترات الضعف نتيجة فتن الأمراء والجنود وقلة حيلة الحاكم) إلى سلب المسافرين بغية العيش، وجدير بالذكر أن كتابات السلف حثت أئمة المسلمون على الإنفاق على البدو في ثلاثة أوجه على الأقل : الأول أن يظهر عليهم عدو من المشركين، والثاني في الأمصار والأريـاف فلهم في المال الغوثة والمواساة، أما الثالث فإذا وقع بين طوائف البدو الفتق في سفك الدماء ثم يقدر على رتق ذلك الفتق وإصلاح ذات البين وحمل تلك الدماء بالمال فهذا حق واجب لهم. ابن سلام، الأموال ص ٢٩١.

(191) fabri, Voyage, tom, 3, p.810

(192) Frescobaldi, A visit, p.54

(193) Frescobaldi, A visit, p.65

(194) Meshullam, Itinerary, p.176

(١٩٥) ماندیفیل ص٤٤، هـارف ص١٣٨-١٣٩؛ عوبديا ص ٢٢٥، فابري ج٣ص٨٨٠. وجدير بالذكر أن نشير في هذا الصدد إلى ما رواه فابري، فبعد خروجهم من دير سانت كاترين باتجاه مصر، تقام الحجاج خيامهم في وادي غرندل وكانت التربة فيه غير صالحة وتعج بالهوام والحشرات، فذهبوا يلومون المترجم بسبب عدم سماحه لهم نصب خيامهم في مكان منابع المياه. لكن المترجم اعتذر لعدة اسباب أبرزها أن أعراب الصحراء يقيمون خيامهم بالقرب من منابع المياه دائماً فـإذا وجـدوا الحجاج سلبوهم كل شيء Fabri، Voyage،III،p. ٨٨٠

(196) Anslem Adorno, Itinerary, p. 213, 217.

(١٩٧) Frescobaldi، A visit،p ٥٢. (كما أن قوله يفيد باطلاع حجاج بيت المقدس على يوميات من سبقوهم في هذا المضمار .. وهذا يؤكد ما اشرنا اليه سابقا بأن الرحالة الأوربي جاء لمصر وقد تكونت في عقله صـورة سلبية عن البدو وهي تخالف في معظمها الصورة الحقيقية)

(198) Frescobaldi, A visit, p.54

(199) fabri, Voyage, tom III, p. 815

(200) fabri, Voyage, tom III, p.812

(201) loc.cit

(202) Harff, The Pilgremage, p.138

(203) Frescobaldi, A visit, p.65

(204) Harff, The Pilgremage, p.149

(205) Harff, The Pilgremage, p.139

(206) ;Harff, The Pilgremage, p.135 fabri, Voyage, tom III, p.893

(207) fabri, Voyage, tom III, pp.831-832

(208) Harff, The Pilgremage, p.135 fabri, Voyage, tom III, p.833;

(209) Meshullam, Itinerary, pp.182-183

(٢١٠) سيمون، رحلة الراهب سيمون، ترجمة محمد حرب، كتاب الهلال (القاهرة)١٩٩٢م ص ١٣٨-١٣٩

(211) Meshullam, Itinerary, p.182

(٢١٢) المقريزي، الخطط،ج١ص٢٧٧

قائمة المصـادر والمراجع

أولاً المصادر والمراجع العربية:-

١. وثائق دير سانت كاترين، وثيقة رقم ٣١٨ مخطوط عربي بتاريخ ٧٠٠هـ ورقة ٩٣٣.

٢. ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية؛ (القاهرة)، ٢٠٠٨م.

٣. ابن ايبك الـدواداري، : كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩" تحقيق هانس روبـرت رويمر، (القاهرة)، ١٩٦٠م

٤. البلوي، خالد بن عيسى، (ق ٨هـ) رحلة البلوي، تحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالة المحمدية (المغرب)، د.ت.

٥. البغدادي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط٢، الهيئة العامة للكتاب (س الألف كتاب) (القاهرة)، ١٩٩٨م.

٦. ابن بطوطة، رحلة، نشر محمد الزيني، المكتبة التوفيقية (القاهرة)د.ت

٧. ابن تغري بردي، حوادث الدهور الدهور في مدى الأيام والشهور، ج١ تحقيق فهيم شلتوت، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (القاهرة) ١٩٩٠م

٨. الجزيري: عبد القادر بن محمد بن القادر (ت. ٩٤٤هـ)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، نشر حمد الجاسر، ط١ (الرياض)، ١٤٠٣هـ

٩. جوزيف بتس، رحلة الحاج يوسف إلى مصر ومكة والمدينة، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة)، ١٩٩٥م

١٠. ابن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون،احمد عصام عبدالقادر الكاتب،ط١،دار العاصمة (الرياض)١٩٨٦م

١١. ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (القاهرة)، ٢٠٠٩م

١٢. ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقيق محمد بن تاويت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، س الذخائر، (القاهرة)، ٢٠٠٦م

١٣. ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر(تونس) ١٩٨٤م.

١٤. السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم ونجوى مصطفى، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، ٢٠٠٧م.

١٥. ابن سعيد، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة،تحقيق حسين نصار،دار الكتب (القاهرة)١٩٧٠م

١٦. سيمون، رحلة الراهب سيمون، ترجمة محمد حرب، كتاب الهلال (القاهرة)١٩٩٢م

١٧. ابن سلام،أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ)،كتاب الأموال،تحقيق محمد خليل هراس،ط١،(بيروت)١٣٩٦هـ

١٨. ابن شاهين،غرس الدين خليل، (ت. ٨٧٢هـ)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، نشر بولس راويش، باريس، ١٨٩٣م

١٩. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، ط٢، دار الكتب والوثائق، ٢٠١٠م.

٢٠. الصباح، ابو عبدالله الصباح (النصف الثاني من ق الثامن الهجري)رحلته المعروفة بـ: أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار،نشر وتحقيق محمد بنشريفة،ط١،دار ابي رقراق (الرباط)٢٠٠٨م.

٢١. طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة)، ٢٠٠٢م.

٢٢. عبدالباسط بن خليل بن شاهين الظاهري (ت٩٢٠هـ) نيل الأمل في ذيل الدول،تحقيق عمر عبدالسلام تدمري،ط١،المكتبة العصرية (بيروت)٢٠٠٢م.

٢٣. ابن عبدالظاهر، الروضة البهية الزاهرة في سيرة المعزية القاهرة،تحقيق أيمن فؤاد سيد،ط١، الدار العربية للكتاب(القاهرة)١٩٩٦م

٢٤. فارتيما: لود فيكودي، رحلات فارتيما، ترجمة وتعليق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٩٩٤م

٢٥. ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (دمشق)، ١٩٩٤م

٢٦. ليون الافريقي، وصف أفرقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٧٩م

٢٧. المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد

عاشور، ط٣، دار الكتب والوثائق، (القاهرة)، ٢٠٠٩م.

٢٨. المقريزي، الخطط، مكتبة الآداب، (القاهرة)د.ت

٢٩. المقريزي: الإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، نشر عبدالمجيد عابدين (القاهرة)١٩٦٨م

٣٠. ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة)، ١٩٩٣م.

٣١. أحمد دراج: المماليك والفرنج في القرن ٩هـ/ ١٥م، دار الفكر (القاهرة)، ١٩٦١م

٣٢. أحمد عبد الرازق، المرأة في مصر المملوكية، هيئة الكتاب (القاهرة)١٩٩٩م

٣٣. آن وولف، كم تبعد القاهرة ؟ ترجمة قاسم عبده قاسم، المشروع القومي للترجمة (القاهرة) ٢٠٠٦م

٣٤. جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م

٣٥. عبدالحميد صالح حمدان: تاريخ القبائل العربية في مصر، عالم الكتب، القاهرة، - ٢٠٠٩م

٣٦. عبدالله خورشيد البري، القبائل العربية في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، دار الكتاب العربي (القاهرة) ١٩٦٧م

٣٧. عبدالرحمن زكي، الأسبلة الأثرية في مدينة القاهرة، مجلة آثار القاهرة، ع٢، ١٩٧٧

٣٨. عبد الفتاح مقلد: عروبة مصر قبل الإسلام، دراسة تاريخية أنثريولوجية أركيولوجية، دار الإشعاع للطباعة، القاهرة، - ١٩٩٣م،

٣٩. سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط٣، الأنجلو مصرية، (القاهرة)، ١٩٩٤م.

٤٠. ـــــــــــــــــ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، (القاهرة)، ١٩٩٢م

٤١. قاسم عبده قاسم "حمامات القاهرة في عصر سلاطين المماليك" مقال منشور بمقالات دار عين،٢٢ سبتمبر ٢٠١٤م

٤٢. قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار عين للبحوث الإنسانية (القاهرة)٢٠٠٧م

٤٣. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار الشروق (القاهرة)، ١٩٩٤م

٤٤. كلوت بك، لمحة عامة الى مصر،ترجمة محمود سعد،ط٢،دار الموقف العربي(القاهرة)١٩٨٢م.

٤٥. محمد عبدالعزيز سياج: النقل والمواصلات في مصر عصر سلاطين المماليك، ماجستير بآداب الزقازيق ٢٠٠٩م

٤٦. ٥٢) قطيا : من الأماكن التي ارتبط اسمها بالقبائل العربية في الوجه البحري؛ وقطيا نسبة إلى عرب من قبيلة جذام يقال لهم القاطع، نزلوا في أماكنها بعد أن خربت مدينة الفرما، وقد سكنتها القبائل العربية في العصر المملوكي مثل الأخارسة وبنو بياضة، وهم من ثعلبة ينظر : المقريزي: البيان، صـ ٦١، الخطط، جـ١، صـ ٣٤٢

ثانيا المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Anslem Adrno، Itineraire d' Anslem Adrno en terre sainte (1470-1471)،ed، Jacques Heers de Geoer،paris،1978
2. Atiya، The late crusades in the middle ages (London) 1938.
3. Aylon، the plague and its effect upon the mamluk Army " J.R.A.S" 1946
4. Aylon، Regarding population Estimates in the countries of medieval islam " in his: Outsiders in the land of islam: mamluks، mongo and Eunuchs "variorum Reprints،London 1988.
5. Baumgarten، The travel of martin Baumgarten through Egypt، Syria، palstine (London)N.D.
6. Breyden Bach، les saintes peregrinations، Bernard de Breyden Bech 1483 (ed) larrvaz (le caire) 1904
7. Brygg،T.، The Itinerary in the Holy land of lord Thomas of swynbune commander of the fort of sGuines and later Mayor of Borde Western pilgrims، ed، Eugene Hoade، Jerusalem،1970
8. Clive، D.، A history of commerce (long mans)، 1934.

9. Casola، Pilgrimage to Jerusalem (ed) Margaret (Manchester) 1907

10. C. Cahen،Nomads et sedentaires dans le mode muslman du milieu du moyen age،in، islamic civilization،oxford،1973

11. C.Cahen، Quelques mots sur les Hilaliens et le nomads،in، J.E.S.H.O، 1968

12. Cockrane: (Charles Norris)، Christianity and Classical Culture، Oxford 1940

13. Darrag، A.، L' Egypte sous le regne de Barsbay (Damas) 1961.

14. Depping، G. B.، Histoire du commerce entre le levant et l' Europe depuis les croisades jusqua la fondation des colonies d' Amerique (vol. 1، 2) Paris، 1830.

15. Domeinco trevsani، le voyage، D' outre mere D' Egypte 1512 (ed) schefer (paris) 1864

16. Dopp، Le caire vu par les voyageurs accident du moyen ages،tom24-26، le caire،1951.

17. Dols، Michael W.، The black death in the middle east (Princeton)،N G،1977

18. Genevieve، le cartulaire du chapitre du saint sepulcre، doc.no. 94

19. Gucci،G.، Visit to the Holy places of Egypt. sinai. palestine and Syria،ed، Theophilus Bellorini، and other، Jerusalem، 1948

20. Fabri، F. Voyage en Egypte de Felix Fabri، (ed)masson.j، (paris)1975

21. Frescobaldi، Gucci، Sigoli، Auisit to the holy places، (ed) the ophilus (Jerusalem) 1948

22. Fitzsimons،S.، Itinerary of simon Fitzsimons (1322-1323)،in. western pilgrims، ed، Eugene Hoade، Jerusalem،1970

23. Harff، The Pilgremage of Arnold Von Harff، 1496- 1499،(ed)M.Lettes (Ledon)، 1946.

24. J.J Saunders، The Nomads as Empire builders: A comparison of the Arab and Mongol conquest:in Diogene1965

25. Joos van Ghistele، voyage en Egypte (1842-1483) (ed) Bauwens (Bruxelles)

26. Jomier، J.، Le Mahmal et la caravane egyptienne des pelerins de la mecque، le caire، 195

27. Lane Poole، S.، A History of Egypte in the Middle Ages، (London)، 1936.

28. Ludoloph von suchem، Desciption of the holy land and and the way thither (ed)by stewart.A،(London)1895.

29. Meshullam Ben manahem،Itinerary of Rabbi meshullam ben menahem of 1481 (ed) Adler،in J T، (London) 1930

30. Mandeville، The traveles of sir jgon Mandeville،new yourk،1895.

31. Nicolo of Poggibosi، A voyage beyond the seas (1346-1350) ed، T. Bellorini and E. Hoad،Jerusalem،1945

32. Obadiah Jara Da Bertinoro،Itinerary of Obadiah 1487-1490AD، in J.T. (ed)Adler (London)1930.

33. Piloti، L'Egypte au commencement du qunzieme siècle d'apres le trait d' Emmenuel Piloti de cret incipt 1420، (ed.) Dopp.، (Le Caire)، 1950.

34. PoPper.W،. Egypt and Syria under circassian sultans 1382-1468 A.D. systematic notes to ibn tagri Bardi، s chronicale of Egypt، 2 vols، Berkeley university of California، press، 1955-1957

35. Poston،T.، The Cambridge economic history (Cambridge) 1952،

36. Raymond (Andre)et wiet، G. les marchands du Caire (le Caire)، 1979

37. R. B.Serjeant، Social stratification in Arabia: social stratification and the city quarters، in the Islamic city (ed) by R.B.Serjeant. UNESCO، 1980

38. S Suriano، F. Treatise on the holy land، (ed) by fr.; Theophilus Bellorini،(Jerusalem)،1948

39. Thenoud، J. Le voyage de outre mer de jeun thenoud، (Paris)، 1888

40. Voir: Laurent D'Arvieux ; Memoires du chevalier d' Arvieux،paris،1985،:

41. Wiet; Histoire de la nation Egyptienne T. IV، L›Egypte Arabe،(paris) 1962

سباط مسجد آمالو بمدينة بجاية المحدث نتيجة عوامل دينية (أنموذجا)

أ. د. حياة مكي

أستاذة محاضرة بجامعة زيان عاشور – الجلفة – الجزائر.

اهتمت أغلب الأبحاث بدراسة المدن العربية وتطرقت بالدراسة للكثير من معالمها كالمساجد، والأسواق والمنازل، ومنها ما اكتفى بتناول النسيج العمراني، وكلها تعد دراسات لظواهر معمارية وعمرانية في المدينة العربية الإسلامية، إلا أنها في مجملها اقتصرت على دراسة المعالم الأثرية المذكورة وغيرها من الظواهر المعمارية دون التطرق إلى موضوع ظاهرة الساباطات، وقلما حاول المستشرقون الفرنسيون التحدث عن هذه الظاهرة بصفة مفصلة، فلم يتطرقوا لذكرها إلا في أضيق حدودها؛ حيث تطرقت تلك الدراسات إلى ذكر أسماء الساباطات، ومواقع تواجدها في ذلك الوقت دون الأخذ بالاعتبار إطارها الشكلي، ووصفها ومعرفة طبيعتها وأنماطها. والاهتمام ببناء الساباط يرجع إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك ببناء سقيفة بني ساعدة، كما كان بالفترة الأموية بالشام، ومنها انتقل هذا التقليد للدولة العباسية؛ حيث أنشأوا الساباط بقصورهم.

أولا: مفهوم ظاهرة الساباطات والأحكام والقوانين التي تحكمها:

١- تعريف الساباط:

مما لا شك فيه أن المدينة الإسلامية كانت عبر التاريخ تشترك في عدة ملامح ميزتها عن غيرها من المدن الأخرى بالإضافة للوظائف المتعددة التي كانت تؤديها، متحكما في ذلك الدين الإسلامي لضبط خصوصية الفرد المسلم[١]، والساباط يشكل ظاهرة من ظواهر المدينة الإسلامية، لكن ما تعني هذه التسمية وما مفهومها؟.

١-٠- لغويا:

جاء في لسان العرب المحيط[٢] ومختار الصحاح[٣] ومحيط المحيط[٤] ومعجم البلدان[٥]

الساباط: سقيفة بين حائطين، وفي المحكم: بين دارين، وزاد غيره: من تحتها طريق نافذ، جمع سوابيط وساباطات، فعل الكلمة سبط.

بينما يعرفه الأستاذ سامي نوار في كتاب (الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية) بطريقة أخرى أن الساباط، السقيفة بين حائطين تحتها طريق نافذ وتجمعُ على سوابيط وساباطات، فارسية معربة من " بلاس آباد " وقد كان لكسرى ساباط في قصره بالمدائن، ويستخدم المصطلح الفارسي " ساباط " في بلاد الفرس للدلالة على الممر الذي قد سقف ما فوقه.[٦]

كما يعرفه الأستاذ عبد الرحيم غالب في (موسوعة العمارة الإسلامية)[٧] أن الساباط، جمع سوابيط وساباطات، ممر مسقوف بين دارين أو جدارين وقد كان بين قصر قرطبة ومسجدها ساباط وآخر بين قصر الزهراء ومسجدها، وكذلك في مسجد القصبة في إشبيلية ومسجد الكتيبة في مراكش وعرف "بالصباط".ويعرفه كذلك الأستاذ محمد محمد أمين في (المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية)[٨]، الساباط سقيفة بين حائطين أو دارين تحتها طريق أو نحوه، وتجمع على سوابط وساباطات، واستخدم اللفظ في الوثائق بنفس المعنى، من ذلك "ساباط بداير الفندق محمول على أعمدة معلقة" وساباط مفروش بالبلاط مسقف نقيا كامل المرافق والحقوق" و"ساباط معقود" و"ساباط لطبقة" وساباط حامل لطبقة.

أما الأستاذ عاصم محمد رزق في معجم (مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية)[٩]، فيجمع التعريفين السابقين معا في تعريفه لهذا المصطلح. نرى هنا بعض الاختلاف بين تعريف الساباط من الناحية اللغوية والفقهية، وبين التعريف الأخير الوارد عند الأساتذة: عبد الرحيم غالب، محمد محمد أمين ومحمد عاصم رزق، لغويا نجد الساباط عبارة عن سقيفة واصلة بين جدارين متقابلين دون ذكر ما يوجد فوق هذا السقيفة من بناء سواء كان طبقة أو غرفة فوق عنصر الساباط، هذا ما يجعلنا نميز بين الساباطات نفسها، وتغطية الأسواق في المدينة الإسلامية من خلال وجود الغرف أو خلوها منها فوق السقائف الواصلة بين الجدارين المتقابلين هذا ما يميز بين تسقيف الأسواق وبين ظاهرة الساباطات.

كما نرى في التعريف الأخير للساباط أنه عنصر من العناصر المعمارية، وهذا لأنه كان يحمل على أعمدة وكانت أرضيته مفروشة بالبلاط، كما كان للساباط عقود، وهذا المزج جعل الاهتمام البالغ بالساباط لدرجة زخرفته بالعقود، هذا إنما يدل على مدى ما وصل إليه هذا العنصر من تطور معماري شديد، وأنه كان يخصص للطبقة الحاكمة، فلقد ذكر أنه كان يربط القصور بالمساجد بالأندلس.

١- وظيفة الساباطات:

إن النتاج النهائي لعوامل البيئة المؤثرة على الناحية العمرانية التقليدية، كان نتيجة تفاعل بين ثوابت كالشريعة الإسلامية، والمناخ، وبين متغيرات كالحالة الاقتصادية والتجارية، كما أن هناك عوامل اجتماعية قد تصاحب ظهور عناصر معمارية أخرى تؤدي وظائف معينة، ففي القرى مثلا يجتمع النساء عند مصادر المياه كالآبار.[١٠]

فظهور الساباط في المدينة الإسلامية كان نتاج لكل العوامل السابقة الذكر، وبذلك كانت وظائفه متعددة، فالساباط يرتبط بشبكة الطرق كالشارع والذي يعد شريان اتصال.[١١]

إن شبكة الطرق ذات علاقة بارتفاع المباني والساباطات التي تعلوه؛ حيث ترتبط مقاييس الشوارع بشكل عام بعوامل عديدة منها ما يرتبط بنظام تخطيط المدينة الإسلامية، ومنها ما يرتبط بالقيم الإسلامية والعادات الاجتماعية، كما أن للوحدات التي تعلو الساباط وظيفة أمنية هامة؛ حيث كانت تستخدم في المراقبة وتأمين الطريق وبخاصة من المهاجمين، ويؤكد ذلك ما تشتمل عليه هذه الغرف من عدة مستويات من النوافذ بعضها مفتوح بمستوى أرضية الغرفة، وغالبا ما كانت لهذه النوافذ ستارة من الطوب اللين وظيفتها إدخال الضوء والهواء، ورؤية من بالخارج؛ حيث كانت نسبة المساحات التي تعلوها ساباطات الطرق العامة كالحارات والدروب تصل ما بين ½ ، بينما نسبة الدروب الخاصة والأزقة فإن نسبة تسقيفها تصل ⅓ ومن المعروف أن الطرق الرئيسية

(الحارة) تكون أكثر اتساعا من الدرب أو الزقاق والتي يتفرع منها الدروب والأزقة.(١٢)

فوجود الشوارع الضيقة والأزقة المغطاة التي أطلق عليها السقائف، وذلك لحماية المارة من أشعة الشمس ومن المطر(١٣)، كما كان نفس هذا الدور للساباطات الموجودة بالشوارع المتسعة، وهو الحماية من حرارة الشمس.(١٤)

لقد كان انتشار الساباطات في الطرق الضيقة المنحنية؛ لأن شدة الحرارة تتطلب هذا الضيق وترابط المباني حتى تكون الطرق مظللة.(١٥)

كما تقوم الساباطات بتوفير الظل؛ وبذلك يبرد الهواء في المكان المغطى، مما يؤدي إلى اختلاف درجة حرارة الهواء في الشارع، هذا الاختلاف بين هواء بارد أسفل الساباط وهواء ساخن في المكان المكشوف، يساعد على تحريك الهواء، مما يجعل حركته تساعد على تلطيف درجة الحرارة، كما أن الساباطات تساعد على احتفاظ الطرق التي تعلوها ببعض حرارتها شتاء، بهذا كان لإنشاء الساباطات معالجة مناخية للتغلب على حرارة الصيف وبرودة الشتاء.(١٦)

كذلك من بين الوظائف التي تقوم بها الساباطات أنها تعمل على تنشيط حركة الهواء باستمرار نتيجة لفرق الضغط الجوي الناتج عن اختلاف درجات الحرارة بين الفراغ الصغير المظلل والفراغ الكبير المكشوف كما تعمل على توفير أماكن الجلوس بها وذلك بإقامة مقاعد للجلوس، بما يقوم بوظيفة اجتماعية من حقها تدعيم التقارب والتواصل بين أهل المنطقة؛ بالإضافة إلى ما توفره للسائر من تدرج في الانتقال من الضوء إلى الظل بسبب التسقيف هذا ما يجعله في حالة رؤية متجددة؛ حيث يكسر بداخله الملل.

كما أن للساباطات دور في تظليل شبكة الطرق بعلوها في الحارات والدروب وحتى الأزقة؛ حيث أن ارتفاع المباني بنسبة ¼ من اتساع الطريق تؤدي دورا واضحا في انعكاس الظلال عليها بالنهار فيما عدا فترة الظهيرة؛ حيث تكون أشعة الشمس عمودية على سطح الأرض، فقد ساهمت الساباطات في تظليل النسبة الكبيرة من الطرق مشاركة بذلك في ارتفاع المباني، وفي الشوارع ذات الاتجاه مع حركة الشمس كانت الساباطات من الوسائل المعالجة لتجنب حرارة الشمس، وكان يتحكم في ارتفاع الساباط ما تقوم به من الوظائف التي تؤديها هذه الطرق من مرور مشاة أو دواب ولهذه الوظيفة أثر مباشر في تحديد اتساع وارتفاع الساباطات، كما كان للجوار واختلاف درجة القرابة بين ساكني مجموعة الدور والتي تليها دورها الهام

الذي أثر على مدى اتساع ما يتناسب مع الأحكام الفقهية وما اتفق عليه العلماء، وحسب العرف السائد فقد وضحت الأحكام الفقهية بصورة واضحة في الطرق العامة؛ حيث يشرع للطريق النافذة اتخاذ ساباط مادام لا يضر بالعامة ولا يملك أحد منعه؛ حيث يشترط رفعه عن رؤوس المارين، ويلاحظ الحرص على حق الطريق بإقامة ساباط أسفل طريق به مقعد لعائلة واحدة.[١٧]

كما تؤدي الساباطات وظيفة تجارية باحتوائها على حوانيت ودكاكين[١٨]، فانتشار الحوانيت الصغيرة بأروقة المداخل؛ حيث كانت هاته الحوانيت تطل على الشوارع، ولكل منها واجهة، ولها مصراعان يستخدم العلوي للصناعة والسفلي عادة لعرض البضائع، ويمتد الحانوت إلى الداخل، والجدير بالذكر أن التجار والحرفيين كانوا لا يقطنون في دكاكينهم فقد كانت تغلق وتحرس ليلا، وكانت الدروب تقطعها الأزقة التي تغلق عادة بأبواب متينة عند الغروب، وكانت مداخل المنازل الخاصة تتقابل في هذه الأزقة، وعادة ما كان الشارع مغطى بالخشب والذي يعرف بالسقيفة أو الساباط.[١٩]

كما كان للساباط دور في ستر ما بداخل الدارين المتقابلين نتيجة للاتفاق بين الفريقين المتجاورين أو نتيجة لحكم قضائي.[٢٠]

إضافة إلى ما سبق ذكره فقد كان الساباط يؤدي وظيفة الحماية، ففي الأندلس بالعصر الأموي اتجه الحكام إلى بناء المساجد الضخمة وزخرفتها؛ حيث بنى الخليفة عبدالرحمن جامع قرطبة الكبير، ثم جاء عبد الله، وكان حريص على أن يحيط نفسه بأسباب السلامة، فأنشأ بذلك ممشى مظللا (ساباطا) يربط ما بين الجامع وقصره الذي يحاذيه من جهة الغرب تقليدا بذلك للأمويين بالشام.[٢١]

١- السياق التاريخي لظاهرة الساباطات في العمارة الإسلامية:

لقد ورد مصطلح " ساباط " لدى العرب منذ السنوات الأولى للهجرة اسم لموقع في ما وراء النهر، مثل اسم لموقع في العراق، وآخر قريب منه يدعى " مظلم ساباط " وهو عبارة عن منشأة عسكرية، قد يكون شكلها المعماري أو أحد عناصرها مثل السقيفة المبنية بين جدارين وفوقها علو وتحتها طريق والذي يمثل النموذج الأول للساباط[٢٢]، وقيل السقيفة هي المكان المظلل كاساباط أو الحانوت بجانب لدار، وكأنه أشار في حديث اجتماع المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، إلى أن الجلوس في الأمكنة العامة جائز، وأن اتخاذ صاحب الدار ساباطا أو مستظلا جائز إذا لم يضر[٢٣]، ثم كان ظهوره بالعهد الأموي؛ حيث كان ظهور الساباط في هذا العهد، فتقليد خلفاء الأندلس لظاهرة الساباط الذي يربط الجامع والقصر؛ حيث أن الحاكم عبد الله، كان شديد الحرص على سلامته خوفا من الاعتداءات، فانشأ ممشى مظللا (ساباطا) يربط بين الجامع وقصره الذي يحاذيه من جهة الغرب، كما كانت الحال على عهد الأمويين بالشام[٢٤]، كما انتقل تقليد الساباط من ديار الخلافة الأموية بالشام إلى ديار الخلافة العباسية ببغداد؛ حيث كانت بالعهد العباسي تبنى القصور ويستعمل في بناء الأعمدة التي تقام عليها السقيفة أو الساباط، والتي كان يقيم بها صاحب الشرطة قرب قصر الذهب ببغداد[٢٥]، أما في إفريقيا كان الساباط معروفا منذ العهد الأغلبي؛ حيث سئل الفقيه سحنون بن سعيد (١٦٠هـ-٧٧٧م/٢٤٠هـ-٨٥٤م) صاحب المدونة عن إحداث الساباط، وكذلك ذكر في العهد الصنهاجي، في النصف

الأول من القرن الرابع الهجري، فقد أفتى أيضا الفقيه عثمان بن أبي بكر المعروف بابن الضابط الصفاقصي (٣٨٦هـ-٩٩٥م/٤٤٤هـ-١٠٥٢م) في مسألة تخص الساباط، كما عرضت أيضا على قاضي الجماعة بتونس في العهد الحفصي أبا زيد عبد الرحمن القطان البلوي (كان حيا سنة ٧٠١هـ/١٣٠٢م)، صاحب كتاب " النوازل"، في الأحكام على المذهب المالكي والذي ينقل عنه ابن الرامي[٢٦]، انتشرت ظاهرة الساباطات في المغرب الأقصى، ومن أشهرها الساباط الذي بمسجد الكتبية بمراكش، وفي مدينة طرابلس حي يسمى " عين الساباط ".[٢٧]

لقد اتجهت همة الحكام بالأندلس إلى إنشاء المساجد الفخمة وزخرفتها، فبنى عبد الرحمن الداخل (سنة ٧٨٥- ٧٨٦م) جامع قرطبة الكبير[٢٨].

والذي استغرق بناؤه اثني عشرة شهرا[٢٩]، وفي عهد الحاكم المستنصر بالله[٣٠]، أحدث مقصورة[٣١]، والتي كان بداخلها باب واحد في قبلته متصل بالساباط المفضي إلى قصر الخلافة، منه كان يخرج السلطان من القصر إلى الجامع لأداء صلاة العيد والجمعة.[٣٢]

كما عمد عبد الله حماية نفسه هو الآخر فأنشأ في المسجد الجامع بالزهراء ساباطا يفضي من قصره إلى المحراب، كما أقام ساترة جعلته في عزلة عن الناس.[٣٣]

كما ميز الساباط العمارة بمصر في العهد الفاطمي؛ حيث تستوقفنا عبارة "بين القصرين"؛ حيث يبدو وأنها كانت معروفة من قبل الفتح الفاطمي بأكثر من ثلاثة قرون، وأن بناء قصرين متقابلين على جانب الطريق كان موجودا ثم تكرر الوضع مرة أخرى في القلعة الفاطمية بالقاهرة؛ وذلك عندما بنا الخليفة العزيز باله القصر الغربي الصغير لابنته ست الملك في مقابل القصر الشرقي الكبير الذي بناه جوهر الصقلي[٣٤]، وكان لهذا القصر عدة أبواب منها ثلاثة إحداها باب الساباط، والذي أصبح يعرف فيما بعد بباب سر البيمارستان، وهو بجوار حمام الساباط[٣٥]، أما خير أمثلة الساباطات في عمارة مصر الإسلامية هي سقيفة الغوري بالغورية (أوائل القرن ١٠هـ/١٦م)، وسقيفة رضوان بك بالخيامية (١٠٦٠هـ/١٦٥٠م)، وكذلك ساباطات قرية شالي بواحة سيوة بمصر أيضا.[٣٦] كما وجد الساباط بالعمارة السعدية بالمغرب، ذكر وجود خلوة الأسبوع[٣٧] بأعلى الساباط الذي يصل بين جامع " الأشراف " المواسين بمراكش بجدار المبنى المقابل لها، وهي غرفة مستطيلة[٣٨]، ولايزال الساباط قائما، نجده في العمارة التقليدية بالرياض؛ حيث بلغ عدد الساباطات بقرية سدوس (٣٦) ساباطا[٣٩].

١- الأحكام والضوابط المتعلقة بظاهرة الساباطات:

بالنسبة لشبكة الطرق في المدينة الإسلامية كانت عبارة عن حارات تتفرع منها دروب والتي تتفرع منها أزقة، ومن هنا نميز الطرق بوجه عام، إما طرق نافذة وهذا غالبا، وإما طرق غير نافذة، والتي تعتد أزقة تضم دارًا أو دارين، يفتح درب أو حارة كما أن الطرق تفتح على حارات والتي عادة ما تضم سكان الجوار واختلاف درجة القرابة بينهم، وبين مجموعة من الدور التي تليهم، كما أن تليها[٤٠]، وعندما أنشأت عناصر ووحدات على الطرق والبوابات والدروب والحجرات والساباط، والتي تبس وفق حقوق، وقد حدد الفقهاء ارتفاع هذه العناصر المتشابه بارتفاع شخص يركب جملا يمر أسفل

البناء ويعلو الراكب فراغا يؤمن سلامته[٤١]، وكانت الطريق غير النافذة، وأنها "زائغة"؛ أي مائلة أو منحرفة عن الطريق العام النافذ، الذي أكسبها صفة الالتواء يتراوح اتساعها بين متر ونصف ومترين، كما هو الحال بالمدينة المنورة[٤٢]، وعليه كان الساباط في طريق نافذة أو غير نافذة، ولنتتبع الأحكام والضوابط التي سنها الفقهاء في إجازة ومنع إحداث الساباط.

١-١- إحداث الساباط:

٢-٠-١- إحداث الساباط في سكة نافذة:

يقول القيرواني: فيمن له دار عن يمين الطريق ودار عن يسارها متقابلتين فأراد أن يبني على جداري داريه ساباط يتخذ عليه غرفة أو مجلسا؛ فذلك له ولا يمنع من هذا ولا يمنع من هذا أحد، وإنما يمنع من تضييق السكة وأما مالا ضرر فيه على السكة فلا يمنع.[٤٣] نلاحظ إجازة بناء ساباط، ويتخذ عليه غرفة أو مجلس، شريطة أن لا يضيق الطرق؛ ويساره، ويريد أن يرفع على السكة غرفة، أو يتخذ عليها مجلسا على جداري داريه، فلا يمنع من ذلك، وبالإضافة إلى هذا يشترط في إحداث الساباط الارتفاع الكافي والمناسب.

إذا رفع البناء رفعا يتجاوز رؤوس المارة فيه من الركبان،[٤٤] ولهذا يجدر بنا الإشارة إلى أطوال الساباطات، وهل كانت تخضع هي الأخرى لأحكام وضوابط؟ أم أنها كانت تحدد بحيث لا تتجاوز أطوال واجهات المنازل الموجودة بالساباطات، ومن هنا نستنتج أن الأحكام والضوابط المتعلقة بظاهرة البروزات العلوية على الحارات والتي سبق التطرق إليها، يمكن اعتبارها أحكام وضوابط تنطبق أيضا على ظاهرة الساباطات ولكن بشكل عام. يقول البرزلي:" سئل عن شارع عمد بعض من فيه، فبنى عرصة نحو الذراع(*) في الشارع وبناها ودعمها وجعل عليها ساباطا، يظلل الطريق، وليس في الشارع عدا العرصة المذكورة، هل له ذلك سواء كان الطريق واسعا قدر السبعة أذرع أو أقل أو أكثر أم لا ؟ فقال: كل ما عمل مما لا يلاصق حائطه من بنائه مما لا يضر بأحد من الناس فذلك له، ولا أحد يمنع منه.[٤٥] ومن خلال هذه الواقعة نستنتج أنه يشترط في إحداث الساباط مراعاة مدى إظلام المكان إذا كان بشكل خفيف، فلا بأس، كما يراعى عدم تلاصق حائط المالك الأول من مبنى الثاني، مما لا يضر، كما يقدر عرض سبعة أذرع[٤٦]، وله أن يقل أو يكثر عن ذلك.

وفي كتاب (المواعظ والاعتبار)؛ حيث يقول: (وأما حكر الساباط) وحكر كريم الدين الصغير وحكر المطوع وحكر العين الزرقاء فإنها بالقرب من الميدان الكبير السلطاني وقد خربت بعدما كانت عامرة بالدور والمنتزهات[٤٧] يبين لنا أن للساباط أحكام وضوابط، ومن خلال هذه النازلة نستنتج أن الساباط يستغل ويحتكر لما يحتويه من ملكية العامة، كوجود بيوت للشرب مثلما ورد في هذه النازلة، يتبين لنا وجود عنصر جديد تحت الساباط وهو العين هذا ما ينطبق على ساباطات مدينة الجزائر، وسوف نتكلم عنه لاحقا.

٢-٠-١- إحداث الساباط في سكة غير نافذة:

لزيادة الاستفادة من الأحكام والضوابط الفقهية، لمعرفة إمكانية إحداث ساباط في سكة غير نافذة، قمت بتحليل جزء من مخطوط، كنت قد تحصلت عليه من مدينة تونس بدار الكتب الوطنية؛ حيث يذكر لنا صاحبه سيدي محمد بيرم، واقعة أرخت بسنة ١٣٣٢ هجري، الواقعة سماها: " رسالة في تحقيق المناط في عدم إعادة

ساباط مسجد آمالو بمدينة بجاية المحدث نتيجة عوامل دينية (أنموذجا)

الساباط "؛ حيث يقول فيها: " نازلة صورتها سكة غير نافذة عليها ساباط محدث أحد طرفيه على حائط دار مالكه والآخر على حائط جار له، أنهدم الساباط فأراد ربه إعادته على ما كان ومنعه صاحب الحائط فهل له الإعادة على هذه الوجه مع إقراره بأن الحائط الجار وهل تنفعه دعوة الإذن من الحائط القديم للحائط أو دعوى شرا حق الوضع منه أم لا والذي لام للضعيف بعد تتبع أما لأهل المذهب من الكلام في هذه المسألة إن ليس له ذلك ولا تنفعه دعوى كل من الإذن والشراء....."

فقال:".....إذا تنازع في الساباط أو الجذوع مع رب الحائط في حقيقة الوضع فلا يخلو الحال من أحد وجوه ثلاثة أحدها أن يستند الأول في ذلك إلى الإذن من رب الحائط[٤٨] عاينها أن يستند إلى شراء حق الوضع منه، ثالثها أن يتمسك وضع يده بهذه ثلاثة أقسام قمنا للكلام عليها في ثلاثة فصول وأوردنا تحقيق القسم الثالث هنا مع عدم الاحتياج إليه فيما نحن بصدده من جوانب هذه النازلة....." " الفصل الأول فيما إذا استند رب الجذوع أو الساباط إلى الإذن من رب الحائط اعلم أنه إذا أقر رب الجذوع والساباط بأن الحائط حائط الجار إلا أنه أستند في حقيقة الوضع عليه إلى الإذن من رب الحائط.. بعدم الإعادة بعد الانهدام.. وافرض في ذلك بين أن يستند إلى الإذن ممن هو رب الحائط الآن..... أن الوضع لو كان شريكا في الحائط وقد وضع بإذن الشريك....."[٤٩].

من هذه الواقعة فإن سيدي محمد بيرم أقر ثلاث حالات ففي الحالة الأولى ليس لصاحب الساباط الحق بإعادته، ولو كان بالإذن من رب الجدار: لأن الإذن في الوضع يعد من قبل العارية، أما في الحالة الثانية فإن صاحب الساباط ليس له الحق بإعادته أيضا، وفي الحالة الثالثة فإن صاحب الساباط يلزم أيضا بالرفع.

يتميز الساباط بالبساطة في التخطيط وفي مواد البناء مثله مثل المنازل؛ وذلك لأنه عبارة عن سقيفة بين جدارين، والساباط بسيط في تكوينه؛ حيث لا يحتوي على زخارف، باستثناء ساباطات القصور وساباطات منازل الحكام والساباطات التي تحدث فوقها قلاع أو بروج؛ حيث وجدت بجدرانها أشكالا رمزية، بالإضافة الى وجود أعمدة وتيجان ووجود زخرفة نباتية وهندسية نفذت على الرخام أو الجص أو الحجر في سقف الساباط أو على مداخل المنازل الموجودة داخله، كما وجدت الكتابة التأسيسية والتاريخية منقوشة على مداخل الساباطات.

بعد الاعتماد على الكتب الفقهية والتي أوردت أحكام وضوابط تحكم ظاهرة الساباطات تبين أنها ظهرت نتيجة عوامل تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصادية بالإضافة إلى تأثير العادات والتقاليد؛ أي العوامل الدينية ومؤثرات أخرى كالمناخ وتوفر مادة البناء بمدن المغرب الإسلامي.

فهذه الأوضاع السياسية المتدهورة التي نتجت عنها غزوات خارجية بين الدويلات وداخلية بنزاع الأسر الحاكمة فيما بينها، شجعت على إقامة الأبواب في جميع المدن الإسلامية[٥٠] والتي يتم إغلاقها أثناء الليل، أدت الأوضاع الأمنية الصعبة إلى تغيير تخطيط المدينة، فإن أي تغيير في العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية أو الدينية ستؤدي إلى ظهور تركيبة جديدة للمدينة وعليه تغيير التركيب العمراني لها[٥١] وظهور عناصر جديدة مثل ظهور الساباطات عند مداخل المنازل، وهي أربعة أنواع:

١- الساباط الناتج عن التقاء روشنين، وجدنا عدة ساباطات ناتجة عن التقاء روشنين.

٢- الساباطات الناتجة عن جملة الجائز العادي(*) (ساباط محدث على جدارين بتسقيف مسطح).

٣- الساباط المحدث على قوس أو قبو.

٤- الساباط المحدث على عقود متقاطعة (متصالبة)[٥٢].

كما نجد نوعين من الساباطات العام والخاص، فالنوع الأول يحدث على الأزقة والدروب والشوارع فيسمى بذلك الساباط العام، والنوع الثاني يحدث على المنازل الخاصة بالأسرة الواحدة، أو الخاصة بأسرتين متجاورتين؛ حيث وجدنا كل الساباطات من النوع العام .

هذه الصور تبين أنواع الساباط الناتج عن التقاء روشنين والبسيط بسقف مسطح محدث على جدارين والساباط المحدث على قوس والساباط المحدث على عقود متقاطعة.

أحدثت هذه الساباطات ووجدت قوانين وأحكام ضبطتها وأهمها:

أ- يجوز أن يشرع روشنا بحيث لا يتضرر به المار.

ب- يجوز في الطريق النافذة أو المسدودة مع مراعاة الأبعاد وفقا لنوع الطريق.

جـ- لا يجوز إلا بإذن شركاء الدرب[٥٣]

العوامل الدينية التي أدت الى ظهور عنصر الساباط:

الدين الإسلامي منبع الحاجة الروحية والمعنوية للإنسان، وهو الذي تتوازن فيه هذه الحاجة بالماديات والوازع الديني ينظم الاحتياجات المعيشية للمجتمع ويوازنها بالقيم الأخلاقية والسلوكية ليجعله أسلوب حياته بذلك يخلق الإنسان المتكامل في المجتمع المتكامل ضمن المدينة الفاضلة. كان المسجد مركز الالتقاء الروحي والثقافي للسكان؛ حيث يكون مجاورا لمنازلهم ومحور نسيجهم العمراني كان يمثل أيضا مصدر السلطة؛ حيث تتم به بيعة الحكام. كما كان مركزا للتعلم وقراءة القرآن الكريم[٥٤]. لقد ارتبط العمران في المدينة الإسلامية بمسائل العبادات والمعاملات من صلاة وزكاة وتملك وزواج وطلاق ووفاة وميراث، وتتوضح هذه العلاقة من خلال طرح مسائل العمران على مؤسسات القضاء الشرعي، كون العمران وعاء تتشابك فيه حقوق الأفراد والجماعات، وتتدافع فيه المصالح ما يستوجب تدخل الهيئات القضائية التي يتحاكم إليها المتعاملون. هذا ما يعطي للعمران الإسلامي خصوصية كونه لا يمكن فصله عن العقيدة والشريعة، هذا ما يضفي عليه بعدا روحيا، يتجلى في هذا التداخل بين مسائل العمران والأحكام الشرعية[٥٥].

المعروف أن عناصر الاتصال والحركة للمباني لا تقتصر على داخل المبنى نفسه بل تمتد أيضا إلى ما يحيط به من شوارع ودروب وأزقة، وبخاصة إذا كان للمبنى ملحقات أو امتداد في الجهة الأخرى من الشارع، ويظهر لنا بوضوح في العمارة المملوكية الفاطمية الدينية مثل مدرسة وخانقاه(*)، كما روعي في عناصر الاتصال التي تربط المبنى وملحقاته أن تكون مرتفعة حتى لا تعوق الطريق[٥٦]. هذه العوامل ساعدت في ظهور ما يسمى بالساباط بمدن المغرب العربي؛ حيث وجدنا أمثلة عديدة من السابطات التي تقوم بوظيفة دينية، وسوف نعرض أنموذجا قمنا بدراسته وهو ساباط تحمل بيت صلاة معلقة بمسجد بقرية أمالو ببجاية،

والذي تقام فيه الصلوات ماعدا صلاة الجمعة، داخل هذا الساباط وجدت قاعة للاجتماع وفض الخصومات والنزاعات بين الناس، كما كانت تبرم بداخلها عقود الزواج والطلاق، والإصلاح بين الأزواج، كل هذا كان يتم عن طريق قاضي نلاحظ أن إحداث هذا الساباط بالمسجد قامت بدور الخصوصية؛ حيث أنه وجد مدخلان بالجهة الجنوبية، فإحداث المدخل الأول والذي يعد مدخلا رئيسا خصص لدخول الرجال، أما المدخل الثاني خصص للنساء .

وجدنا ظاهرة لم يسبق لنا أن وجدناها، وهي أن هذا الساباط المدروس كان يتم بداخله ذبح البقر وتوزيعها اللحم على سكان القرية هذا ما يجسد روح الجماعة وترابط أفرادها بعضها مع بعض، وتكاتفهم ومساعدة الفقراء والمعوزين منهم وتسمى بلغة أهالي القرية (لوزيعة)، هذا ما يحقق الإحسان والصدقة بين أفراد المجتمع ومن خلاله يتوضح لنا أكثر الدور الديني الذي يقوم به الساباط. هذا النموذج يجسد الساباط بمدن المغرب الإسلامي أما النماذج الموجودة منها بالمشرق العربي كانت مجسدة في ساباط تربط جامع قجماس الإسحاقي (ص ١٣٠ دكتوراه) بالميضأة في الجهة الشمالية المقابلة للجامع؛ حيث يصل ارتفاع الساباط حوالي ستة أمتار[٥٧].

كان لنا أن زرنا هذا الجامع بالغورية ويطلق عليه عامة الناس (جامع أبو حْرِيبَه)، وفعلا الساباط ذو إرتفاع عالي جدا كما تحصلنا أثناء هذه الزيارة تحديدا بمركز الدراسات والبحوث العربية بجمهورية مصر، على وثيقة وقف مملوكية تم تحقيقها من طرف الأستاذ عبد اللطيف إبراهيم ؛ حيث يشير إلى أن "هذا المسجد المعلق الذي يرتفع مدخله عن مستوى أرضية الطريق، ويصعد إليه بسلالم وتوجد أسفله عدة دكاكين موقوفة عليه، ومن أول المساجد المعلقة بمصر جامع الأقمر بدرب الجماميز من العصر الفاطمي وقد تجدد بعد سنة (٨٠٠هـ-١٣٩٧م)، وتذكر الوثيقة سنة البناء (٧٣٧هـ-١٣٣٦م)، وجعل بين الجامع والخانقاه ساباطا"[٥٨] ويضيف الأستاذ واصفا طريقة التسقيف الساباط من النوع البسيط؛ حيث كان يستخدم في ذلك ألواحا من الخشب، توجد في وسط السقف فسقية كبيرة تستخدم كمنور سماوي "[٥٩] هذا المسجد المعلق سمي كذلك لأن جزء منه محمول فوق ساباط بداخل هذا الأخير وجدت دكاكين موقوفة لهذا المسجد.

والفرق بين نماذج الساباطات الموجودة بمدن المغرب الإسلامي وبين النماذج الموجودة بالمغرب الإسلامي وبين النماذج الموجودة بالمشرق العربي، كون الساباط يربط جامع بميضأة مثل جامع قجماس بمصر؛ حيث استخدم المعماري المملوكي الساباط كأهم عنصر من عناصر الاتصال والربط بين كتلتين لمنشأة واحدة وقد انتشر استخدامه في العمارة المملوكية الدينية والمدنية، نظرا لوظيفته في تسهيل حركة الاتصال بين بنائين دون الإعاقة بحركة الطريق؛ حيث يحدث الساباط على جدارين على جانب الطريق ويعود استخدام الساباط في العمارة المملوكية الدينية إلى عنصرين أساسيين الأول يتعلق بحجم وموقع المساحة المتاحة والتي يمر بينها طريق، والثاني يتعلق بحق مراعاة الطريق النافذ .

أما عن العنصر الأول المتعلق بموقع هذه المساحة فهو الأساس إذا كان بينهما طريق، أو إذا كانت هذه المساحة غير كافية لبناء المنشأة بكامل مرافقها، مما يستوجب مساحة إضافية يستكمل عليها بقية المرافق وقد يختلف موقع

المساحة الجديدة بالنسبة للمساحة الأصلية فقد تكون مجاورة أو مقابلة لها عبر طريق نافذ وفي الحالتين يحتاج المعماري إيجاد عملية ربط بينهما، أما العنصر الثاني مراعاة حق الطريق يمثل المعايير الشرعية. إذا كان ساباط جامع قجماس الإسحاقي هو المثل الوحيد الباقي على العمارة الدينية الآن إلا أن الوثائق الشرعية ذكرت وجود الساباط في العمائر الدينية وأمثلتنا الساباط الرابط بين المسجد وخانقاه. من خلال هذه الدراسات للأستاذين عبد الباقي إبراهيم[٦٠] ومحمد الكحلاوي[٦١] ومن خلال زيارتنا لمدينة القاهرة لاحظنا الفرق بين ظاهرة الساباطات بالعمارة الدينية بمدن المغرب الإسلامي تحديدا بالمغرب الأوسط والأدنى وبين دور الساباط بالعمارة الدينية بمدن المغرب الإسلامي وبين نفس هذه الساباط بمدن المشرق العربي تحديدا بمصر توضح لنا الفرق؛ حيث وجدنا جامع أحمد ابن طولون(*) إبان العهد المملوكي بمصر يشغل موقع المئذنة فيه الجزء الواقع على يمين الصحن[٦٢] فوق ساباط يربط بين الصحن والمئذنة، فوقه نجد ممرا غير مسقوف بجدارين؛ حيث يمر منه المؤذن لإقامة الأذان. من خلال هذين النموذجين يتوضح لنا الفرق بين السابطات المنتشرة بمدن المغرب الإسلامي ونظيرتها بالمشرق العربي، والتي تقوم بوظيفة دينية؛ حيث وجدنا الاختلاف من حيث التخطيط المعماري ومثالنا النموذج المدروس، وهو ساباط أمالو بالمسجد والتي تحمل بيت صلاة معلقة، أما النماذج المنتشرة بالعمارة الدينية بمصر، والتي تقوم بربط الجامع بمنشأة أخرى مثل الميضأة بجامع قجماس الإسحاقي، وجامع ابن طولون حيث الساباط يقوم بوظيفة ربط الصحن بالمئذنة. ذكر عبد القادر الريحاوي في وصف الجامع بدمشق في الفترة المملوكية؛ حيث يقول: "جامع الساباط على باب تومة، هذا ما يدل على إحداث ساباط بالجامع."[٦٣] دلالة على أن الساباطات أدخلت بالعمارة المملوكية بدمشق كذلك.

أستخدم المعماري المملوكي الساباط كأهم عنصر من عناصر الاتصال والربط بين كتلتين لمنشأة واحدة، وقد انتشر استخدامه في العمارة المملوكية الدينية والمدنية، نظرا لوظيفته في تسهيل حركة الاتصال بين بنائين دون الإعاقة بحركة الطريق؛ حيث يحدث الساباط على جدارين على جانب الطريق ويعود استخدام الساباط في العمارة المملوكية الدينية إلى عنصرين أساسيين الأول يتعلق بحجم وموقع المساحة المتاحة والتي يمر بينها طريق، والثاني يتعلق بحق مراعاة الطريق النافذ.

أما عن العنصر الأول المتعلق بموقع هذه المساحة فهو الأساس إذا كان بينهما طريق، أو إذا كانت هذه المساحة غير كافية لبناء المنشأة بكامل مرافقها، مما يستوجب مساحة إضافية يستكمل عليها بقية المرافق، وقد يختلف موقع المساحة الجديدة بالنسبة للمساحة الأصلية فقد تكون مجاورة أو مقابلة لها عبر طريق نافذ وفي الحالتين يحتاج المعماري إيجاد عملية ربط بينهما، أما العنصر الثاني مراعاة حق الطريق يمثل المعايير الشرعية. إذا كان ساباط جامع قجماس الإسحاقي هو المثل الوحيد الباقي على العمارة الدينية الآن إلا أن الوثائق الشرعية ذكرت وجود الساباط.

تواجدت الساباطات بكثافة في القصبة حيث نجد معظمها؛ لأنها تكون مجاورة للمساجد، والدكاكين؛ لأنها في الغالب تحدث لتحمل مساجد أو مدارس أو زوايا، وتفتح بداخلها دكاكين أو ورش تستغل للصناعات المحلية في تلك

الفترة.[٦٤] هذا يعني أنها كانت تؤدي وظيفة دينية من جهة، كما احتوت على دكاكين وكذلك لحماية المصلين من حرارة الشمس ومياه الأمطار، كما كان تواجدها أقل كثافة في المناطق الواقعة في مركز المدينة، هذا يعني أنها كانت تتواجد قرب المساجد أكثر منها قرب الأسواق، كما أن تواجدها بالقصبة؛ أي بالأحياء يكون بغرض السكن غالبا هذا ما يفسر أن إحداثها كان نتيجة عوامل اجتماعية، وعادة ما نلاحظ أن الطبقة المتوسطة هي التي تقطن بالقصبة وتفرض عليها الظروف الاجتماعية من زيادة أفراد الأسرة إلى إحداث غرف للتوسع والتي تحدث في الغالب فوق الساباطات، كما لاحظنا أن المنطقة التي تسكنها طائفة اليهود خالية تماما من الساباطات، هذا ما يؤكد أن للساباطات علاقة بالجانب الديني العقائدي.

التسمية:

تأخذ الساباطات بدورها اسم قبيلة أو عشيرة أو عائلة مثل: ساباط العجم. كما قد تنسب الى الأولياء الصالحين المدفونين مثل ساباط سبع رقود أو تطلق عليها أسماء يمتد جذورها في الثقافة المحلية، كما تطلق عليها أسماء بعض الحكام أو الخلفاء، وقد ترتبط أسماء هذه الساباطات ببعض الصناعات والحرف، مثل ساباط العطارين وقد تطلق كذلك نسبة لأسماء بعض الزوايا.

أولا: - ساباط مسجد آمالو(*): (انظر الصور رقم(٠١)) و(المخططات رقم(١)،(٢)،(٠٣)،(٠٤)).

الموقع: يقع الساباط بقرية آمالو ببجاية.

المقاسات:

- الطول: ٢,٤٦ م.

- **مقاسات المدخل الأول من الجهة الجنوبية:** (انظر الشكل رقم (٠١)).

- العرض: ٢,٤٠م.

- الارتفاع: ٣,٥٥م.

- **مقاسات المدخل الثاني من الجهة الجنوبية:** (انظر الشكل رقم (٠١)).

- العرض: ١,٥٠م.

- الارتفاع: ٣,١٠م.

- **مقاسات المدخل من الجهة الغربية:** (انظر الشكل رقم (٠٢)).

- العرض: ٢,١٦م.

- الارتفاع: ٤م.

- **مقاسات المدخل من الجهة الشرقية:** (انظر الشكل رقم (٠٤)).

- العرض: ٢,١٦م.

- الارتفاع:٣,١٠م.

التسمية: سمي بهذه التسمية نسبة لاسم قرية "أمالو"

الوصف:

الساباط مستطيل الشكل؛ حيث يصل طوله قدره ٢,٤٦ مترا (انظر المخطط رقم (٠١))، يفتح المدخل الأول من الجهة الشرقية بعرض قدره ٢,١٦ مترا، وارتفاع بلغ ٣,١٠ مترا (انظر المخطط رقم (٠٢))،كما يفتح المدخل الثاني من الجهة الغربية بعرض يبلغ ٢,١٦ مترا وبارتفاع يصل أربعة أمتار (انظر المخطط رقم (٠٤)).

كما فتح بالجهة الجنوبية مدخلين (انظر الشكل رقم (٠١)،(٠٢)) الأول وصل عرضه

٢,٤٠ مترا وبلغ ارتفاعه ٣,٥٥ مترا والذي يعد مدخلا رئيسا، بينما فتح المدخل الثاني والذي اعتبر مدخلا ثنائيا، كما بلغ عرضه ١,٥٠ مترا، ووصل ارتفاعه إلى ٣,١٠ مترا.

فتح بالجدار الأول بابين الأول يؤدي عبر السلالم إلى بيت الصلاة المعلقة؛ حيث بلغ عرضه ٠,٩٠ مترا، كما وصل ارتفاعه٢,٥٣مترا، الباب له درجين بلغ عرض الدرج الأول ١,٢٤ مترا، وقدر ارتفاعه بـ ٠,٨٥ مترا بينما وصل عرض الدرج الثاني ٠,٥٤ مترا، ووصل ارتفاعه ٠,٥٤مترا. كما فتحت بابا ثانية من الجهة الغربية تؤدي إلى غرفة مربعة كان يتم فيها عقود الزواج والطلاق، وفض النزاعات والخلافات بين أفراد الجماعة، وصل عرض المدخل الثاني الى ٠,٨٢مترا، وقدر ارتفاعه ب١,٩٠مترا، قدرت المسافة بين البابين الأول والثاني ب: ١,٤٦ مترا، كما وجدت دكة أولى من الجهة الشمالية بلغ عرضها ٠,٥٤ مترا وطولها وصل ١,١٠ مترا، كما مجدت دكة ثانية قدر عرضها ٣,٣٨مترا وبلغ طولها ٠,٤٢مترا.

أحدثت دكة بالجدار الثاني من الجهة الغربية بلغ طولها ٣,٣٨ مترا كما قدر عرضها ب: ٠,٤٦ مترا، كما أقيمت دكة أولى بالجدار الثالث من الجهة الجنوبية بلغ طولها ٣,٧٠ مترا، وقدر عرضها ٠,٤٨مترا ،وأنشئت دكة ثانية بطول ٣,٥٠مترا وعرضه ١,٩٦مترا.

كما أقيمت دكة بالجدار الرابع وتحديدا بالجهة الشرقية بطول وصل ١,١٠مترا، وعرض بلغ ٠,٣٤ متر، أحدثت أربع أعمدة بالجدار الرابع من الجهة الجنوبية والتي بنيت من الحجارة، أحدث السقف من خشب الصنوبر وعصد الزيتون،

ورمم السقف من الجهة الشرقية بالحجارة، كما بلطت أرضية الساباط بالحجارة، ويعتبر بحالته المتوسطة.

تقنية البناء:

طريقة المداميك العمودية المنتظمة: (انظر الصورة رقم (٠٤)).

ينظم الآجر بشكل أفقي بطريقة مداميك متراكبة متكررة محكمة التنظيم؛ حيث أن الملاط يبدو كطبقات عمودية بين المداميك[٦٥].

الزخرفة المعمارية:

الأعمدة: (انظر الصورة رقم (٠٣))

استعملت في البداية أعمدة كانت تنقل من المعابد، ثم اكتسبت العمارة الإسلامية الأعمدة، وابسطها التي على شكل ناقوس، امتازت بالبساطة، ونسبة ارتفاعها ١٢ متر للقطر[٦٦]، وجدنا أعمدة من الحجارة وعددهاأربعة.

الدكـــة : (انظر اللوحة رقم (٥)) المسطبة كما تسمى بالمقعد المبني من الحجر أو من الرخام في العمائر الدينية وعادة ما تصنع من الخشب؛ حيث يجلسون عليها بالأسواق لعرض وبيع البضائع، وتكون مرتفعة عن مستوى المكان(٣).

الاستمارة الإحصائيـة

- موقـع الساباط: يقع في قرية آمالو.

- ملاحظات حول الساباط:

أ- اسم الساباط: ساباط آمالو، (انظر المخططات رقم (01)، (02)، (03)، (04)).

ب- نبذة تاريخية:

جـ- المراجـع والبيبلوغرافيـا:

د- إنجاز المخططات والأشكال والصور: من إنجاز الطالب.

1- نوع ملكية الساباط:

- خاصـة. ☐
- بلديـة. ☒
- حكومية ☐

2- نوع ملكية المقسمين على جانب الساباط:

- نفـس المـالك. ☒
- مالكين مختلفين. ☐
- آخـريـن. ☐

3- نوع الشاغل للساباط:

- مـالك. ☒
- مستأجر. ☐
- عدة مالكين. ☐
- آخـرين. ☐

4- نوع المحور المقام عليه الساباط:

- محور زنقة أو طريق غير نافذ. ☐
- محور درب. ☐
- محور شارع . ☒

5- نوع الاستعمال الحالي:

- سكن. ☐
- تجارة. ☐
- مسجد. ☒
- متحف. ☐
- آثار ودمار ☐
- أنشطة أخرى. ☐
- مصلى ☒

6- نوع الاستعمال الأصلي:

- سكن. ☐
- تجارة. ☐
- أنشطة أخرى. ☐
- مسجد. ☐
- متحف. ☐
- مصلى. ☒

7- الشكل:

- مربع. ☐
- مستطيل. ☒
- شبه منحرف. ☐
- شكل غير منتظم. ☐

8- أبعاد الساباط:

- الطـول. (29.5م)

شرقا – غربا

- العرض() – ()
- الارتفاع.() – ()

9- علاقة الساباط بمدخل المنزل:

- المدخل تحت الساباط . ☒
- المدخل خارج الساباط. ☐

10- قابلية التوزيع للقطعة:

- من خلال شارع واحد. ☐
- من خلال شارعين. ☐
- من خلال شارع وزنقة. ☐
- من خلال زنقة . ☐
- من خلال درب. ☐

مقـالات

11- خاصية المشاركة مع الجوار:

- لا توجد أي ضلع مشتركة. ☐
- توجد ضلع مشتركة. ☐
- توجد ضلعان مشتركتان. ☐
- توجد ثلاث أضلاع ☒

12- واجهات الساباط:

- الواجهات العمودية على الشارع والمطلة عليه:
- متماثلتين. ☐ - مختلفتين. ☒
- تحويان نوافذ. ☐ - لا تحويان نوافذ. ☐
- الواجهتان الموازيتان للشارع واللتان تقعان تحت الساباط:
- متماثلتين. ☐
- تحويان نوافذ. ☐

13- الأهمية المعمارية للساباط:

- استثنائي. ☐
- مهم جدًا. ☒
- مهم. ☐
- بدون أهمية. ☐
- للهدم. ☐

14- اصطفاف أو تراصف الساباط:

- مستمر. ☐ - مستمر جزئي. ☐
- متراجع. ☒ - متراجع جزئي. ☐
- متقدم. ☐ - متقدم جزئي. ☐

15- ارتفاع الساباط:

- أرضي. ☐
- أرضي + أول. ☒
- أرضي + ثاني. ☐
- أكثر. ☐

16- وجود الساباط:

- أساسي وجد مع بناء القطعة. ☒
- وقع إضافة الساباط فيما بعد. ☐

17- علاقة المبني/غير المبني:

- كامل القطعة مبنية. ☒
- المحيط مبني. ☐
- مبني من ثلاث جهات. ☐
- مبني على جهتين مختلفتين. ☐
- أشكال أخرى. ☐

18- شكل وسط الدار:

- مربع. ☐
- مستطيل. ☒
- أشكال أخرى. ☐

19- موقع الساباط بالنسبة لواجهة القطعة المبنية والمطلة على الشارع:

- على كامل الواجهة. ☒
- على جزء من الواجهة. ☐

20- توجيه الساباط:

- شمال. ☐ - شرق. ☒ - جنوب. ☒ - غرب. ☒
- شمال شرق. ☐ - جنوب شرق ☐ - جنوب غرب ☐ - شمال غرب ☐

21- داخل الساباط:

- فضاء واحد. ☐
- فضاءان. ☐
- ثلاث فضاءات. ☒

22- استخدام فضاء الساباط:

- غرفة. ☐
- مطبخ. ☐
- قاعة جلوس. ☐
- مقر قيادة. ☐
- سطح. ☐

ساباط مسجد آمالو بمدينة بجاية المحدث نتيجة عوامل دينية (أنموذجا)

23- وصف الساباط من الخارج:

- النوافذ. ☒
- الإطار. ☒
- الشبكات المعدنية. ☒
- الكورنيش. ☐
- ظلة. ☐
- العوارض الخشبية ☒
- عناصر أخرى. ☐

24- وصف الساباط من الداخل:

- النوافذ. ☐
- الأبواب. ☒
- الإكساء الداخلي. ☐
- الإطار. ☐
- الشبكات المعدنية. ☐
- البورسلان. ☐
- كورنيش. ☐
- عناصر أخرى. ☐
- دكة ☒

25- أرضية الساباط:

- من الرمل. ☐
- قبو طولي ☐
- من الحجر. ☒
- من التراب. ☐

26- حالة الساباط:

- جيد. ☐
- متوسط. ☒
- سيء. ☐
- خراب. ☐

27- السقف:

- عوارض من الخشب. ☒
- عقود متقاطعة. ☐
- من الرمل. ☐
- من الحجارة. ☒
- قصب. ☐

28- حالة العناصر الحاملة للساباط:

- جدران. ☒
- أعمدة. ☐
- مختلطة. ☐

29- عناصر مشوهة للساباط:

- تمديدات الشبكات. ☐
- ميازيب المياه. ☒
- عناصر أخرى. ☐
- لا شيء ☐

30- أضرار تموضع على الساباط:

- صعود الماء من الأرض. ☐
- تسرب الماء من السطح. ☐
- تسرب الماء من الجدران. ☐
- زوابع رملية. ☐
- لا شيء ☒

الصورة رقم (01)/ مدينة بجاية-
(ساباط مسجد آمالو).

الصورة رقم (02)/ مدينة بجاية-
(المدخلان من الجهة الجنوبية للساباط).

الصورة رقم (03)/ توضح عمود بسيط
من الحجر

الصورة رقم (04)/ ساباط آمالو-
طريقة المداميك المنتظمة

الصورة رقم (05)/ توضح وجود دكة
بداخل الساباط.

الصورة رقم (06) / ساباط مسجد آمالو-
سقف مسطح بخشب شجرة الصنوبر.

(من إنجاز طالب)

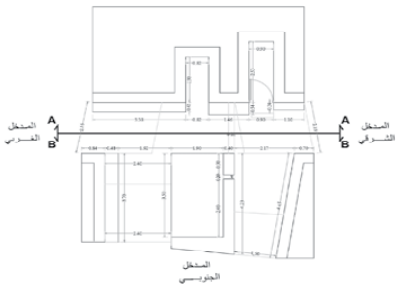

مخطط عام (01)/ساباط بجاية.

مخطط رقم (02)/ ساباط بجاية.-السقف.

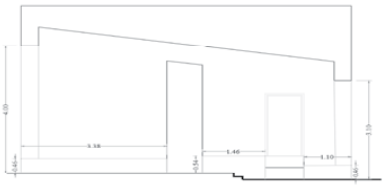

مخطط رقم (03)/ ساباط بجاية -مقطع 01.

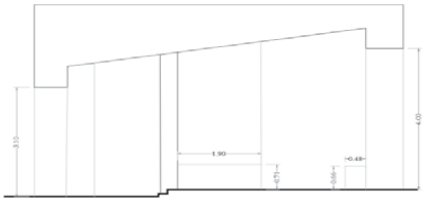

مخطط رقم (04)/ ساباط بجاية -مقطع 02.

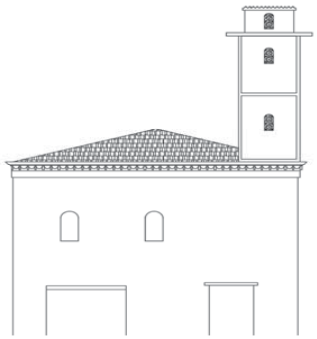

شكل رقم (01)/ ساباط بجاية -المدخل من الجهة الجنوبية.

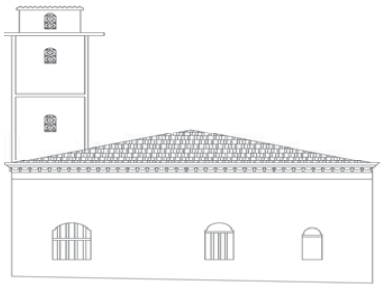

شكل رقم (02)/ ساباط بجاية -المدخل من الجهة الشمالية.

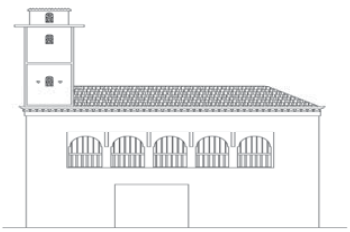

شكل رقم (03)/ ساباط بجاية -المدخل من الجهة الغربية.

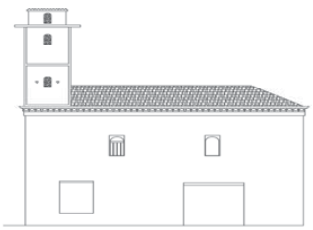

شكل رقم (03)/ ساباط بجاية -المدخل من الجهة الشرقية.

(من إنجاز طالب)

الخلاصة :

لقد حاولنا من خلال هذا البحث التوصل إلى التعريف بظاهرة الساباطات عموما، وفي مدن المغرب الأوسط والمغرب الأدنى بشكل خاص؛ وذلك بالاعتماد على التعريفات اللغوية المتعددة وكذلك من خلال الدراسات الفقهية، إضافة إلى تتبع السياق التاريخي لظاهرة الساباطات في العمارة الإسلامية، كما سعينا لشرح الأحكام والقوانين الفقهية المتعلقة بظاهرة الساباطات بعد جمعها والتي تعد مختلفة؛ لأنها تابعة لأكثر من مذهب.

كما حاولنا جمع المعلومات الخاصة بالاستمارة الإحصائية من خلال الدراسة التحليلية، للوصول لمعرفة معطيات النماذج المدروسة، واستطعنا تنميط الساباط حسب محاور الحركة بالمدينة خلال الفترة الإسلامية؛ حيث أن هناك عوامل تاريخية، وسياسية واجتماعية واقتصادية ودينية كان لها التأثير المباشر في ظهور الساباطات بهذه المدينة؛ حيث كانت تربط الدور والأحياء ومن ثم كان لها أثرها الإيجابي بالنسيج العمراني للمدينة، والذي أثر بشكل واضح على الحالة الاجتماعية للناس.كما نلاحظ الدور الديني الذي كانت تلعبه هذه الظاهرة في حملها لبيوت الصلاة المعلقة والمدارس القرآنية والزوايا بمختلف مدن المغرب الإسلامي.

الملاحظ من خلال الدراسة الميدانية وكذلك من خلال المخططات للمدينة، أن كثافة الساباطات تكون بالجوار من المساجد، وهذا مرتبط بالوازع الديني؛ حيث يتجمع الناس بعد الصلاة في هذه الأماكن، كما أن بيوت الصلاة المعلقة لمسجد آمالو بمدينة بجاية كان يحمله ساباطا، ووجود ساباط جنب جامع الزيتونة مثلا، ووجود أضرحة جنب الساباطات أو داخلها بمدن المغرب الإسلامي كما كانت تحمل مدارس وزوايا قرآنية أيضا، وأن هذه الكثافة للساباطات كانت تتناقص كلما اقتربنا من الأحياء التي كانت تسكنها الطائفة اليهودية والمسيحية؛ حيث وجدنا ساباطا واحدا بباب الجديد بمدينة تونس؛ حيث تواجد الجالية المسيحية.

الهوامش

(١) سعيد (ناصف)، المدينة الإسلامية، دراسة في نشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ٢٠٠٥، ص ٦٢.

(٢) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي المصري (ابن منظور)(ت.٧١١هـ-١٣١١م)، لسان العرب المحيط، ج٣، تقديم: عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف (خياط)، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ص ٨٧، حرف السين، فعل سبط.

(٣) محمد بن أبي بكر (الرازي)، مختار الصحاح، ط٤، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى، الجزائر، ١٩٩٠، باب السين، ص١٨٨، فعل سبط.

(٤) المعلم بطرس (البستاني)(ت:١٣٠٣هـ)، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٣٩٣، باب السين، فعل سبط.

(٥) ياقوت (الحموي)، (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله) (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، مج٣، دار صادر، بيروت، د.ت.، ص ١٦٦، باب السين والألف وما يليهما.

(٦) سامي (نـوار)، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ٩١، حرف السين.

(٧) عبد الرحيم (غالب)، جروس (پرس)، موسوعة العمارة الإسلامية، عربي – فرنسي- انكليزي، بيروت،(١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ص٢١٧، حرف السين.

(٨) محمد (أمين)، ليلى علي (إبراهيم)، المصطلحات المملوكية في الوثائق المعمارية (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ)،(١٢٥٠ – ١٥١٧ م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٨٨، قائم، قبب، قبر، قبة.

(٩) عاصم محمد (رزق)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية،ط١، مكتبة مدبولي،٢٠٠٠، ص ١٤٧، حرف السين.

(١٠) جميل عبد القادر (أكبر)، عمارة الأرض في الإسـلام، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، ط٣، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ص٢٢، ٢٨.

(١١) سعد عبد الكريم (شهاب)، أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية(دراسة تحليلية مقارنة)،ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص ١٥٢، ١٥٣.

(١٢) سعد عبد الكريم (شهاب)، بلدة القصر وآثارها الإسلامية، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٧٥، ٨٦، ٨٧.

(١٣) سعيد (ناصف)، المرجع السابق، ص ٦٥.

(١٤) إلهام حسين (دحدوج)، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالي (٤٤٢-٦٦٥هـ)– (١٠٥١ -١٢٤٧م)، رسالة للحصول على درجة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والدراسات، جامعة القاهرة،(١٤٢١هـ-٢٠٠٠ م)، ص ٢٨.

(١٥) جميل عبد القادر (أكبر)، المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(١٦) محمد عبد الستار (عثمان)، عمارة سدوس التقليدية، دراسة أثرية معمارية، دراسة حالة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ١٤٩.

(١٧) سعد (شهاب)، بلدة القصر ،المرجع السابق ،ص ٧٨، ٨١.

(١٨) جميل عبد القادر (أكبر)، المرجع السابق، ص ١١.

(١٩) ر.ب(سرجنت)، المدينة الإسلامية، ترجمة: أحمد محمد (تعلب)، اليسكومورافجر، اليونسكو، ١٩٨٣م، ص ١٠٤ .

(٢٠) جميل عبد القادر (أكبر)، المرجع السابق، ص ٢١١.

(٢١) كارل (بروكلمان)، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط٥، نقله إلى العربية نبيه أمين (فارس)، دار العلم للملايين، بيروت، تموز١٩٦٨م، ص ٢٩٦.

(٢٢) سيدي محمد (بيرم)، رسالة في تحقيق المناط في عدم إعادة الساباط، تحقيق: مراد (الزبيدي)، مخطوط رقم ١٨١٥٦، مجلة " قراءات في الفكر المعماري والعمراني العربي والإسلامي"، منشورات فقهاء تونس، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ورقة رقم ٤٠١.

(٢٣) أحمد بن علي ابن حجر (العسقلاني)، (ت.٨٥٢هـ/١٤٤٧م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أخرجه وصححه وحققه: محب الدين

(الخطيب)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد (عبد الباقي)، راجعه: قصي محب الدين (الخطيب)، ط ١، ج ٤، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٣٠، ١٣١.

(٢٤) بروكلمان (كارل)، المرجع السابق ص ٢٩٧.

(٢٥) صالح محمد (علي)، معالم بغداد الإدارية والعمرانية، دراسة تخطيطية، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، العراق، ١٩٨٨م، ص ١٧، ١٨.

(٢٦) سيدي محمد (بيرم)، المخطوط السابق ،ص ٤٠٢.

(٢٧) عبد الرحيم (غالب)، المرجع السابق، ص٢١٧، حرف السين.

(٢٨) المسجد الجامع بقرطبة: كان من أعظم المساجد وأكبرها بناه عبد الرحمن الداخل في الجهة المقابلة لقصر الإمارة، أنفق عليه ثمانين ألف دينار، كان جامعة إسلامية يدرس فيه العلوم الدينية واللغوية، ويغو إليه الطلاب للدرس والتحصيل، وأطلق عليه عبد الواحد المراكشي " الجامع الأعظم " انظر:

- السيد عبد العزيز (سالم)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، (دراسة تاريخية، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)، ج ٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٩٧.

(٢٩) كارل (بروكلمان)، المرجع السابق، ص ٢٩٦

(٣٠) الحكم المستنصر بالله(٣٥٠/٣٦٦هـ-٩٦١/٩٧٦م)، بعد وفاة عبد الرحمن الثالث تولى الحكم ابنه (الحكم الثاني) المستنصر بالله سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م)، وذلك بعد أن ترك له أبوه دولة قوية مستقرة، في عهده سكتت الفتنة، انظر:

- إبراهيم (فرغلي)، تاريخ وحضارة الأندلس، ط ١، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص ١٠٠.

(٣١) المقصورة: هي الدار أو المكان المحصن بالحيطان، والمقصورة لا يدخلها إلا أصحابها، ويرد في الوثائق للدلالة على مقام الإمام أمام المحراب، انظر:

- محمد محمد (أمين)، ليلى (ابراهيم)، المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٣٢) أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (المقري)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، حققه: إحسان (عباس)، دار صادر، بيروت، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٥٥٠.

(٣٣) مانويل جوميت (مورينو)، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: لطفي (عبد البديع)، السيد محمود عبد العزيز (سالم)، راجعه: جمال محمد (محرز)، دار الكاتب العربي، مصر، ١٩٨٨م، ص ٧٠ .

(٣٤) فريد (الشافعي)، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، مج ١، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر ١٩٧٠، ص ٣٥٧.

(٣٥) محمد عبد الستار (عثمان)، موسوعة العمارة الفاطمية، العمارة الفاطمية " الحربية- المدنية- الدينية"، ط١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٧٣ .

(٣٦) سيدي محمد (بيرم)، المخطوط السابق، ورقة رقم ٤٠٢.

(٣٧) لخلوة: الدور الأرضي للمسجد يستخدم للصلاة عادة في فصل الشتاء اتقاء البرد، والأصل في الخلوة أن عمر بن الخطاب اتخذ رحبة في ناحية المسجد لقراءة القرآن، انظر:

عبد الستار(عثمان)، عمارة سدوس التقليدية، المرجع السابق، ص ٩٦ .

أبو رحاب، المرجع السابق، ص ٤٦٥

(٣٨) محمد السيد محمد (أبو رحاب)، المدارس المغربية في العصر المريني، دراسة أثرية معمارية، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ، ص ٢٧١، ٢٩٠.

(٣٩) عبد الستار (عثمان)، عمارة سدوس، المرجع السابق، ص ٥، ١٦٥.

(٤٠) عبد الكريم (شهاب)، بلدة القصر وآثارها الإسلامية، المرجع السابق، ص ٧٩، ٨٠ .

(٤١) محمد عبد الستار (عثمان)، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس ١٩٨٨م،ص ١٨٥ .

(٤٢) نفسه، ص ١٦٧ .

(٤٣) القيرواني (محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد) (ت:٣٨٦هـ-١٢٨٥م)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ط ١، تحقيق: محمد عبد العزيز (الدباغ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩م ص ٤٣، ٤٤.

(٤٤) (أبي الوليد ابن رشد (القرطبي) (ت: ٥٢٠ هـ-١١٢٦م)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة، ط٢، ج٩،تحقيق: أحمد (الحبابي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٢٩٨، ٢٩٩ .

(*)الذراع: (الروماني أو الهاشمي) يساوي نحو ٦٧ سنتيمتر. انظر: - الحسن (الوزان)، المصدر السابق، ص٢٤.

(٤٥) أبي القاسم بن احمد البلوي التونسي (البرزلي) (ت:٨٤١ هـ-١٤٣٧م)، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، ط١، ج٤، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب (الهيلة)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٣٨٩، ٣٩٩.

(٤٦) الذراع: ما يذرع به حديد كان أو قصيبا، والذراع طرف المرفق إلى طرف الاسبع الوسطى استخدم ابن الرامي مصطلح ذراع كوحدة قياس طولية، فقال: الميل عشرة غلا، والغلوة مائتا ذراع ففي الميل ألف باع وهي ألفا ذراع، باع الإنسان وهو طول ذراعيه وعرض صدره، فأربعة أذرع وهو القامة، انظر:

- أبو عبد الله محمد بن براهيم اللخمي (ابن الرامي)، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق ودراسة: فريد (بن سليمان)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٩٩ ص ١٦٧ .

(٤٧) تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (المقريزي)، (ت: ٨٤٥هـ-١٤٤١م)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج٢، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص ١١٩

(٤٨) محمد (بيرم)، المخطوط السابق، ورقة رقم ٠٢٩٠.

(٤٩) نفسه، ورقة ٠٢٩١ .

(٥٠) صالح بن علي (الهذلول)، المدينة العربية الإسلامية أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، ط٢، دار السهن، الرياض (١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ٢٠،٢٦.

(٥١) (جميل عبد القادر (أكبر)، المرجع السابق، ص٢٥.

(*) الجائز العادي: القطعة الحجرية الحاملة للجدار فوق فتحة الباب .انظر:

- نعمه (أنطوان) وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط ١، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٣٢٨.حرف ج

(٥٢) عبد الناصر (عمايري)، سيباط بين البحرتين، رسالة ماجيستير في الهندسة المعمارية اختصاص ترميم، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥، ص٧١.

(٥٣) أحمد بن علي ابن حجر (العسقلاني)، المصدر السابق، ص١٣١،١٣٠.

(٥٤) عبد الباقي (إبراهيم)، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية، مركز الدراسات، ص٢٠.

(٥٥) مصطفى أحمد (بن حموش)، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني بالجزائر

٩٥٦هـ-١٢٤٦هـ/١٥٤٩م-١٨٣٠م،، ط.٢، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.فقه العمران ص٢٩.

(*)- الخاناقاه: كلمة فارسية معناها بيت وجعلت في الأول لانقطاع الصوفية فيها للعبادة والذكر، ومع تطور التصوف في العصر المملوكي ومع تطور العمارة تطور مفهوم الخاناقاه فأصبحت: مسجد أو مدرسة أو مسكن للطالبة انظر:

- محمد (أمين) وليلى (إبراهيم)، المصطلحات المملوكية في الوثائق المعمارية (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ)،(١٢٥٠ – ١٥١٧ م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية القاهرة، ١٩٩٠، ص٣٩.

(٥٦) أبو حامد المقدسي (الشافعي)، الفوائد النفسية الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة، تحقيق: آمال العمري، نقلا عن ديفيد روبيرتز، مطبعة هيئة الآثار المصرية، مصر، ١٨٣٩،ص٢.

(٥٧) ابو حامد المقدسي (الشافعي)، نفسه ،ص٤٣.

(٥٨) عبد اللطيف (إبراهيم)، سلسلة الوثائق التاريخية القومية مجموعة الوثائق المملوكية، وثيقة الأمير آخوركبيرقراقجا الحسني، مج . الثامن عشر، ج٢، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة القاهرة، ديسمبر ١٩٥٩، ص٢٢٢،٢٢٣.

(٥٩) نفسه، ص،٢٢٥،٢٢٤.

(٦٠) عبد الباقي (إبراهيم)، المرجع السابق ص٢٠.

(٦١) محمد الكحلاوي أثر مراعاة اتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق على مخططات العمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة، ع.٧، مجلة كلية الآثار، مجلة سنوية في أثار وحضارة مصر والشرق، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م،ص،١٣٠،١٢٩.

(*)جامع أحمد ابن طولون: بدأ ابن طولون في بناء جامعه سنة٢٦٣هـ- ٨٧٦م بعد ضيق جامع العسكر بالناس، وكمل بناؤه سنة ٢٦٥هـ-٨٧٩م مابينه الخط الكوفي المكتوب على اللوحة التأسيسية، انظر:

فريد (الشافعي)، المرجع السابق،ص٤٦٣،٤٦٤.

(٦٢) (الشافعي) نفسه، ص ٤٦٣.

(٦٣) عبد القادر (الريحاوي)، دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، ط.٢، دار البشائر، دمشق، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٧٨.

(٦٤) حياة (مكي)، ساباطات أحياء مدينتي الجزائر وقسنطينة (دراسة نموذجية، أثرية، معمارية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأثار الإسلامية ،تخصص أثار عثمانية، كلية العلوم الإنسانية، معهد الأثار، جامعة الجزائر ٢، (٢٠١٠-٢٠١١م)،ص٨٦.

(٦٥) عبد العزيز(لعرج)، المباني المرينية في امارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية وفنية، رسالة دكتوراه دولة في الأثار الإسلامية، جامعة الجزائر وجامعة السوربون الأولى بباريس، ١٩٩٩، ص ٦٦٤، ٦٦٥ .

٢) حمد (عبد الجواد)، تاريخ عمارة العصور المتوسطة الأوروبية والإسلامية، ط١، ج٢، تنسيق وترتيب: صباح السيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٣٠٨.

٣) محمد محمد (أمين) وليلى(ابراهيم)، المرجع السابق، ص٤٨،٤٧.

المصـادر والمراجع

- بيرم (سيدي محمد)، مخطوط رقم ١٨١٥٦، دار الكتب الوطنية، تونس.

- ابن الرامي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي) (ت:٧٣٤هـ)، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق ودراسة: فريد سليمان، تقديم عبد العزيز الدولاتلي، مركز النشر الجامعي، ١٩٩٩م.

- ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم) (ت:٧١١هـ-١٣١١م)، لسان العرب المحيط، ج٣، تقديم: عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف (خياط)، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي)، (ت:٨٤١هـ-١٤٣٧م)، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام،ط١،ج٤،تقديم وتحقيق: محمد الحبيب (الهيلة)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

- البستاني (المعلم بطرس) (ت:١٣٠٣هـ)، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٨٧م.

- الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله) (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، مج٣، دار صادر، بيروت، د.ت.

- الشافعي (ابي حامد المقدسي)، الفوائد النفسية الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة، تحقيق: آمال العمري، نقلا عن ديفيد روبيرتز، مطبعة هيئة الآثار المصرية، مصر، ١٨٣٩.

- العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)، (ت.٨٥٢هـ/١٤٤٧م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أخرجه وصححه وحققه: محب الدين (الخطيب)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد (عبد الباقي)، راجعه: قصي محب الدين (الخطيب)، ط ١، ج ٤، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٨.

- القرطبي (أبو الوليد بن رشد)(ت:٥٢٠هـ-١١٢٦م)، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة، ط٢، ج٩،تحقيق: أحمد (الحبابي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

- القيرواني (محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد) (ت:٣٨٦هـ-١٢٨٥م)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، ط ١، تحقيق: محمد عبد العزيز (الدباغ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩م.

- المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، حققه: إحسان (عباس)، دار صادر، بيروت، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

- المقريزي (أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي)، (ت: ٨٤٥هـ-١٤٤١م)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج٢، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

- إبراهيم (عبد الباقي)، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ،جمهورية مصر العربية جمادى الأول ١٤٠٢هـ-مارس ١٩٨٢م.

- أبو رحاب (محمد السيد محمد)، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين دراسة أثرية معمارية، دار القاهرة،القاهرة، ٢٠٠٨م.

- أبو رحاب (محمد السيد محمد)، المدارس المغربية في العصر المريني، دراسة أثرية معمارية، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, الإسكندرية، ٢٠١١.

- أكبر (جميل عبد القادر)، عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، ط٣، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، ١٤١٩هـ.

- بروكلمان (كارل)، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط٥، نقله إلى العربية نبيه أمين (فارس)، دار العلم للملايين، بيروت، تموز١٩٦٨م.

- بن حموش (مصطفى أحمد)، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني بالجزائر ٩٥٦هـ-١٢٤٦هـ/١٥٤٩م-١٨٣٠م،، ط.٢،دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- الريحاوي (عبد القادر)، دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، ط.٢، دار البشائر، دمشق، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- سالم (عبد العزيز)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، ج٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.
- سرجنت (ر.ب)، المدينة الإسلامية، ترجمة: تعلب (احمد محمد)، السيكومورانجر، اليونسكو، ١٩٨٣م.
- الشافعي (فريد)، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، مج ١، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر ١٩٧٠.
- شهاب (سعد عبد الكريم)، أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية(دراسة تحليلية مقارنة)،ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٩م.
- شهاب (سعد عبد الكريم)، بلدة القصر وآثارها الإسلامية، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- عبد الجواد (توفيق حمد)، تاريخ عمارة العصور المتوسطة الأوروبية والإسلامية، ط١، ج٢، تنسيق وترتيب: صباح السيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- عبد الستار(محمد عثمان)، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس ١٩٨٨م.
- عبد الستار(محمد عثمان)، عمارة سدوس التقليدية، دراسة أثرية معمارية، دراسة حالة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- عبد الستار (محمدعثمان)، موسوعة العمارة الفاطمية، العمارة الفاطمية (الحربية- المدنية- الدينية)، ط١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- عميري (إبراهيم)، مواد وتقنيات العمارة القديمة، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢٠١٠م.
- علي (صالح محمد)، معالم بغداد الإدارية والعمرانية دراسة تخطيطية ط١، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، العراق، ١٩٨٨م.
- فرغلي (إبراهيم)، تاريخ وحاضرة الأندلس، ط١، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م
- ناصف (سعيد)، المدينة الإسلامية، دراسة في نشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ٢٠٠٥م.
- الهدلول (صالح بن علي)، المدينة العربية الإسلامية - أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، ط٢، دار السهن، الرياض، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- إبراهيم علي (عبد اللطيف)، سلسلة الوثائق التاريخية القومية مجموعة الوثائق المملوكية، وثيقة الأمير آخوركبير قراقجا الحسني، مج .الثامن عشر ،ج٢،مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة القاهرة، ديسمبر ١٩٥٩.
- الكحلاوي (محمد محمد) ،أثر مراعاة إتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق على مخططات العمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة، ع .٧ ،مجلة كلية الآثار، مجلة سنوية في أثار وحضارة مصر والشرق، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م.
- أمين (محمد محمد)، إبراهيم (ليلى علي)، المصطلحات المملوكية في الوثائق المعمارية (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ)، (١٢٥٠ – ١٥١٧ م)، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠.
- رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط١، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م.
- غالب (عبد الرحيم)، جروس (بـروس)، موسوعة العمارة الإسلامية عربي- فرنسي- انجليزي، ط١،، بيروت، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- نعمة (انطون)، مـدور (عصام)، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط١، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٠م.
- نوار (سامي محمد)، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

ساباط مسجد آمالو بمدينة بجاية المحدث نتيجة عوامل دينية (أنموذجا)

- دحـدوج (إلهام حسين)، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيـام الـدولـة الحفصية حوالي (٤٤٢-٦٦٥هـــــــ/١٠٥١-١٢٤٧م)، أطـروحـة دكتوراه، كلية الآداب للدراسات، جامعة القاهرة، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- عمايري (عبد الناصر)، سيباط بين البحرتين، رسالة ماجيستير في الهندسة المعمارية إختصاص ترميم، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق ،٢٠٠٤، ٢٠٠٥.
- لعرج (عبد العزيز)، المباني المرينية في امارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية وفنية، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر وجامعة السوربون الأولى بباريس ،١٩٩٩.
- مكي هميسي (حياة)، ساباطات أحياء مدينتي الجزائر وقسنطينة(دراسة نموذجية، أثرية، معمارية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، تخصص آثارعثمانية، كلية العلوم الإنسانية، معهد الآثار،جامعة الجزائر ٢، (٢٠١٠-٢٠١١م).

كفاية الطالبين
لعُثْمَان بن عَمْر اليُونُسِي

كفاية
الطالبين
لعُثْمَان
بن عَمْر
اليُونُسِي

الدكتور إسلم بن السبتي

انواكشوط – موريتانيا

مقدمة:

حظيت بلاد شنقيط في القرنين الثاني والثالث عشر بنشاط فكري واسع، طال جميع مناحي الفكر، إبداعًا، وتعليقًا، وتلخيصًا، ونظمًا، وتطويرًا. وقد حاولت في هذا العمل إبراز جزء من ذلك الفكر، تجلي في جهد أحد الأعلام المشهورين، ومن خلال عمله الإبداعي في الدرس النحوي؛ حيث قدم للطلبة أنموذجًا متكاملاً لدراسة حروف الجر ومعانيها، وهو جزء من عمل واسع كان أحد علماء المنطقة قد أتحف به مكتبة الدراسات النحوية في هذه البلاد، ألا وهو كتاب:" فتح الرب الرؤوف في شرح قصيدة معاني الحروف " للطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي المتوفى سنة ١٢١٩هـ. وبما أن الكتاب مفقود في زماننا هذا، جاء عمل عُثْمَان بن عَمْر اليُونُسي بمثابة إحياء له، فما كان منا إلا أن اقتحمنا لجته، وحاولنا تسهيل منطوقه، وتبيان مجهوله، في محاولة لتقديمه للقارئ المتعطش لجهود الشناقطة في تيسير النحو العربي للراغبين فيه من عشاق لغة الضاد، والساهرين على إدامة تطويرها على الرغم من كثرة التشهير بها، والعزوف عن التحدث بها، وما كان لها ذلك ولن يكون، فهي لغة دستور الأمة، وقد كفل الله لها الدوام والاستمرار إلى يوم الدين.

إن علماء بلاد شنقيط قد ألفُوا كثيرًا من المؤلفات في ميدان علم النحو مما يدعونا إلى أن نعرف بها ونقدمها لأولئك الذين يجهلون هذه الجهود، فهي لا تقل عن ما قدمه علماؤنا في الأصقاع العربية والإسلامية، بل إنهم امتازوا بالأهمية التربوية التي كلما قرأت كتابًا من كتبهم، إلا ولمسته فيه، من حيث أسلوبه ولغته، وشواهده، ومنهجه. وهذه إضافة نوعية قدمها عثمان بن عمر من خلال تأليفه هذا.

ونحن إذ نقدم هذا العمل في حلته التي ارتأينا أن يلبسها، لنرجو أن يكون قد سد ثغرة في المكتبة النحوية لعلماء بلاد الشنقيط، ونهيب بالباحثين أن يوجهوا وجهتهم صوب تلك المؤلفات الكثيرة، فيحققوها ويخرجوها إلى نظرائهم في بلاد العرب والمسلمين.

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو عُثْمَان بنُ أعمر بن سيدي عثمان الملقب سيداتي بن الأمين بن الغانمي بوحرام، اليونسي[١]. وله صيغة أخرى ورد جزء منها في الشرح، والجزء الآخر في كتابه مُعين التلاميذ وهي: سيدي عُثْمَان بن عَمْر بن سيدي عثمان المعروف بسدات بن عَمْر بن الأمين بن غانم بن المختار اليونسي، ثم الرحموني[٢].

اشتغاله بالعلم:

لا تفيد المصادر في وصف صورة واضحة لسيرته العلمية، وإنما هناك إشارة يتيمة تفيد بأنه كان:

(١) منح الرب الغفور: ص٦٢، والحياة الثقافية: ص٨، وحوادث السنين: ص٣٥٧، في الهامش.

(٢) معين التلاميذ: ص٣، بزوغ الهلال. مخطوط بحوزتنا.

"كثير الاشتغال بالعلم، حريصًا عليه"[١]. كما تفيد عبارة أخرى بحسن خطه. أما الأوصاف الأخرى التي ذكرها صاحب منح الرب الغفور، فهي ولا شك تعطى لعالمنا مرتبة متميزة، فقد كان عالمًا، فقيهًا، نحويًا، منطقيًا، أديبًا، نجيبًا، حسن الفهم[٢]، وهذه ألقاب كثيرًا ما ترد في كتب التراجم، ويحتاج الباحث إلى كثير من الجهد للتدليل على كل صفة من تلك الصفات. ونحن ندلل على بعض منها في حصرنا لمؤلفاته في الفقرة الآتية.

مؤلفاته:

إن الصفات المذكورة أعلاه يعضدها ما تركه عالمنا من المؤلفات القيمة في تخصصات كانت لها أهمية بالغة في الساحة الثقافية التي عاش بها، فقد كانت مدينته ولاتة مزدهرة بالعلم والعلماء وما الشواهد على ذلك ببعيد[٣]. وقد شارك المؤلف في تلك النهضة الثقافية بعدة مؤلفات، نذكرها فيما يأتي:

- فتح العلي المالك في تيسير باكورة مذهب الإمام مالك، وهو الشرح الكبير علي رسالة ابن أبي زيد القيرواني[٤]
- مُعين التلاميذ، وهو شرح موجز لرسالة ابن أبي زيد القيرواني[٥]
- فتح الرؤوف في حكم الجمل والمجرورات والظروف[٦]
- فتح الرب الجلال على بزوغ الهلال بتذييل لامية الأفعال[٧]
- فتح الرب الحكَم على لامية العجم[٨]
- كفاية الطالبين، وهو هذا العمل.
- شرح الآجرومية، شرحين[٩]
- تأليف في التوحيد[١٠]

---

(١) منح الرب الغفور: ص٦٢

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر مقالنا عن الحركة العلمية في بلاد شنقيط، مؤلفات الولاتيين، أنموذجًا. آفاق الثقافة والتراث، العدد ٩٨.

(٤) ذكره في مقدمة كتابه معين التلاميذ.

(٥) الكتاب مطبوع. ونسخه الخطية مبثوثة في مكتبات ولاتة وغيرها.

(٦) ذكر في مخطوطات غرب إفريقيا.

(٧) توجد منه نسخة في مكتبة محمد ولد أحمال بمدينة تيشيت.

(٨) توجد منه نسخة في مكتبة الإمام إزيد بيه بن الرابي بمدينة ولاتة. انظر فهرس مخطوطات النعمة وولاتة: ص٢٠٤

(٩) منح الرب الغفور: ص٦٢

(١٠) المصدر السابق.

- تأليف في الحساب[١]

- تأليف في التنجيم[٢]

- تأليف في علم الهندسة[٣]

- تأليف في التربيع[٤]

وللمؤلف مجموعة من النظم الفقهية استشهد بها في كتابه مُعين التلاميذ، ونذكر منها أنموذجًا على سبيل التمثيل، وإلا فهي كثيرة. قال[٥]: "والكعبة من مكة أفضل من بقية المدينة اتفاقا، وبقية المدينة أفضل من بقية مكة، وبقية مكة أفضل من بيت المقدس، وهو أفضل ولو من المساجد المنسوبة له صلى الله عليه وسلم، كمسجد قباء وغيره، والسماء أفضل من الأرض، وقيل بالعكس، والقفل أي الرجوع أفضل من الجوار، كما قال مالك، ونظمت هذا الحاصل فقلت:

عن كعبة بالاتفاق فضلاً ... محل روضة النبي فاعقلا
وعن سماوات وكرسي وعن ... عرش ولوح قلم بذا احكمن
ففضل كعبة يا صاح قد حكم ... به اتفاقا عندهم كما رسم
عن غير روضة من المدينة ... وهو قد فضل غير الكعبة
من مكة وذا في فضل قدما ... عن بيت مقدس وهو عن غير ما
قد مر فضلوه يا من قد عقل ... فافت بذا القول من لك سأل
وقدموا السماء في التفضيل ... عن أرضنا وقيل بالتفصيل
لأرضنا ومالك قد فضلا ... على الجوار غفلتا تأملا

وأما الأنظام اللغوية، فلها مكانتها وبخاصة في مؤلفاته اللغوية ومثال ذلك قوله[٦]: " ومطاوعة فعل، كثناه فانثنى، وموافقة فعل كحلى، واحلولى، والإغناء عن المجرد، كاعروريت البعير؛ أي: ركبته عريا.. ونظمتها فقلت:

وافعوعل أغنى به وأوجدنَّ بِه ... ثمت طاوع ووافقن به فعلا

وهو في ذلك كله ينحو منحى الشناقطة في اختيارهم النظم بوصفها أقرب وسيلة لحمل المعلومات

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق. وهذه المؤلفات الأخيرة لم أقف على شيء منها.

(٥) معين التلاميذ: ص٤٣٩

(٦) فتح الرب الجلال. مخطوط بحوزتنا.

وإيصالها للمتعلم، المنوه به في كثير من مقدمات كتبهم. فإلى جانب الآتيف البارز في مؤلفاته المذكورة يظهر ما لتلك النظم المتناثرة في معظم أعماله، فهي مشغل بارز في تفكيره، ووسيلة رائجة من وسائل التعلم لديه. ونظمه كذلك تقربه من ميدان الشعر، وإن لم أقف على شيء من ذلك، إلا أنه قد يظهر في بعض المراجع التي لم أقف عليها.

وفاته:

وبعد عمر طويل أمضاه صاحبه في نشر العلم، وتربية النشأ، توفي المرحوم عثمان بن عمر سنة ١٢٣٧هـ[١] .

تراث الحروف عند العرب والمسلمين:

للعرب والمسلمين حركة فكرية واسعة في ميدان الآتيف عن الحروف ومعانيها، سواء كانت تلك المعاني نحوية أو لغوية، وجمعوا ما استطاعوا جمعه تحت تلك العناوين، وقد حاولت ثبتَ بعضها فيما يأتي من مسرد لها ضمن المصادر التي وقفت عليها، ولم أقصد هنا جمع ما له علاقة بالموضوع المحقق وحسب، بل تجاوزت تلك العقبة إلى ما قد وقفت عليه من عناوين تخدم مضمون دراسة الحروف بشكل أعم، حتى يحصل الباحث على ما يخدم موضوع بحثه.

- الجني الداني في حروف المعاني، ابن أم قاسم المرادي
- الرسالة الفيروزية في معاني الحروف الهجائية الحسين بن عبد الله بن الحسن، ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ
- تفسير حروف اللغه الخليل بن أحمد بن عمرو، الفراهيدي المتوفى سنة١٧٠هـ[٢]
- رسالة في تحقيق معاني الحروف الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ[٣]
- رسالة في معاني الحروف التي وردت عن العرب الخليل بن أحمد، الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥هـ
- رسالة في معاني الحروف محمد بن محمد بن طرخان، الفارابي
- شرح معاني الحروف للرماني - لعلى بن فضال المجاشعي القيرواني المتوفى سنة ٤٧٩هـ[٤].
- فتح الرؤوف في معاني الحروف - للسيد كاكه أحمد البرزنجى[٥]

(١) منح الرب الغفور: ص٦٢
(٢) خزانة التراث: ٢٤٦/ ١
(٣) أبجد العلوم: ٣/ ٥٧
(٤) خزانة التراث: ١٧٥/ ١
(٥) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: ٢/ ٥٠٦

- قصيده في معاني الحروف محمد بن جابر، الاندلسي[١]

- كتاب: الحروف الستة وهي: السين والصاد والضاد والطاء والدال والذال لأبي محمد: عبد الله بن محمد البطليوسي المتوفى: سنة ٥٢١هـ[٢] .

- كتاب: الحروف والعدد وخواصهما للشيخ عبد الرحمن المغربي[٣]

- كتاب الحروف في النّحو أبي عبد الله محمد بن جعفر النّحوي المعروف بالقزّاز[٤]

- كتاب الحروف لعبد الرحمن بن أبي حماد الكوفي[٥]

- كتاب الحروف لأبي الحسن على بن حمزة ابن عبدالله البغدادي المعروف بالكسائي النحوي المتوفى سنة ١٨٩ هـ.

- كتاب الحروف في اللغة لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني الكوفي المتوفى سنة ٢١٣هـ[٦]

- كتاب الحروف للدورقي أبى الحسن علي[٧].

- كتاب الحروف أبو الربيع الزهراوي[٨].

- كتاب الحروف أبو نصر الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي المتوفى سنة ٤٨٧ هـ[٩].

- كتاب الحروف، لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ[١٠]

- كتاب الحروف تأليف عبد الرحمن بن أبي حماد الكوفي[١١]

- كتاب الحروف علي بن مهريار الأهوازي دورقي الأصل[١٢]

- كتاب الحروف في أسماء الصحابة لأبي علي بن السكن[١٣]

---

(١) فهرس مكتبة المصطفى مع الروابط: ٣/ ٤٧٣

(٢) كشف الظنون: ٢/ ١٤١١

(٣) كشف الظنون: ٢/ ١٤١١

(٤) فهرسة ابن خير ط دار الغرب: ص ٤٤٤

(٥) الفهرست: ص ٥٧

(٦) الفهرست: ص: ١٠١

(٧) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: ٢/ ٢٨٩

(٨) تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات: ٤/ ٣

(٩) فهرس شعراء الموسوعة الشعرية: ص ٤٨

(١٠) الفهرست: ص ٩٧

(١١) الفهرست: ص ٥٧

(١٢) هدية العارفين: ١/ ٣٥٧

(١٣) فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص ١٨٣

- كتاب الحروف في علم الموصوف[1]

- كتاب الحروف في علم الموصوف - للشيخ محيى الدين محمد بن على العربي.

- كتاب الحروف في معاني القرآن إلى طه[2]

- كتاب الحروف في معاني القرآن محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن ثمالة، الأزدي البصري، أبو العباس المعروف بالمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ[3]

- كتاب الحروف من الأصول والأضداد الحسن بن بشر بن بحر الآمدي أبو القاسم البصري الأديب الكاتب توفي سنة ٣٧١هـ[4]

- كتاب الحروف ميشي بن اثري البغدادي الملقب بما شاء الله المنجم المتوفى في حدود سنة ٢٢٠هـ[5]

- كتاب الحروف، أحمد بن محمد بن المظفر، الرازي[6]

- كتاب الحروف، لابن السكيت[7]

- كتاب الحروف، للخليل بن أحمد الفراهيدي[8]

- كتاب الفرق بين الحروف الخمسة الظاء والضاد والذال والصاد والسين تأليف أبي محمد بن السيد البطليوسي[9]

- لوح الذهب من كتاب الحروف، أحمد بن علي بن يوسف البوني تقي الدين أبو العباس القرشي توفي سنة ٦٢٢هـ.

- معاني الحروف، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ[10]

- معاني الحروف لعبد الحميد بن فيروز الغزنوي[11]

- معاني الحروف علي بن عيسى بن علي، الرماني المتوفى سنة ٣٨٤هـ

(١) هدية العارفين: ٢/ ٦

(٢) الفهرست: ص ٨٨

(٣) هدية العارفين: ١/ ٤٥٤

(٤) هدية العارفين: ١/ ١٤٤

(٥) هدية العارفين: ٢/ ٢٠١

(٦) حققه رمضان عبد التواب، ضمن ثلاثة كتب في الحروف سنة ١٩٨٢م

(٧) حققه رمضان عبد التواب، ضمن ثلاثة كتب في الحروف سنة ١٩٨٢م

(٨) حققه رمضان عبد التواب، ضمن ثلاثة كتب في الحروف سنة ١٩٨٢م

(٩) فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص ٣٢٣

(١٠) فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص ٢٨٨

(١١) كشف الظنون: ٢/ ١٧٢٩

- معاني الحروف عند الحكماء محمد بن الحسين بن محمد، السلمي المتوفى سنة ٤١٢هـ [١]

- معاني الحروف وأقسامها لابن العريف، أبي القاسم حسين بن الوليد النحوي المعروف بابن العريف المتوفى سنة ٣٩٠هـ[٢].

ترجمة صاحب القصيدة

- اسمه

هو عبد الله بن أبي بكر بن علي بن الشيخ، أبو محمد، الولاتي، نسبة إلى مدينة ولاتة المدينة الشهيرة.

- تعلمه:

تتلمذ على الفقيه محمد بن أبي بكر بن الهاشم، وتربى على يده حتى بلغ مرتبة من العلم، جعلته يوصف بما وصفه به مؤلف الشرح حين قال:" الشيخ الأستاذ، النحوي، الفقيه، العلامة، القاضي". بل زاد البرتلي بأنه جمع بين وظيفة القضاء، وإمامة المسجد. وهما وظيفتان لا تجتمعان إلا لمن بلغ درجة من التبحر في علوم الفقه وما تعلق به. ويزيد ذلك تأكيدًا قول البرتلي أيضًا: " وما رأيت من جمع بينهما في بلدنا إلا هُوَ، والفقيه أحمد الولى" وفي العبارة من التنويه بهذا الجمع ما يفهمه أصحاب المعرفة من صعوبة الجمع بين القضاء والإمامة في بلاد شنقيط.

ومما ساعده في تعلمه وأظهر قيمته اتصافه بصفات الإبداع في علوم الخط؛ حيث كان بارعًا فيه، محسنًا، متقنًا له.

وقد بلغ درجة من العلم وحب التعلم مرحلة جعلت منه محط رحال المتعلمين، فترة غير قليلة مما دعا ببعضهم ملاحظة مكث العلم في بيته منذ نشأة والده إلى وفاة ابن أخيه الفقيه محمد بن علي[٣].

- إجازاته:

كان علماء بلاد شنقيط يتميزون بوفرة الإجازات من طرف العلماء الكبار في العلوم، وقد أثبتت المصادر بعضًا منها، وقد كان صاحبنا ممن له الحظوة في ذلك، فقد أجازه الفقيه العلامة أبو عبد الله سيدي محمد ابن المختار بن الأعمش، الموطأ، والجامع الصحيح للبخاري، وصحيح مسلم ومختصر الشيخ خليل وتوضيحه، وألفية العراقي، والحكم لا بن عطاء الله، بعد أن أجازه أول كل شيء الحديث المسلسل بالأولية[٤].

---

(١) خزانة التراث: ١١٢/ ١

(٢) فهرسة ابن خير الإشبيلي: ص ٢٨٨

(٣) فتح الشكور: ص٢٨٧، حياة موريتانيا: ص٢١٢

(٤) المصدر السابق: ص٢٨٧

- مؤلفاته:

لم يكن صاحبنا موسوعيًا، ولا مؤلفًا كبيرًا، ولكن له بعض المشاركات البسيطة، فمن ذلك:

- فتاوى مفيدة

- قصيدة لامية في معاني الحروف. وهي التي نشتغل عليها.

- قصيدة نونية في الدعاء، وهي منفرجة عجيبة، مطلعها:

حـــمـــدت إلـــهـــي عـــلـــى الامـــتـــنـــان بـــحـــمـــد يـــوافـــي أيـــــادي الإحـــســـان

- وفاته:

توفي رحمه الله في سنة ١١٢٢هـ[1]، بعد زمن من العطاء في ميدان القضاء والتدريس.

هذا الشرح:

هذا شرح لطيف كما قال صاحبه، جاء في متناول المتعلمين من أبناء هذه البلاد القصية لقضية لا تبعد عن أبجديات الدرس النحوي، حين يبدأ المتعلم في تحصيل مادته، فلا بد له من دراسة حروف الجر لكثرة تناولها في تركيب الجمل، وكثيرًا ما يعاقب بينها، فكان هذا الشرح البين لمعانيها المتعددة التي لابد للمتعلم من تمييزها حتى تتبين أمامه السبل واضحة، والمعالم بارزة من دون خلط، ولا اختلاط.

منهج الشارح:

لقد وضح الشارح منهجه في مستهل عمله؛ حيث قال: " هذا تقرير لطيف لقصيدة الشيخ الأستاذ، النحوي، الفقيه، العلامة، القاضي، أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن علي بن الشيخ الولاتي، رحمه الله تَعَالَى التي وضعها في معاني حروف الجر، لنفع المتعلمين". وهذا المنهج هو الغالب علي أعمال الشناقطة؛ حيث لا يبتعد الشارح كثيرًا، ولا يحلق بعيدًا، وإنما يوهم بعمل متواضع، وإن كان غير ذلك، فالتواضع ديدنهم، والبساطة همهم، ومن يرى أعمالهم في مثل هذه الشروح يجدهم قد حلقوا في ميادين القرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر العربي الفصيح، وأمثال العرب وأقوالهم.

والشارح هنا يقول بأنه نقل عمله هذا من عمل الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي المتوفى سنة ١٢١٩هـ، وهو نقل لاشك أن صاحبنا أفاد من منهجه الذي اختاره بحيث أنه قد اختصر الشرح وقدمه كعمل خاص بالمتعلمين من أبناء جلدتهم. والشرح ممزوج، بحيث يذكر الشارح الأجزاء التي تتطلب شرحًا من جمل، أو كلمات مفردة، موضحًا للقاعدة ومستشهدًا على ذلك بما يحتاجه من شواهد الذكر الحكيم أو الحديث الشريف، أو الشعر العربي، وغيرها من كلام العرب ولغاتهم الفصيحة، ومع إعراب بعض الكلمات المبهمة في النص.

---

(١) المصدر السابق:ص ٢٨٨

أهمية الشرح:

عرف البرتلي بكونه صاحب تراجم وبخاصة في كتابه فتح الشكور، غير أن كتابه فتح الرب الرؤوف في شرح معاني الحروف، جعل منه أحد علماء اللغة والباحثين فيها، وقد اعترف بأهمية القصيدة التي شرحها صاحبنا فقال وله: "قصيدة لامية نحو ثلاثين بيتًا في معاني الحروف؛ أي: حروف الجر، استوفى فيها ما أتي به الأشموني من معانيها، وشرحتها شرحًا حسنًا مفيدًا سميته فتح الرب الرؤوف في شرح قصيدة معاني الحروف"(١) غير أن الشرح الذي قام به البرتلي يعد من الشروح النادرة لعلماء بلاد شنقيط، والظاهر أن هذه الإشارة هي الوحيدة له، وصِفَتُه ظاهرة، ومَضْمُونه أوضح، إلا أننا لا نعثر عليه في هذه البلاد ولعله ضاع ضمن التراث الضائع لهذه الأمة، فكان شرح صاحبنا بمثابة إحياء له وإعادة تثمين.

إن القصيدة المشروحة قد وصلتنا في اثنين وعشرين بيتًا مشروحة، وهي كما قال البرتلي إنها في نحو ثلاثين بيتًا،فأين ثمانية أبيات باقية؟ وحتى نقف على مصادر أخرى، نقول بأن القصيدة حسب شرح صاحبنا هي اثنان وعشرون بيتًا، وقد انقسمت أبياتها على معاني الحروف المقصودة، وجاءت مغايرة لما هو معروف عند أغلب علماء النحو من نظم لمثل هذه المؤلفات على بحر الرجز؛ حيث نظم المؤلف قصيدته في بحر البسيط، ذي التفاعيل الكثيرة، مما قد يؤكد أن المؤلف عمد إلى قرض الشعر، لا إلى التعليم، فهو نادر منه وطريف في نفس الوقت.

مصادر الشارح:

لقد اعتمد الشارح في بسط عمله على المصدر الأساس وهو كتاب البرتلي: فتح الرب الرؤوف في شرح معاني الحروف، ثم كتاب الأشموني على ألفية ابن مالك، وتحفة ابن الوردي، والمغني لابن هشام، والتصريح، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد بن عبد الله الأزهري المتوفى سنة٩٠٥هـ، والقاموس المحيط، وتفسير الجلالين، كما استشهد بكثير من آيات النص الكريم، والأحاديث الشريفة، وآراء الفقهاء، وأشعار الفحول من الشعراء، وقد نص على بعض الأسماء، وترك البعض الآخر، وأثبت آراء علماء النحو، مثل آراء سيبويه، وأبي علي الفارسي، وابن مالك، وابن هشام، وغيرهم.

وصف النسخة:

وقفت على نسخة خطية من هذا النص في مكتبة شيخنا بوي أحمد في مدينة تيشيت تحت رقم ٣٣، وتتكون النسخة من أربع عشرة ورقة في حدود اثنين وعشرين سطرًا، خطها مغربي، كتب النص بالمداد الأحمر، والشرح بالمدام الأسود. خالية من مكان النسخ، انتهى من جمعها في يوم الاثنين أواسط شهر الله شوال سنة ١٢٢٠هـ.

ومن هذا النص صورة في موقع الجامعة الألمانية في ميكروفيلم تحت رقم٣٩٥. ومن هذا الموقع

(١) فتح الشكور: ص٢٨٨

جلبت نص قصيدة معاني حروف الجر، كتبت مفردة هناك، خالية من الشرح لمؤلفها القاضي عبد الله، أبي بكر بن علي بن الشيخ؛ حيث يحتفظ بها في صورة من ورقتين، ولم أقف عليها في مكان غير هذا. فكان احتفاظه بهذا النص النادر مدعاة للتنويه والاحترام.

عملي في التحقيق:

لقد كتبت النص من نسخته الخطية الوحيدة، وتمعنت فيه، ثم قمت بتخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، والشعر العربي القديم، معرفًا بكل ما يحتاج التعريف، وكتبت نص القصيدة بالنص الأسود مثل ما كتبه الشارح بالنص الأحمر مبثوثًا بين ثنايا الشرح، وبما أن هذا هو منهجهم، فقد تركته على صفته، إلا أنني جلبت نص القصيدة، وجعلته بين معكوفين حتى تكون المقارنة واضحة بينما أثبته الشارح وبين النص الأصلي. وقد نسبت كل الأبيات ورددتها إلى أصحابها في حالة عدم ذكر صاحبها ضمن النص الأصلي. كما خرجت بعض أقوال الفقهاء التي ذكرها الشارح وأعدتها إلى أمهات الكتب. وكتبت مقدمة عرفت فيها بعالمنا عثمان بن عمر، وأتبعته بترجمة لمؤلف القصيدة، وبين هذا ذاك أشرت إلى منهج الشارح وذكرت مصادره التي استقى منها زبدة عمله.

الصفحة الأولى من المخطوط

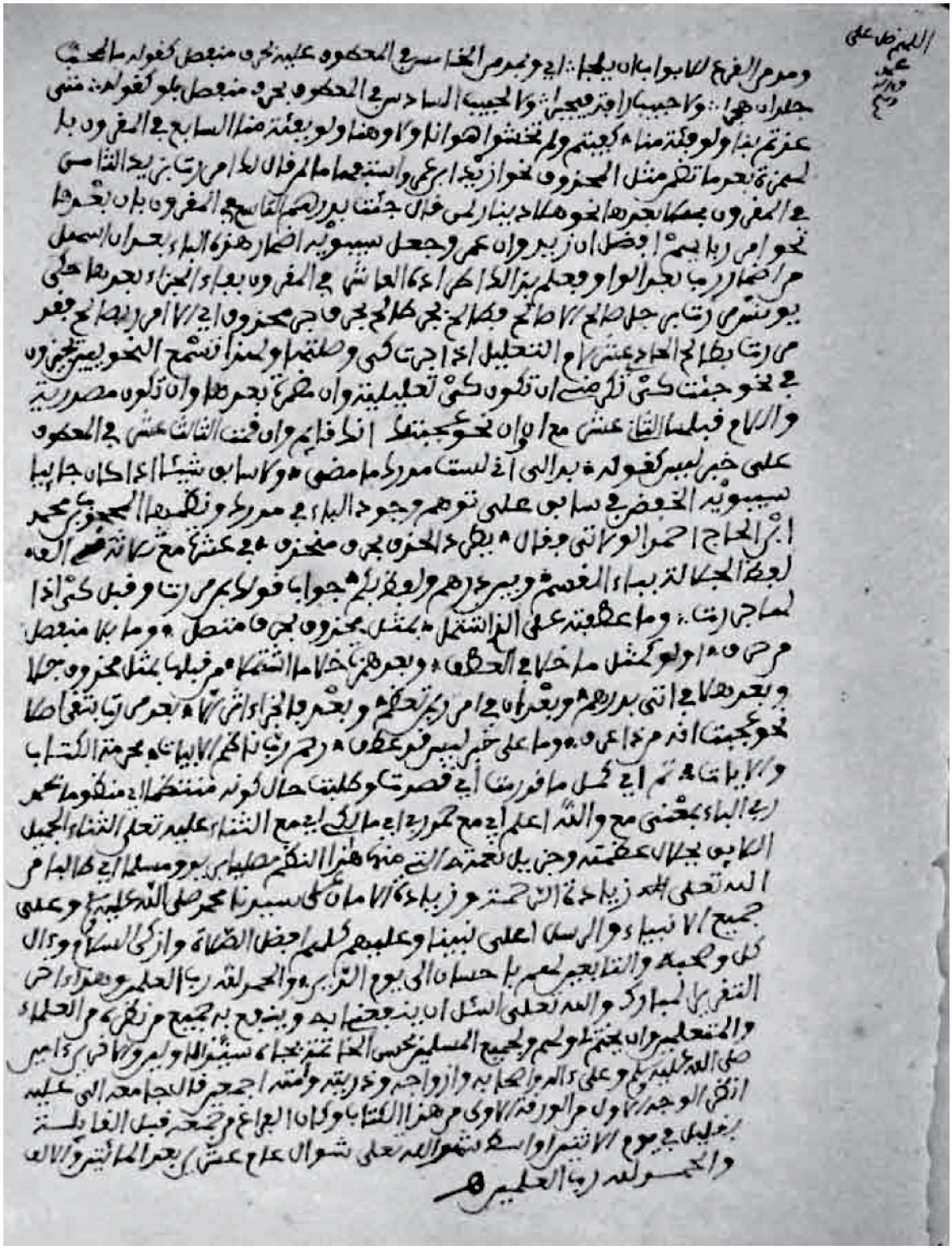

الصفحة الأخيرة من المخطوط

النص محققًا

//١بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وسلم تسليمًا. ما شاء الله لا حول، ولا قوة إلا بالله.

الحمد لله الواحد الأحد الرؤوف الذي هدينا لمعرفة معاني الحروف، حمدًا يوجِب رضاه، ويقتضي المزيدَ من فضلِه، ونعماه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، (له)[١] الملكُ، الحي المبينُ، وأشهد أن سيدنا **محمدًا** عبده ورسوله، الصادق الأمين، والصلاة والسلام على سيدنا **محمد**، المبعُوثِ لِسائرِ الأممِ بلسانٍ عربي مبينٍ، وعلى آله وصحبه المنتخبين، الرَّافعِينَ قواعدَ الإسلام والدين، المنتصبينَ لنفع العالمين، الخافضين لأجنحَةِ أجنحتِهم لجميع المؤمنين، والتَّابعينَ ومن أتبعهم بإحسان من سائر عباد الله الصالحين.

وبعد، فيقول الفقيرُ إلى الله تَعَالَى: عُثْمَانُ بنُ عَمْر اليُونُسي، جعله الله تَعَالَى ووَالدَيْهِ من الآمنين، الذين لا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنُون، آمين.

هذا تقرير لطيفٌ لقصيدةِ الشيخ الأستاذ، النحوي، الفقيه، العلامة، القاضي، أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن علي بن الشَّيخ الولاَتِي[٢] رحمه الله تَعَالَى، التي وضع في معاني حروف الجر[٣]، لِنفْعِ المُتعلِّمينَ، فكانت بحمد لله مربيةً للمبتدئين. وسمَّيتُه: بِالكِفَايَةِ، أعني كفايةَ الطَّالبِينَ، ونقلته من شرح شيخنا الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي رحمه الله تَعَالَى المسمى: فتح الرب الرؤوف، بشرح قصيدة معاني الحروف. والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

بسم الله الرحمن الرحيم: بدأ المؤلفُ رحمه الله تَعَالَى كتابه بالبسملة، اقتِدَاءً بالكِتابِ العزِيزِ، وعَمَلاً بقوله صلى الله عليه وسلم:" كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ: أَبْتَرٌ"[٤]. أي: نَاقِصٌ، قَليلُ البَرَكَةِ. الله: عَلَمٌ لِذَاتٍ، واجِبُ الوُجودِ، المعْبُودُ بالحق، المُستَحِقُّ لجَميعِ المَحامِدِ. الرَّحمَنُ: المُنْعِمُ بِجلاَئِلِ النِّعم، كَمِيَّةً أوْ كَيْفِيَّةً. الرَّحيم: المُنْعمُ بدَقَائِقِ النعم، كمية أو كيفية.

١-{مَعَانِي مِنْ عَشْرَةٌ قُلْ ذَاكَ عِدَّتُهَا بَيَانُ جِنْسٍ وَتَبْعِيضٍ مَعَ الْبَدَلِ

٢- بَدْءٌ لِأَمْكِنَةٍ فِي أَزْمُنٍ نَدَرَا زِيدَ لِتَنْصِيصِهِ عَلَى العُمُومِ قُلِ

٣-جَاءَتْ مُوَافِقَةً لِلْبَا وَعَنْ وَعَلَى وَفِي وَتَعْلِيلِهِ فَاسْأَلْ عَنِ المَثَلِ}

هذه معاني من، وهي عشرة كما قال الناظم، رحمه الله تَعَالَى. والمعاني: جمع معنى. معاني مِنْ

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ترجمته في فتح الشكور: ص٢٨٦

(٣) وقد عالجها انبوي في عمدة السالك على ألفية ابن مالك: مخطوط بحوزتنا. اللوحة٦٧ ويسميها الكوفيون حروف الإضافة؛ لأنها تضيف الفعل إلى الاسم؛ أي تربط بينهما، وحروف الصفات؛ لأنها تحدث صفة في الاسم من ظرفية أو غيرها. انظر التصريح: ٦٣٠/١

(٤) غريب الحديث لابن الجوزي: ١/ ٥٣، والرواية هناك هي: "كُلُّ أمْرٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرٌ أي أقْطَعُ".

بكسر الميم: عشْرَةٌ بإسكان الشين للوزن أو لغة. **قل**: أنت. **ذاك عدتها**: أي عددها. بيان جنس؛ أي: المعنى الأول أنها تأتي لبيان الجنس وعلامتها أن يصح أن يخْلُفَها اسْم موصول إذا بينت معرفة، كقوله تَعَالَى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[1]. أي: الذي هو الأوثان، فإن بينت نكرة فهي ومجرورها في موضع جملة، كقوله تَعَالَى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾[2]. فَمِنْ بَيَانِ الأَسَاوِرِ؛ أي: هي ذَهَبٌ. ومن الأولى: للابتداء عند الجمهور، أو زائدة على رأي الأخفش[3]، ويدل عليه قوله تَعَالَى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾[4]. **وَتَبْعِيضٍ** أي: والمعني الثاني أنها تأتي للتبعيض، وعلامتها جواز الاستغناء عنها ببعض، **كقوله** تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[5]. أي: بعض ما تحبون. **مَعَ الْبَدَلِ؛** أي: المعنى الثالث: أنها تأتي بمعنى بدل، كقوله تَعَالَى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِ﴾[6]. أي: بدل الآخرة. وقوله تَعَالَى: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[7]. أي: بدلكم؛ لأن الملائكةَ لا تكونُ من الإنْسِ. وقوله تَعَالَى: ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[8]. أي: بدل طَاعَتِه أو بدَلَ رَحمَتِه. وكقوله يصفُ عَاملَ الزَّكاةِ بالجورِ[9]: (الكامل)

أَخَـــذُوا الـمَـخَـاضَ مـن الـفَـصِـيـلِ غُـلُـبَّـةً ظُـلْـمًـا ويُـكْـتَـبُ لـلأَمِـيـرِ أَفَـيـلا

أي: بدلَ الفَصيلِ. والأَفِيلُ الصغير؛ لأنه يَأفَلُ بين الإبلِ؛ أي: يَغِيبُ[10].

بَدْءٌ لِأَمْكِنَةٍ: أي: والمعنى //٢الرابع أنها تأتي لابتداء الغاية في الأمكنة. كقوله تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[11]. فِي أَزْمُنٍ نَدَرَا: أي: قَلَّ. أي: وقد تأتي لابتداء

---

(١) الحج: الآية٣٠

(٢) الكهف: الآية٣١

(٣) التصريح: ٦٣٧/١، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: ٢/ ١٠٢

(٤) القيامة: الآية٢١

(٥) آل عمران: الآية٩٢

(٦) التوبة: الآية٣٨

(٧) الزخرف: الآية٦٠

(٨) آل عمران: الآية١١٦

(٩) البيت للراعي النميري من قصيدة في ديوانه: ص٢١٣، وأمالي ابن الشجري: ٢/ ٢٧٢، مدح بها عبد الملك بن مروان، وشكا فيها من السعاة الذين يأخذون الزكاة. وشرحه بقوله: " أخذوا النّوق الحوامل بدلاً من الفصال، ويكتبونها للأمير، أي: أمير المؤمنين، إفالا".

ومطلع القصيدة كما رواها في الديوان، هو:

مَـا بَـالُ دَفِّـكَ بِـالـفَـرَاشِ مَـذِيـلا أَقَـذًى بِـعَـيْـنِـكَ أَمْ أَرَدْتَ رَحِـيـلا

والبيت من دون عزو في شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٤٧، وحاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٣١٣، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٢٨٧٩

(١٠) والأَفِيلُ ابنُ المَخاضِ فما فَوْقَهُ، والأفِيلُ الفَصِيلُ، والجَمْعُ إفالٌ لأنَّ حَقِيقَتَهُ الوَصْفُ هذا هُو القِيَاسُ، وأما سِيبَوَيْهِ فقال أَفِيلٌ وأَفَائِلُ. المحكم والمحيط الأعظم: ١٠/ ٤٠٥

(١١) الإسراء: الآية١

الغَايةِ في الأَزْمِنة، كقوله تَعَالَى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[1]. وقول أَنَسِ بنِ مَالك رضي الله عنه:" مُطِرْنَا مِنَ الجُمَعِ إِلَى الجُمَعِ"[2]. وقول بعض: مِنَ الآنَ إلى الغَدِ[3]. وكقول النابغة الذُّبيَانِي يَصِفُ السُّيوفَ[4]: (الطويل)

تُـخَـيِّـرْنَ مِـنْ أَزْمَـانِ يَـوْمِ حَـلِـيـمَـةٍ إِلَـى الـيَـوْمِ قَـدْ جُـرِّبْـنَ كُـلَّ الـتَّـجَـارِبِ

فمن أزمان الابتداء الذاتية في الزَّمَانِيَّة[5]. وتخيرن، وجربن: مبنيان للمفعول، والنون المتصلة بهما: نائب الفاعل، وهي راجعة إلى السيوف المُحَدَّثُ عنها في بيت قبله. وتخيرن: اصطفين. وجربن: اخْتَبرنَ. ويَومُ حَلِيمَة[6] يوم مشهور من أيام العرب، وهو اليوم الذي سار فيه المُنذِرُ[7] بن المُنذِرُ لقتال الأَعْرجِ الغَسَّانِي[8]. وحليمة: هي بنتُ الحَارثِ بنِ أبي شمَّر. والتجارب: جمع تجربة، وقد تكون لابتداء الغاية في غير الزَّمانِ والمَكَانِ نحو: " مِنْ **مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ** - صلى الله عليه وسلم - إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ "[9].

زِيدَ لِتَنْصِيص عَلَى العُمُومِ، أو توكيد العموم؛ أي: والمعنى الخامس أنها تأتي زائدة للتنصيص على العموم أو لتوكيد التنصيص على العموم، وهي الزيادة المشار إليها بقول المؤلف: زيد. فالأولى هي الدَّاخِلَة على نَكِرَة لا تَخْتَصُّ بِالنَّفْي، نحو: ما جاءنا من رجل. فهي للتنصيص على العموم، ألا ترى أنه قبل دخول "مِنْ" يحتمل نفي الواحد ونفي الجنس على سبيل العموم، ولهذا يصح أن يقال: "بل رجلان". وبعد دخولها يصير نصًا في نفي الجنس على العموم فيمتنع أن يقال: بل رجلان.

---

(١) التوبة: الآية١٠٨

(٢) هكذا ورد في الأصل، والرواية الصحيحة هي: " حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ ، عَنْ مَالِكٍ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ هَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ فَدَعَا فَمُطِرْنَا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا فَقَامَ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ فَانْجَابَتْ، عَنِ الْمَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ. الموطأ: ص١٤٢، صحيح البخاري: ٢/ ٣٦، السنن الكبرى للنسائي: ٢/ ٣١٥

ومثله في الموطأ: ١/ ١٩١

(٣) التصريح: ٦٣٨/١

(٤) البيت يمدح فيه الشاعر عمرو بن الحارث الأعرج، أحد ملوك الغسانيين، وهو من قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

كِـلِـيـنِـي لِـهَـمٍّ يـا أُمَـيْـمَـةَ نَـاصِـبِ وَلَـيْـلٍ أُقَـاسِـيـهِ بَـطِـيءِ الـكـواكـبِ

انظر الديوان: ص٤٥

(٥) في التصريح: ٦٣٨/١ "فمن " أزمان" لابتداء الغاية الزمانية". بدل ما هنا.

(٦) انظر عنه، أيام العرب في الجاهلية: ص٥٤

(٧) المنذر بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة: المصدر السابق.

(٨) ومن العرجان، الحارث الأعرج الملك الغساني، وهو الحارث الأصغر بن الحارث الأوسط بن الحارث الأكبر، وما أقل ما يجيء مثل هذا. البرصان والعرجان: ص ٢٢

(٩) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: ١٤/ ٤٩٦، والمعجم الكبير للطبراني: ٧/ ١، ومستخرج أبي عوانة: ٧/ ٤٥٧، والتصريح: ٦٣٨/١

والثانية هي الداخلة على نكرة مختصة بالنفي وشبهه، نحو: ما جاءنا من أحد أو من ديار، فإن أحدًا، أو ديارًا صيغتا عموم، فهي لتأكيد التنصيص على العموم؛ لأن النكرة اللازمة للنفي تدل على العموم نصا، فزيادة "مِنْ" إنما أفادت مجرد التأكيد؛ لأن "ما جاءنا أحد"، و"ما جاءنا من أحد" سِيَّانِ في إِفْهَام العُمُومِ دُون احْتِمالٍ[1]. **قُلِ:** أي: قل أنت هذا المعنى الذي هو زيادتها للتنصيص على العموم وتوكيده.

جَاءَت؛ أي: من حال كونها **مُوَافِقَةً لِلْبَا؛** أي: والمعنى السادس أنها تأتي موافقة "لعن" في المجاوزة المشار إليها بقوله: "وعن". أي: جاءت موافقة "لعن" كقوله تَعَالَى حكاية عن الكافرين: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾[2]؛ أي: عن هذا. يا: للتنبيه. ويلنا: هلاكنا. قد كنا في غفلة عن هذا اليوم؛ أي: يوم القيامة. قاله في الجَلالَين[3]. ورجع[4]. وقوله تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[5]. أي: عن ذِكرِ اللهِ. وَعَلَى؛ أي: والمعنى الثامن أنها تأتي موافقة لعَلَى في الاسْتِعلاَءِ المُشارُ إليه بقوله: وعلى. أي: وجاءت موافقة لعلى، كقوله تَعَالَى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾[6]. أي: على القوم الذين كذبوا بآياتنا. وَفِي؛ أي: والمعنَى التاسع أنها تأتي موافقةً "لفِي"، في الظَّرْفِيَّةِ المشار إليها بقوله: وفي. أي: وجاءت موافقة لفي، كقوله تَعَالَى: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾[7]. أي: في الأرض. وقوله تَعَالَى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾[8]. أي: في يوم الجمعة. وَتَعْلِيلِهِ: أي: والمعنى العاشر أنها تأتي للتعليل المشار إليه بقوله: وتعليله. فالضمير على مِنْ؛ أي: ومن معاني مِنْ تعليله؛ أي: كونه للتعليل، كقوله تَعَالَى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾[9]. لأجل خطاياهم، فَقُدِمَت العِلَّةُ على المَعلُولِ لِلاخْتِصَاصِ. وكقوله[10]: (المتقارب)

وذلـــكَ مِـــنْ نبـأ جـاءنِـي أَخَـــذُوا وَخَـــبَّـــرتُـــهُ عـــن أبـــي الأســـوَدِ

أي: لأجل نَبَأ جَاءني.

---

(١) هذه الفقرة انظرها في التصريح: ٦٣٩/١

(٢) الأنبياء: الآية٩٧

(٣) تفسير الجلالين: ٦/ ٩١

(٤) هكذا وردت هذه العبارة ولم أتبين المقصود بها. وقد يكون معناها الرجوع إلى الشرح بعد الاستشهاد بما قاله السيوطي.

(٥) الزمر: الآية٢٢

(٦) الأنبياء: الآية٧٧

(٧) فاطر: الآية٤٠

(٨) الجمعة: الآية٩

(٩) نوح: الآية٢٥

(١٠) من قصيدة طويلة لامرئ القيس بن حجر في ديوانه، ومطلعها

تَـــطَـــاوَلَ لَـــيـــلُـــكَ بِـــالأَثْـــمُـــدِ وَنَـــــامَ الـــخَـــلِـــيُّ وَلَـــــمْ تَـــرْقُـــدِ

انظر ص١٨٥، وفيه" أنبئته: بدل ما هنا.

وقال ابن دريد: إنما هو لامرئ القيس بن عابس. انظر تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد: ص٢٤٤

وكقول الفرزدقِ يمدحُ زينَ العابدِين، عليا بنَ الحسينِ بنِ علي بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه[1]: (البسيط)

//٣يُغضِي حياءً ويُغْضَى من مَهابته فما يُكلَّمُ إلا حين يبتسِمُ

أي: يغضي منه لأجل مهابته. والإغْضاءُ بالغين والضاد المعجمة: إرْخَاءُ الجُفُونِ[2].

فَاسْأَلْ عَنِ المَثَلِ: أي: اسأل عن أمثلة هذه المعاني إن كنت لا تعلمها.

٤-{إلَى مَعَانِيهِ تَبْيِينٍ مُصَاحَبَةٍ مَعَ انْتِهَاءِ وفَاقٍ مِنْ وَعِنْدَ وَلِي

٥- وَاللَّامُ مَعْ فِي وَتَوْكِيدٍ لَهَا تَبَعٌ إلَيكَ خُذْهَا وَسَلْ رَبِّي لِيَغْفِرَ لِي}

هذه معاني إلى، وهي ثمانية **إلَى مَعَانِيهِ تَبْيِينٍ؛** أي: المعنى الأول أنها تأتي مبينة لفاعلية مجرورها بعد ما يفيد حُبًا أو بُغْضًا مِنْ فِعْلِ تَعَجُّبٍ، أَوِ اسْمِ تَفْضِيلٍ. كقوله تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ ﴾[3]. الخير إلى زيد، وما أبغض الشر إلى عَمْرو. والله أعلم.

مُصَاحَبَةٍ: أي: والمعنى الثاني أنها تأتي للمُصاحَبةِ، وهي المعية، وهي التي بمعنى "مع". وذلك إذا ضَمَمْتَ شَيئًا إِلَى آخَرَ. كقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾[4]. **أي: مع أموالكم. وقوله:** ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[5]. أي: مع الله. وقولهم:" الذَّوْدُ إلى ذَوْدٍ إبِلٌ "[6]. أي: مَعَ ذَودٍ. والذود: جمع لا واحد له، أو واحد جمعه أذواد. قَالَهُ فِي القَامُوس[7].

مَعَ انْتِهَاءِ: أي: والمعنى الثالث أنها تأتي لانتهاء الغَايَة الزَّمَانية، كقوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾[8]. والمَكَانِية، كقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾[9]. وفَاقٍ مِنْ: أي: والمعنى الرَّابعُ أنها تأتي

---

(١) من قصيدة طويلة مطلعها:

هَـذَا الـذِي تَـعْـرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ والبَيتُ يَعْرِفُهُ والحِلُّ وَالحَرَمُ

انظر الديوان: ص٥١٢، والحماسة المغربية: ص١٢

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١٢٦/٢، وشرح شافية ابن الحاجب: ٤/ ١٦٤، والتصريح: ٦٤٠/١

(٣) يوسف: الآية٣٣

(٤) النساء: الآية٢

(٥) آل عمران: الآية ٥٢، الصافات: الآية ١٤

(٦) شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ١٤١، شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٢٧١، الجنى الداني في حروف المعاني: ص٦٥

(٧) القاموس(ذود).

(٨) البقرة: الآية١٨٧

(٩) الإسراء: الآية١

مُوَافِقَة "لمِنْ". كقوله[1]:(الطويل)

تـقـولُ وقـد عَـالَـيـتُ بـالـكُـور فـوقـهـا أيُـسْـقـى فـلا يَـرْوَى إلـيّ ابـنُ أحـمـرا

أي: منى.

وَعِنْدَ: أي: والمعنى الخامس أنها تأتي موافقة "لعِنْدَ". كقوله[2]:(الكامل)

أَمْ لا سَـبـيـلَ إلـى الـشَّـبـاب، وذِكْـرُهُ أَشـهـى إلَـيَّ مِـنَ الـرَّحـيـقِ الـسَّـلْـسَـلِ

أي:عندي.

وَلِي: تتميم للبيت. وليس هو معنًى من معاني إلى. ومعناه: يلي. وهو فِعلٌ مَاضٍ وفَاعلُه ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ عَائِدٌ عَلَى عِنْدَ؛ أي: ولي عندما قبله. وهو وفاق من. وسكن الياء للقافية. والله تَعَالَى أعلم.

وَاللَّامُ: أي: والمعنى السادس أنها تأتي موافقة للام . كقوله تَعَالَى: ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[3]. أي: لصراط مستقيم. وقوله تَعَالَى: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾[4]. أي: لك.

ومَعْ فِي: أي: والمعني السابع أنها تأتي موافقة "الفي". كقوله تَعَالَى: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[5]. أي: في يوم القيامة. وكقوله[6]:

فـلا تَـتْـرُكَـنِّـي بِـالـوَعِـيـدِ كـأنّـنـي إلـى الـنّـاسِ مَـطْـلِـيٌّ بـه الـقـارُ أجـربُ

أي: في الناسِ.

---

(١) لابن أحمر في شعره: ص٨٤، وفيه" يسقى"، وهو من قصيدة يهجو بها يزيد بن معاوية، ويحتج عليه، ومطلعها:

.... وصادفت نـعـيـمـا ومـيـدانـا مـن الـعـيـش أخـضـرا

وانظر شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ١٤٣، والجنى الداني في حروف المعاني: ص٦٥، وارتشاف الضرب: ٤/ ١٧٣١

(٢) البيت لأبي كبير الهذلي من قصيدة مطلعها:

أزُهَـيْـرُ هـلْ عَـنْ شَـيْـبَـةٍ مِـنْ مَـعْـدَلِ أمْ لا سـبـيـلَ إلـى الـشَّـبـابِ الأوَّلِ

في ديوان الهذليين: القسم الثاني (٨٨، ١٩٥٥) وهو في الجنى الداني في حروف المعاني: ص٦٥، ارتشاف الضرب: ٤/ ١٧٣١

(٣) يونس: الآية٢٥

(٤) النمل: الآية٣٣

(٥) النساء: الآية٨٧، الأنعام: الآية١٢

(٦) للنابغة في ديوانه: ص٧٣، والبيت من قصيدته الشهيرة في مدح النعمان بن المنذر، والاعتذار إليه. قال في مطلعها:

أتـانـي أبـيـتَ الـلـعـنَ أنـكَ لـمـتـنـي وتـلـكَ الـتـي أهـتـمّ مـنـهـا وأنـصـبُ

وبعد البيت الشاهد، قال النابغة:

ألـمْ تـرَ أنّ الـلـهَ أعـطـاكَ سـورةً تـرى كـلّ مَـلْـكٍ، دونَـهـا، يـتـذَبـذَبُ

وَتَوْكِيدٍ: أي: والمعنى الثامن أنها تأتي للتوكيد. وهي الزائدة. أثبت ذلك الفَرَّاءُ[1] مستدلاً بقراءة بعضهم: " فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ"[2]. بفتح الواو[3]. وخرجت على تضمين تهوي معنى: تَمِيلُ.

لَهَا تَبَعٌ: جملة اسمية، هي خبر واللام، والتقدير: واللامُ بِالرَّفْعِ مَعْ "فِي". وتوكيد بالجر تبعٌ لما ذكر من المعاني. والله تَعَالَى أعلم. **إِلَيكَ خُذْهَا**: أي: خذ هذه المعاني معك، فإلى بمعنى "مع" كما تقدم في معانيها. والله تَعَالَى أعلم. **سَلْ**: أنت. **رَبِّي**: أي: مالكي. **لِيَغْفِرَ لِي**: أي يَسْتُرَ ذَنْبِي وَلاَ يُواخِذَنِي به، غفر الله تَعَالَى لنا وله، آمين.

٦-{أَلَّامُ لِلْمِلْكِ وَالتَّمْلِيكُ أَوْ كَهُمَا غَيِّنْ وَصَيِّرْ وَيَأْتِي مِنْ ذِي العِلَلِ

٧- بَيِّنْ وَعِدِّ وَزِدْ تَعَجُّبْ نَسَبُ أَقْسِمْ وَاعْجَبْ مَعًا وَاحْذَرْ مِنَ المَلَلِ

٨- وَوِقْهُ لِعَلَى وَمَعْ وَعِنْدَ وَفِي وَعَنْ وَمِنْ بَعْدَ بَلِّغْ لِلْمُنَى تَصِلِ}

هذه معاني اللام وهي إحدى وعشرون. **أَللَّامُ لِلْمِلْكِ**: أي: والمعنى الأول أنها تأتي لِلْمِلْكِ كقوله تَعَالَى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4]. أي: وما في السماوات، وما في الأرض مُلْكُ اللهِ. ونحو: المَالُ لِزَيْدٍ. أي: مِلْكُ زَيدٍ. أي: **وَالتَّمْلِيكُ؛** أي: والمعنى الثاني أنها تأتي للتمليك، نحو: وهبت لزيد دِينَارًا. **أَوْ كَهُمَا**: أي: والمعنى الثالث والرابع أنها تأتي لِشِبْهِ المِلْكِ، وَشِبْهِ التَّمْلِيكِ، فَشِبْهُ المِلْك هو الذي يعبر عنه بالاستحقاق، والاختصاص، فالتي للاستحقاق هي الواقعة بين معنى وذات نحو: "الحَمْدُ لله،"[5]، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾[6]، و﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾[7]. ومنه ﴿وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[8]. أي: عَذَابُها. والتي للاختصاص فخِلَافُ ذَلِكَ:" الجَنَّةُ للمؤمِنِينَ" و"السَّرْجُ للدَّابَةِ"[9].

---

(١) وُلدَ يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: سنة ١٤٤، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيهًا متكلمًا، عالمًا بأيام العرب وأخبارها، عارفًا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. وله عدة مؤلفات. توفي سنة ٢٠٧هـ. الأعلام للزركلي: ١٤٥/٨- ١٤٦.

(٢) إبراهيم: الآية٣٧

(٣) القراءة لعلي بن أبي طالب وأبي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد - عليهم السلام - ومجاهد. والمحتسب لابن جنى: ١/ ٣٦٣

(٤) الشورى: الآية٥٢

(٥) الفاتحة: الآية٢

(٦) المطففين: الآية١

(٧) البقرة: الآية:١١٤

(٨) الرعد: الآية٣٥

(٩) التصريح: ٦٤٢/١

وشِبْهُ التَّمَلُّك، كقوله تَعَالَى: ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ﴾[1]. **غَيعٌ**: أي: والمعنى الخامس أنها تأتي لانتهاء الغاية في الزمان، كقوله تَعَالَى: ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[2]. أي: إلى أجل مسمى. والمكان، كقوله تَعَالَى: و﴿ سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[3]. أي: إلى بلد ميت. وغيرهما، كقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ ﴾[4]. //٤أي: إلى ما نهوا عنه. وَصَير: أي: والمعنى السادس أنها تأتي للصيرورة، وتسمى لام العاقبة[5]، ولام المآل. كقوله تَعَالَى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[6]. وكقول الشاعر[7]: (الطويل)

فَلِلْمَوتِ تَغْدُو الوَالِدَاتُ سِخَالَهَا كَمَا لِخَرابِ الدُّورِ تُبنَى المَسَاكِنُ

وقوله[8]:(المتقارب)

فَإِن يَكُنِ المَوتُ أَفْنَاهُم فَلِلْمَوتِ مَا تَلِدُ الوَالِدِه

وقوله[9]:(الوافر)

لِدُوا لِلمَوتِ، وابنُوا لِلخَرابِ فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إلى الذهابِ

لأن الموتَ ليس عِلَّة لِلوَلدِ، والخَرابُ ليسَ علة لِلبناءِ، وقد صارت عاقبتهما ومآلهما إلى ذلك. **ويأتي:** أي: اللام. **مِنْ ذِي العِلَلِ**: أي: والمعنى السابع أنها تأتي للعلل، كقوله تَعَالَى: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[10].

---

(١) النحل: الآية٧٣، الشورى: الآية١١

(٢) الرعد: الآية٢، فاطر: الآية١٣، الزمر: الآية٥

(٣) الأعراف: الآية٥٧

(٤) الأنعام: الآية٢٨

(٥) انظر همع الهوامع: ٢/ ٣٢، ومغني اللبيب: ٢٨٢. وفي خزانة الأدب: ٩/ ٥٣٠، قال ابن هشام في المغني: وأنكر البصريون ومن تبعهم لام العاقبة. قال الزمخشري: والتحقيق أنها لام العلة وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة.

(٦) سورة القصص:الآية ٨

(٧) لسابق البربري، من دون عزو في تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٢٩٢٦، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١١/ ١٧٥

(٨) البيت للشاعر نهيكة بن الحارث المازني في شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية: ١/ ٣١٧، وذكره الزجاجي ، برواية مغايرة، وهي:

فأم سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالده

انظر كتاب اللامات: ص١٢١، وهو لابن الزبعري في شرح شواهد المغني: ٢/ ٥٧٣ ضمن بيتين هو ثالثهم.

(٩) البيت لأبي العتاهية في خزانة الأدب:٩/ ٥٣١، ومن دون عزو في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:٢٩/٣، وفي جمهرة أشعار العرب: ص:١٤١، والتصريح برواية محرفة عن ما هنا:

لِدُوا لِلمَوتِ، وابنُوا لِلخَرابِ فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إلى الذهابِ

وعلق أبو زيد بقوله:" وروي أن بعض الملائكة، عليهم السلام، قال هذا البيت".

(١٠) النساء: الآية١٠٥

وقوله تَعَالَى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾[1]. وقوله تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[2]. أي: وإنه من أجل حُبِّ الخَيرِ المَالِ، لَبخِيلٌ. وكقوله أَبِي صَخْرٍ الهُذَلِي[3]: (البسيط)

وإِنِّـــي لَـتَـعـرونـي لـــذِكْـــراكِ هِـــزَّةٌ كَـمـا انْـتَـفَـضَ الْـعُـصـفـورُ بَـلَّـلَـهُ الـقَـطْـرُ

أي لأجل ذكره إياك. وكقول امْرِئِ القَيسِ[4]: (الطويل)

ويـــومَ عَـقَـرْتُ لِـلْـعَـذارَى مَـطِـيَّـتـي فَـيـاعَـجَـبًـا مِـنْ رَحْـلِـهـا الـمُـتَـحَـمَّـلِ

أي لأجل العَذَارَى.

بَيِّنْ: أي: والمعنى الثامن أنها تأتي للتبيين، وهي ثلاثة أقسام: الأول ما بين المفعول من الفاعل، وهي التي تقع بعد فعل تعجب، أو اسم تفضيل مُفْهِمَيْنِ حُبًّا أو بُغْضًا. تقول: ما أحبني، وما أبغضني، فإن قلت لفلان، فأنت فاعل الحب والبغض، وهو مفعولهما، وإن قلت إلى فلان، فالأمر بالعكس. والثاني ما بيَّن فاعلية غير متلبسة بمفعولية نحو: تبًّا لزيد، وويحًا له، فإنهما بمعنى: خسر وهلك، فَبَيَّنْتَ المُسْقَى والمُجَدَّعُ[5]، وهو زيد. والثالث ما بين مفعولية غير متلبسة بفاعلية نحو: سقيا لزيد وجدعا له، فبينت المسقى والمُجَدَّعُ، وهو زيد. والله أعلم.

وَعَدِّ باللام؛ أي: والمعنى التاسع أنها تأتي للتعدية بها إلى المفعول به، نحو: ما أَضْرَبَ زيدًا لعمرو، وَلِأَنَّ ضَرَبَ مَتَعَد فِي الأَصْلِ، وَلكِنْ لَمَّا بُنِي مِنهُ فِعْلُ التَّعَجُّبِ، نُقِلَ إلى فَعُل بضم العين، فَصَارَ قَاصِرًا، فَعَدَّي بِالهَمْزَةِ إِلَى زَيدٍ وَبِاللاَّمِ إِلَى عَمْرٍو. وَزِدْ: أي: والمعنى العاشر أنها تأتي زائدة، وهي الموكدة، وهي أنواع، منها: اللام المعترضة بين الفعل المتعدي ومفعوله، كقول ابن ميادَةَ الرَّمَاح يمدحُ عَبدَ الواحد بنَ سُلَيمَانَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَروَانَ[6]:(الكامل)

(١) سورة قريش، الآية١

(٢) العاديات: الآية٨

(٣) البيت من قصيدته المشهورة والتي مطلعها:

عـجـبـت لـسـعـي الـدهـر بـيـنـي وبـيـنـهـا فـلـمـا انـقـضـى مـا بـيـنـنـا سـكـن الـدهـرُ

وهو شاهد ورد في عدة مصادر. وهو ضمن قصيدته المشار إليها آنفا. انظر شرح أشعار الهذليين: ٩٥٧ وجاءت رواية الشطر الأول على الشكل الآتي" إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها". بدل ما هنا.

(٤) الديوان: ص١١، والبيت من معلقته الشهيرة، ومطلعها:

قِـفَـا نَـبْـكِ مِـنْ ذِكْـرَى حَـبِـيـبٍ ومـنْـزِلِ بِـسِـقْـطِ الـلِّـوَى بَـيْـنَ الـدَّخُـولِ فَـحَـوْمَـلِ

(٥) مَفْعَلٌ من جَدَعَ الشَّيءَ: قطعه، والصبي أساء غذاءه. إكمال الإعلام بتثليث الكلام: ٢/ ٥٨٢

(٦) البيت من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، وكان أمير المدينة فدح بها حين قدم ابن ميادة المدينة، ومطلعها:

مـن كـان أخـطـأه الـربـيـع فـإنـمـا نـصـر الـحـجـاز بـغـيـث عـبـد الـواحـد

شعر ابن ميادة: ض١١٢، وانظر المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٣/ ١٢٢٣، ومن دون عزو في ارتشاف الضرب: ٥/ ٢٣٩٥، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٢٩٣٦، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ٧/ ٢٨

وَمَـلَـكْـتَ مـا بَـيْـنَ الْـعِـراقِ ويَـثْـرِبٍ مُـلْـكـاً أَجـــارَ لِـمُـسْـلِـمٍ وَمُـعـاهِـدِ

أي أجار مُسْلِمًا وَمُعَاهِدًا(١).

ومنها اللام المُسَمَّاةُ بِالمُقْحَمَة، وهي المعترضة بين المتضايفين، كقولهم(٢): (مجزوء الكامل)

يـــا بـــــؤسَ لـــلـــحَـــربِ

والأصل: يا بؤس لحرب، فأقحمت اللام تقوية للاختصاص، "وهل انجرار ما بعدها لها، وبالمضاف؟ قولان، أرجحهما الأول؛ لأن اللام أقرب، ولأن الجار لا يعلق"(٣).

ومنها اللام المسماة لام التقوية، وهي المزيدة لتقوية عامل ضَعُفَ، إما بتأخير عن المعمول. كقوله تَعَالَى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾(٤). والأصل والله أعلم، إن كنتم تعبرون الرؤيا، فلما أخر الفعل، وقدم معموله عليه، ضعف عمله، فقوى باللام، وإما بكونه فرعًا في العمل كالمصدر واسم الفاعل والمفعول. وأمثلة المبالغة نحو:" عجبت من ضرب زيد لعمرو". وكقوله تَعَالَى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾(٥). ونحو:" زيد مُعطِي الدَّرَاهِمَ". وكقوله تَعَالَى:﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (٦). وقوله تَعَالَى:﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾(٧).

ومنها لام المستغاث، فإنها زائدة بدليل صحة إسقاطها.

تَعَجُّبٌ: أي: والمعنى الحادي عشر، //٥أنها تأتي للتعجب المجرد عن القَسَمِ، ويستعمل في النِّدَاءِ، نحو: يا للحا، ويا لعشب، إذا تعجبوا في كثرتهما، وقولهم لله دَرُّهُ فارسًا، ولله أنت. وقولهم: يا لك رجلاً عالمًا. وكقوله(٨):(الطويل)

فَـيَـا لَـكَ مِـنْ لَـيْـلٍ كَـأَنَّ نُـجُـومَـهُ بِـكُـلِّ مُـغَـارِ الـفَـتْـلِ شُـدَّتْ بِـيَـذْبُـلِ

(١) قال الدماميني: " لا تتعين الزيادة فيه لاحتمال أن يكون "أجار" بمعنى: فعل الإجارة ، واللام صلة له." انظر التصريح: ٦٤٣/١

(٢) قسيم بيت لسعد بن مالك، تمامه:

يـــا بـــــؤسَ لـــلـــحَـــربِ الّـــتـــي وضـــعـــت أراهِـــــــطَ فـــاســـتـــراحـــوا

هذا البيت شاهد على هذه اللام المذكورة هنا. انظر التصريح: ٦٤٣/١

(٣) هذه المقولة لصاحب مغني اللبيب: ص٢٨٦، ونقلها في التصريح: ٦٤٤/١

(٤) يوسف:الآية٤٣

(٥) البقرة: الآية٩١

(٦) البروج: الآية١٦

(٧) المعارج: الآية١٦

(٨) لامرئ القيس في ديوانه: ص١٩

وقول الأعشى[1]:(الطويل)

شبابٌ وشَيْبٌ وافتقارٌ وثروةٌ فَللَّه هذا الدهرُ كيفَ تَرَدَّدَا

انْسُب: أي: والمعنى الثاني عشر أنها تأتي للنسب، نحو لزيد أب، ولَعَمْرٌو أَخٌ. **أَقْسِمْ وَاعْجَبْ مَعًا**: أي: والمعنى الثالث عشر، أنها تأتي للقسم والتعجب معا، وتختص باسم الجلالة؛ لأنها خلف عن التاء المثناة نحو: الله لا يؤخر الأجل؛ أي: تالله لا يبقى. كقوله تَعَالَى: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[2]. أي: لا تَفْتأ: أي: لاتزال. وكقوله[3]:(البسيط)

لله يَبْقَى عَلَى الأيَّامِ ذُو حَيَدٍ بِمُشْمَخِرٍ بِهِ الظَّيَّانُ والآسُ

أي: تالله.

وَاحْذَرْ: أي: احترز، والفعل منه حذر، كعلم. مِنَ المَلَلِ: أي: السآمة. يقال: مَلَلْتُه، ومنه بالكسر مِلَلاً. **وَوِفْقَهُ لِعَلَى**: أي: والمعنى الرابع عشر أنها تأتي موافقة "العلى" في الاستعلاء الحقيقي، كقوله تَعَالَى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾[4]. جمع: ذِقْن. وقوله تَعَالَى: ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾[5]. أي: على جنبه. وقوله تَعَالَى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[6]. أي: على الجبين. وكقوله[7](الطويل):

فَخَرَّ صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ ولِلْفَمِ

---

(١) البيت من قصيدته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أعدها ليلقيها في حضرته لكنه لم يفز بذلك. ومطلعها:

ألم تغمض عيناك ليلةَ أرمدا وبتَّ كما بات السّليم مسهّدا

انظر الديوان: ص١٨٥، والبيت الشاهد هو البيت الرابع منها.

(٢) يوسف: الآية٨٥

(٣) لأمية بن أبي عائذ في كتاب سيبويه: ٣/ ٤٩٧، وأنشده سيبويه لعبد مناة الهذلي في المفصل في صنعة الإعراب: ص٤٨٤، ولأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين: ٢٢٧/١ ، ولمالك بن خالد الخناعي في شرح أشعار الهذليين: ٤٣٩/١ برواية مغايرة. والبيت مختلف النسبة في كثير من المصادر. انظر خزانة الأدب: ١٠٤/١٠

(٤) الإسراء: ١٠٧، ١٠٩

(٥) يونس: الآية١٢

(٦) يس: الآية١٠٣

(٧) عجز بيت صدره:

ضَمَمْتُ إليهِ بالسِّنانِ قميصَهُ

انظر حروف المعاني: ص٧٥، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٢٩٢٧، ونسبه في شرح شواهد المغني: ٢/ ٥٦٤، للعكبر بن حديد بن مالك بن حذيفة بن بكر بن قيس بن منقذ بن طريف، وكان مع علي رضي الله عنه ضمن قصيدة أولها:

ألا ليت شعري هل أشنّنّ غارة على ابن كدام أو سويد بن أصرم

وهو لجابر بن حني التغلبي ضمن مفضلية برقم٤٢، ورواية الصدر:

تَنَاوَلَهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ اتَّنَى لَهُ.

أي: على اليدين وعلى الفم. والمجازي، كقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1]. أي فعليها. وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها:" اشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلاَءَ "[2]. أي: عليهم. وَمَعْ: أي: والمعنى الخامس عشر أنها تأتي موافقة "لمَعَ". كقوله[3]:(الطويل)

فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

مع طول اجتماع.

وَعِنْدَ: أي: والمعنى السادس عشر أنها تأتي موافقة "لعند". كقولهم: كتبته لخمس خَلَوْنَ. أي: خمس خلون. **وَفِي**: أي: والمعنى السابع عشر أنها تأتي أي: سمية موافقة لفي الظَّرْفِيَّة، كقوله تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4]. وقوله تَعَالَى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[5]. أي: في وقتها. وقولهم: "مَضَى لِسَبِيلِهِ". أي: في سبيله. قيل ومنه قوله تَعَالَى: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾[6]. أي: في حياتي. وقيل للتعليل؛ أي: لأجل حياتي في الآخرة.

وَعَنْ: أي: والمعنى الثامن عشر أنها تأتي موافقة "لِعَنْ"، إذا استعملت مع القول. كقوله تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾[7]. أي: عن الذين آمنوا. وقوله تَعَالَى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾[8]. أي: عن أوليهم. وكقول الشاعر[9]:(الكامل)

---

(١) الإسراء: الآية٧

(٢) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ: اشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلاَءَ لَفْظَةُ أَمْرٍ مُرَادُهَا نَفْيُ جَوَازِ اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ الْفِعْلِ لَوْ فَعَلَتْهُ لاَ الأَمْرُ بِهِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَقِبِ هَذَا الْقَوْلِ قَامَ خَطِيبًا لِلنَّاسِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ لاَ لِمَنِ اشْتَرَطَ لَهُ ، وَنَظِيرُ هَذِهِ اللفظةِ فِي السُّنَنِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ فِي قِصَّةِ النَّحْلِ: أَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي أَرَادَ بِهِ الإِعْلاَمَ أَنَّكَ لَوْ فَعَلْتَ هَذَا الْفِعْلَ لَمْ يُجَزْ لأَنَّهُ جَوْرٌ ، وَلَوْ جَازَ شَهَادَةُ غَيْرَهُ لَجَازَتْ شَهَادَتَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ جَوْرًا. صحيح ابن حبان:١٠/ ١٦٧

(٣) البيت من مرثية متمم بن نويرة الشهيرة لأخيه مالك بن نويرة ومطلعها:

لَعَمْرى وما دَهْرى بتَأْبينِ هالِكٍ ولا جَزَعٍ مما أصابَ فأَوْجَعَا

وهي مفضلية، والبيت هو العشرون ضمن القصيدة. انظر المفضليات: ص٢٦٧، حيث يقع الشاهد.

(٤) الأنبياء: الآية٤٧

(٥) الأعراف: الآية١٨٧

(٦) الفجر: الآية٢٤

(٧) الأحقاف: الآية١١

(٨) الأعراف: الآية٣٨

(٩) قال ابن هشام اللخمي في شرح أبيات الجمل: والصحيح أنه لأبي الأسود واسمه: ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان ابن عبد مناة بن كنانة من قصيدته التي أولها :

تَلْقَى اللبيبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ شَتَمَ الرِّجَالِ وعِرضُهُ مَشْتُومُ

انظر المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٤/ ١٨٧٧، والذي في الديوان: ص٤٠٣ ، أن مطلع القصيدة هو:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالنَّاسُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ

كَضَرائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِزَوجِهَا حَ سَدًا وبَغْيًا: إنَّهُ لَدَمِيمُ

أي: عن وجهها. **وَمِنْ**: أي: والمعنى التاسع عشر أنها تأتي موافقة "لمن"، نحو: "سمعت له كلاما". أي: منه. وكقول جرير[1]:(الطويل)

لَنَا الفَضْلُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ وَنَحْنُ لَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ أَفْضَلُ

أي: نحن منكم يوم القيامة أفضل.

بَعْدَ: أي: والمعنى المتمم عشرين، أنها تأتي موافقة "البعد". كقوله تَعَالَى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾[2]. أي: بعد دُلُوكِ الشمس. والدُّلُوكُ: المَيلُ. يقال: دَلَكَتِ الشَّمسُ، دُلُوكًا: إذا مالت عن وسط السماء. وفي الحديث: "صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ"[3]. أي: بعد رؤيته. والله أعلم.

بَلِّغْ: أي: والمعنى الحادي والعشرون أنها تأتي للتبليغ، وهي الجَارَّةُ لاسْمِ السَّامِعِ لقول وما في معناه، نحو: "قلت لزيد"، "وأذنت له"، "وفسَّرت له". قوله: لِلْمُنَى تَصِلِ: تتميم //٦للبيت، فتصل: مجزوم بشرط مقدر دل عليه بلغ؛ أي: أن تبلغ العلم مثلا تصل للمنى؛ أي: المراد. وَكُسِرَتِ اللاَّمُ لإِطْلاَقِ القَافِيةِ. والله أعلم.

٩-{لِفِي مُقَايَسَةٌ ظَرْفِيَّةٌ سَبَبُ وفَاقُهُ مِنْ إِلَى وَالبَا بِلاَ خَلَلِ

١٠-وَاسْتَعْلِ عَوِّضْ وَوَكِّدْ مَعْ مُصَاحَبَةٍ فَعُدَّهَا عَشْرَةٌ وُقِيتَ مِنْ كَسَلِ}

هذه معاني في، وهي عشرة كما ذكر الناظم رحمه الله تَعَالَى. **لِفِي**: من المعاني: **مُقَايَسَةٌ**؛ أي: المعنى الأول أنها تأتي للمقايسة وهي الدَّاخِلَةُ بَينَ مَفْضُولٍ سَابِقٍ وَفَاضِلٍ لاَحِقٍ. كقوله تَعَالَى:

﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[4]. أي: بالقياس إلى الآخرة.

ظَرْفِيَّةٌ: أي: والمعنى الثاني أنها تأتي للظرفية. كقوله تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾[5]. فالأولى، نحو: في أدنى الأرض. والثانية، نحو: في بضع سنين، فأدنى اسم تفضيل من الدُّنُو، وبعض: اسم لما بين الثلاث إلى التسع.

سَبَبُ: أي: والمعنى الثالث أنها تأتي للسببية؛ أي: التعليل، كقوله تَعَالَى:﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ ﴾[6].

---

(١) الديوان: ١٤٣ والبيت من قصيدة يهجو فيها الأخطل، مطلعها:

أَجِدَّكَ لا يَصْحُو الفُؤادُ المُعَلَّلُ وَقَد لاحَ مِن شَيبٍ عِذارٌ وَمِسحَلُ

(٢) الإسراء: الآية٧٨

(٣) الحديث في صحيح البخاري: ٣/ ٣٤، وتمامه: وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاَثِينَ".

(٤) التوبة: الآية٣٨

(٥) الروم: الآيات ١ - ٤

(٦) يوسف: الآية٣٢

أي: بسببه. وقوله تَعَالَى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]. أي: لمسكم عذاب عظيم بسبب ما أَفَضْتُمْ؛ أي: خُضْتُمْ فِيهِ. وَفِي الحَدِيثِ: " دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا"[2]. أَيْ: بِسَبَبِ هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا.

وفَاقُهُ مِنْ: أي: والمعنى الرابع أنها تأتي موافقة "المن". كقوله[3]:(الطويل)

أَلاَ عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي العُصُرِ الخَالِي

وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ أَحْدَثُ عَهْدِهِ ثَلاثِينَ شَهْرًا، فِي ثَلاَثَةِ أَحْوَالِ؟

أي: من ثلاثة أحوال، وقيل يريد أن أحدث عهده خَمْسُ سِنِينَ وَنِصْفٌ، فهي بمعنى: "مع". "وقيل الأحوال جمع حال، لا حول؛ أي: في ثلاثة حالات نزول المطر وتعاقب الرياح، ومرور الدهور"[4].

إِلَى: أي: والمعنى الخامس أنها تأتي موافقة "لإلى". كقوله تَعَالَى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[5]. أي: إلى أفواههم.

والبَاءُ بِالمَدِّ: وقصره للوزن؛ أي: والمعنى السادس أنها تأتي موافقة للباء. كقوله[6]:(الطويل)

وَيَرْكَبُ يَوْمَ الحَرْبِ مِنَّا فَوَارِسٌ بَصِيرُونَ فِي[7] طَعنِ الأَبَاهِرِ والكُلي

أي: بصيرون بطعن. وهو بالموحدة والصاد المهملة جمع. بصير: نعت الفوارس. والأباهر: جمع الأَبْهَرِ وهو عرق إذا انقطع مات صاحبه. والكُلَى: جمع كُلْية. بِلاَ خَلَلٍ: أي: بلا نقص. **وَاسْتَغْلِ**: أي: والمعنى السابع أنها تأتي للاستعلاء، وهي التي يَحْسُنُ في موضعها "على"، كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[8]. أي: على جذوع النخل.

عَوِّضْ: أي: والمعنى الثامن أنها تأتي للتعويض، وهي الزائدة عوضا من أخرى محذوفة، كقولك:

---

(١) النور: الآية ١٤

(٢) صحيح البخاري:٤/ ١٥٧، وصحيح مسلم:٨/ ٣٥، وسنن ابن ماجة٥/ ٣٢٥، برواية: "رَبَطَتْهَا"

(٣) البيتان أولهما مطلع قصيدة امرئ القيس اللامية الشهيرة انظرهما في ديوانه: ص٢٧

(٤) هذا الشرح ثابت في مغني اللبيب ص ٢٢٥

(٥) إبراهيم: الآية٩

(٦) البيت لزيد الخيل ورواه هكذا:

وتركبُ يومَ الرَّوْع فيها فوارسٌ بصيرون في طعن الأباهر والكُلى

انظر شعره: ص٦٧، وضرائر الشعر: ص٢٣٤، وشرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ١٥٨

(٧) قال ابن أبي الربيع: وفي جعل "في" في هذا الموضع فائدة ليست للباء لو ذكرت؛ لأنه لو قال: بصيرون بهذا؛ لم يقتض أكثر من العلم به، وقد يكون بصيرا به فإذا كان وفيه ذهل خاطره عن ذلك لما هناك من الشدة فوصفهم بأنهم مع معرفتهم بأن الطعن في الأباهر والكُلَى أعظم الطعن ثابتو الخواطر عند الطعان، و "في" تقتضي ثبوت خواطرهم. انظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٢٩٦٢

(٨) طه، الآية: ٧١.

"ضربت فيمن رغبت فيه". أجاز ذلك ابن مالك قياسا على قوله[1]:(البسيط)

ولا يُـؤاتـيـك فـيـمـا نـــاب مـــن حـدث إلا أخـــو ثـــقـــةٍ، فـانـظـر بـمـن تـثـقُ

أي: من تثق به.

وَوَكِّدْ: أي: والمعنى التاسع أنها تأتي للتوكيد، وهي الزائدة لغير تعويض أجازه الفارسي[2] في الضرورة. كقوله[3]: (الرجز)

أَنَـــا أَبُـــو سَـعْـدٍ إِذَا الـلَّـيْـلُ دَجَـا تَـــخَـــالُ فِـــي سَـــــوَادِهِ يَـرَنْـدَجَـا

أي: تخال سواده يرندجا. واليَرَنْدَجُ: السواد يسود به الخف، وهو الزاج[4]، والزاج ملح معروف.

مَعْ مُصَاحَبَةٍ: أي: والمعنى العاشر أنها تأتي للمصاحبة وهي التي يحسن في موضعها "مع". كقوله تَعَالَى:" قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ"[5]. أي: مع أمم. **فَعُدَّهَا**: أي: عدد معاني مِنْ **عَشْرَةٌ وُقِيتَ**: أي: حفظت. **مِنْ كَسَلِ**، عن الطاعة: وهو التثاقل عنها والفتور فيها.

١١-{سَبِّبْ وَعَلِّلْ وَالصَقْ عَوِّضْ اسْتَعِنِ بِالبَا وَبَعِّضْ وَجَا لِلظَّرْفِ وَالبَدَلِ

١٢-جَاوِزْ وَعَدِّ وَوَكِّدْ صَاحِبِ واقْسِمْ بِبَا مَعْنَى عَلَى وَإِلَى يَهْ عَدُّهَا فَقُلِ}

(١) البيت ضمن مقطوعة من خمسة أبيات، لسالم بن وابصة في مجالس ثعلب: ١/ ٣٠٠، ونوادر أبي زيد: ص٤٩٠، والمغني: ١/ ١٢٧، والهمع: ٢/ ٢٢، وشرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ١٦١، وارتشاف الضرب: ٤/ ١٧٠٥، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٢٩٦٨

(٢) هو أبو علي الفارسي ورأيه في التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١١/ ٢١٧

(٣) لسويد بن أبي كاهل في ديوانه: ص١٧، والبيت الثاني برواية مغايرة لما هنا، وأثبت روايتنا في الهامش عن كتاب الإصابة. وفيه: "أزيدجا". وانظره في التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١١/ ٢١٨، وهو من دون عزو في ارتشاف الضرب: ٥/ ٢٣٩٥

(٤) القاموس المحيط (رنج)، واليرندج: جُلُودٌ تُسوَّى. قال ابن أحمر:

لـم تَـــدْرِ مـا نَـسْـجُ الـيَـرَنْـدَجِ قَـبْـلَـهـا ودِرَاسُ أَعْـــــوصَ دارِسٍ مُـــتَـــجَـــدِّدِ

الديوان: ص٥٢، وثلاث كتب في الحروف: ص١٠١

(٥) الأعراف: الآية٣٨

هذه معاني الباء(١)، وهي خمسة عشر كما ذكر الناظم رحمه الله تَعَالَى. سَبِّبْ: أي والمعني الأول أَنَّهَا تَأْتِي لِلسَّبَبِيَةِ، وَهْيَ الدَّاخِلَةُ عَلَى سَبَبِ الفِعْلِ. كقوله تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾(٢). أي: بسبب اتخاذكم العجل. وقوله تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾(٣). أي: لعناهم بسبب نقضهم ميثاقهم. وقوله تَعَالَى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾(٤). أي: بسبب ذنبه.

وَعَلِّلْ: أي: والمعنى الثاني أنها تأتي للتعليل. كقوله تَعَالَى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾(٥). لأجل ظلم. **ولصقْ**: أي: والمعنى الثالث أنها تأتي للإلصاق، "والإلصاق حقيقي، نحو: أمسكت بزيد أي: قبضت على شيء من جسمه، أو على ما يحبسه من ثوب ونحوه. ولو قلت: أمسكته احتمل ذلك، وأَنْ تَكُونَ مَنَعْتَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ. ومَجَازِي نحو: مَرَرْتُ بِزَيدٍ؛ أي: أَلْصَقْتُ مُرُورِي بِمَكَانٍ يَقْرُبُ مِنْ زَيدٍ"(٦).

عَوِّضْ: أي: والمعنى الرابع أنها تأتي لتعويض، وتسمى: باء المقابلة وهي الداخلة على الأثمان والأعواض(٧) حسا، كبعتك هذا الثوب بهذا العبد، فمدخول الباء هو الثمن، أو معنى نحو: كَافَيتُه إِحْسَانَهُ بضِعْفِه، فَمَدْخُولُ البَاءِ هُوَ العِوَضُ(٨). ومنه قوله تَعَالَى: " ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٩).

---

(١) القاموس المحيط (حرف الباء)

الباءُ: حَرْفُ جَرٍّ للا لْصاقِ حَقيقيًّا: أمْسَكْتُ بِزَيْدٍ ومَجازِيًّا: مَرَرْتُ به وللتَّعْدِيَةِ: ذَهَبَ اللّهُ بنُورِهِم وللاسْتِعانَةِ: كَتَبْتُ بالقَلَمِ ونَجَرت بالقَدُومِ ومنه باءُ البَسْمَلةِ وللسَّبَبِيَّةِ: فَكُلاًّ أَخَذْنا بذَنْبِهِ إنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أنْفُسَكُمْ باتِّخاذِكُمُ العِجْلَ وللمُصاحَبَةِ: اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا أي: معه وقد دَخَلُوا بالكُفْرِ وللظَّرْفِيَّةِ: ولقد نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ، ونَجَّيْناهُم بسَحَرٍ، وبأَيِّكُمُ المَفْتُونُ وللبَدَلِ:

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْماً إذا رَكِبُوا شَنُّوا الا غارَةَ رُكْباناً وفُرْسانَا

وللمُقابَلَةِ: اشْتَرَيْتُهُ بأَلْفٍ وكافَيْتُه بضِعفِ إحْسانِهِ وللمُجاوَزَةِ كعَنْ وقيل: تَخْتَصُّ بالسُّؤالِ: فاسْأَلْ به خَبِيراً أو لا تَخْتَصُّ نحوُ: ويَومَ تَشَقَّقُ السماءُ بالغَمامِ و ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيم وللاسْتِعْلاءِ: مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ وللتَّبْعِيضِ: عَيْناً يَشْرَبُ بها عِبادُ اللّهِ وامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وللقَسَمِ: أُقْسِمُ باللّهِ وللغايةِ: أحْسَنَ بي أي: أحْسَنَ إلَيَّ وللتَّوْكِيدِ: وهي الزائدَةُ وتكونُ زِيادةً واجِبةً: كأَحْسِنْ بِزَيْدٍ أي: أَحْسَنَ زَيْدٌ أي: صَارَ ذا حُسْنٍ وغالِبَةً: وهي في فاعِلِ كَفَى: كَكَفَى باللّهِ شهيداً وضرورةً كقولِهِ:

ألَم يأتِيكَ والأَنْباءُ تَنْمِي بِما لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيادِ

وحَرَكَتُها الكَسْرُ وقيلَ: الفتحُ مع الظاهِرِ نحوُ: مُرَّ بزَيْدٍ

(٢) البقرة: الآية٥٤

(٣) سورة المائدة، الآية١٣

(٤) العنكبوت: الآية٤٠

(٥) النساء: الآية١٦٠

(٦) هذه الفقرة لابن هشام في المغني ونقلها في التصريح: ٦٤٧/١

(٧) الأعواض: جمع عوض، وهو دفع شيء في مقابلة شيء آخر؛ ولذلك تسمى "باء" المقابلة. انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣١/٣

(٨) المصدر السابق: ٣١/٣

(٩) النحل: الآية٣٢

اِسْتَعِنْ: أي: والمعنى الخامس أنها تأتي للاستعانة، وتسمى باء الآلة، وهي الدَّاخِلَةُ علَى آلةِ الفِعْلِ. نحو: "كَتَبْتُ بِالقَلَمِ". "ونَجَرْتُ بِالقُدومِ". بِالبَا: متعلقة بسبب. وما عطف عليه.

وَبَعْضْ: أي: والمعنى السادس أنها تأتي للتبعيض كقوله تَعَالَى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾[1]. أي: منها. وقوله تَعَالَى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾[2]. أي: بعض رؤوسكم. وعليه بنَى الشافعي في مسح بَعضِ الرأس في الوضوء[3]. ومنه قوله[4]: (الطويل)

شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

أي من ماء البحر.

وجاءت الباء أيضًا **للظرف**: أي: والمعنى السابع أنها تأتي للظرفية، وهي التي تصلح في مكانها "في"، ثم الظَّرْفِيَّة مكانية وزمانية، والمكانية كقوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[5]. أي: في بدر: موضع بين عرفة والمدينة[6] وقعت فيه غزوة بدر الكبرى. وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾[7]. أي: في جانب الغربي. والزمانية، كقوله تَعَالَى: ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾[8]. أي: في سحر. وَالبَدَلِ: أي: والمعنى الثامن أنها تأتي للبدل، وهي التي تصلح في مكانها "بدل"، كقول رافع بن خديج الصحابي رضي الله عنه[9]: " مَا يَسُرُّنِي أَنِّي شَهِدْتُ بَدْرًا بِالْعَقَبَةِ "[10]. أي: بدل العقبة. ونحو: "مَا يَسُرُّنِي بِهَا حُمُرَ النَّعَمِ".

---

(١) الإنسان: الآية٦

(٢) المائدة: الآية٦

(٣) الأم للشافعي: ١/ ٢٦

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي من قصيدة، مطلعها:

صَبَا صَبْوَةً بَلْ لَجَّ وَهْوَ لَجُوجُ وزالَتْ لَهُ بِالأنعمينِ حدوجُ

ورواية البيت هي:

تروت بماء البحر ثم تنبصت كضَرائِرِ عَلَى حبشيات لَهُن نئيج

والرواية المثبتة هنا هي رواية الأصمعي كما هي في الشرح.

انظر شرح أشعار الهذليين:١٢٨، والتصريح: ٦٣٠/١

(٥) آل عمران: الآية١٢٣

(٦) هذا ما ورد في الأصل، والصحيح: بَدْرٌ مَاءٌ عَنْ يَمِينِ طَرِيقِ مَكَّةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. وقد اختلف في تسميته بدرًا، قال: كانت"بدر" بئرًا لرجل يقال له"بدر"، فسميت به، وأنكر ذلك آخرون وقالوا: ذلك اسم سميت به البقعة، كما سمى سائر البلدان بأسمائها. جامع البيان: ٦/ ١٨ و٧/ ١٧٠، ومعجم البلدان: ١/ ٣٥٧

(٧) القصص: الآية٤٤

(٨) القمر: الآية٣٤

(٩) رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي الحارثي: صحابي. كان عريف قومه بالمدينة، وشهد أحدا، والخندق. توفي في المدينة متأثرًا من جراحه. له ٧٨ حديثا. توفي سنة ٧٤هـ انظر الأعلام: ٣/ ١٢

(١٠) صحيح البخاري:٥/ ١٠٣، والمختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح: ٤/ ١٤٨

أي: بدَلَهَا. وكقوله[1]:(البسيط)

فـلَـيْـتَ لـي بِـهِـمُ قـومـاً إذا رَكِـبـوا شَـنُّـوا الإغـارةَ فُـرْسـانـاً ورُكْـبـانـا

أي: بدلهم.

جَاوِزْ: أي: والمعنى التاسع أنها تأتي للمجاوزة، وهي التي تصلح في مكانها "عَنْ"، قيل وتختص بالسؤال، كقوله تَعَالَى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2]. أي: عنه بدليل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾[3]. وقيل لا تختص بالسؤال، كقوله تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ﴾[4]. أي: عن الغمام. وقوله تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾[5]. أي: عن أيمانهم.

وَعَدِّ: أي: والمعنى العاشر أنها تأتي للتعدية. نحو: "ذهبت بزيد"؛ أي: أذهبت زيدًا[6]. ومنه قوله تَعَالَى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[7]. أي: أَذْهَبَ اللهُ نُورَهم.

وَوَكِّدْ: أي: والمعنى الحادي عشر أنها تأتي للتوكيد. وهي الزائدة، وتزاد مع الفاعل. كقوله تَعَالَى: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[8]. أي: كفى الله شهيدا. ومع المفعول، كقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[9]. أي: أيديكم. ومع المبتدأ، نحو:" بحسبك درهم". أي: حسبك درهم. ومع خبر ليس، نحو:" ليس زيد بقائم". أي: ليس زيد قائمًا.

صَاحِب: أي: والمعنى الثاني عشر أنها تأتي للمصاحبة، وهي التي تصلح في موضعها "مع". كقوله تَعَالَى: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾[10]. أي: مع سلام منا. **وَاقْسِمْ بِبَا**: أي: والمعنى الثالث عشر[11] أنها تأتي للقسم، نحو:" بِكَ لأَفْعَلَنَّ". أي: أُقْسِمُ بِكَ. **مَعْنَى عَلَى**: أي: والمعنى الرابع عشر أنها تأتي للاستعلاء،

---

(١) البيت لقريط بن أنيف، وهو من حماسيته الشهيرة، والتي أثبتها أبو تمام في مطلع الحماسة، وأولها:

لَـوْ كُـنْـتُ مِـنْ مَـازِنٍ لَـمْ تَـسْـتَـبِـحْ إِبِـلـي بَـنُـو الـلَّـقِـيـطَـةِ مِـنْ ذُهْـلِ بْـنِ شَـيْـبَـانَـا

انظر شرح الحماسة للمرزوقي: ٢٣/١

(٢) الفرقان: الآية٥٩

(٣) الأحزاب: الآية٢٠

(٤) الفرقان: الآية٢٥

(٥) الحديد: الآية١٢

(٦) قوله (ذهب الله بنورهم) الباء هنا معدية للفعل كتعدية الهمزة له، والتقدير أذهب الله نورهم، ومثله في القرآن كثير، وقد تأتى الباء في مثل هذا للحال كقولك ذهبت بزيد؛ أي: ذهبت ومعي زيد. انظر إعراب كامل لآيات القرآن مع التعرض لبعض وجوه القراءات: ١/ ٢٦

(٧) البقرة: الآية١٧

(٨) الرعد: الآية٤٣

(٩) البقرة: الآية١٩٥

(١٠) هود: الآية٤٨

(١١) (عشر) ساقطة من الأصل.

وهي التي تصلح في موضعها "على". كقوله تَعَالَى: ﴿ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ ﴾[1]. أي: على قنطار بدليل قوله تَعَالَى: ﴿ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ ﴾[2]. وكقوله تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴾[3]. أي: مروا عليهم، بدليل قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ﴾[4].

وَإِلَى: أي: والمعنى الخامس عشر أنها تأتي للغاية، وهي التي بمعنى "إلى". كقوله تَعَالَى: ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ ﴾[5]. أي: إِلَيَّ. وَقِيلَ ضَمَّن "أَحْسَنَ" مَعْنَى "لَطفَ".

يَهْ عَدُّهَا: يعني أن عدد معانيها خمسة عشر معنًى، فالياء عشرة والهاء خمسة. **فَقُلِ**: تتميم للبيت أي: فقل ما ذكرت //٨لك من معانيها. والله أعلم.

١٣-{عَلَى مَعَانِيهِ الِاسْتِعْلاَ مُوَافِقَةٌ فِي عَنْ وَبَا مَعْ وَلَكِنْ بَلْ مَعًا تَصِلِ

١٤-عَلِّلْ وَزِدْ مَعْنَى مِنْ زِيَادَةٌ عِوَضًا فَذَاكَ خَمْسٌ وَخَمْسٌ إِنْ حَمَلْتَ سَلِ}

هذه معاني على، وهي عشرة كما ذكر الناظم رحمه الله تَعَالَى. **عَلَى مَعَانِيهِ الِاسْتِعْلاَ**: أي: المعنى الأول أنها تأتي للاستعلاء، وهو الأصل فيها إما على المجرور، وهو الغالب، كقوله تَعَالَى: ﴿ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴾ [6]. أو على ما يقرب منه. كقوله تَعَالَى: ﴿ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾[7]. ويكون الاستعلاء حقيقة كما تقدم، ومجازا كقوله تعلى: ﴿ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾[8]. وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ ﴾[9].

مُوَافِقَةٌ فِي: أي: والمعنى الثاني أنها تأتي للظرفية "كفي". كقوله تَعَالَى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ ﴾[10]. أي: في حين غفلة. عَنْ: أي: والمعنى الثالث أنها تأتي للمجاورة، "كعن". كقول قحيف العامري[11]:(الوافر)

---

(١) آل عمران: الآية٧٥

(٢) يوسف: الآية٦٨

(٣) المطففين: الآية٣٠

(٤) الصافات: الآية١٣٧

(٥) يوسف: الآية١٠٠

(٦) المؤمنون: الآية٢٢

(٧) طه: الآية١٠

(٨) البقرة: الآية ٢٥٣

(٩) الشعراء: الآية١٤

(١٠) القصص: الآية١٥

(١١) هكذا ورد في الأصل، والصحيح أنه القُحَيْفُ ابن ضمير (بالمعجمة) بن سليم العُقَيلِي، العامري، من الشعراء الإسلاميين، شاعر مقل شبب بخرقاء مَحْبوبَة ذي الرَّمة، ورثى الشاعر يزيد بن الطثرية، وذكره الجمحي في طبقاته:٢/٧٩١ مترجما له في الطبقة العاشرة، توفى نحو ١٣٠ هـ، والبيت من كلمة يمدح فيها حكيم المسيب القشيري في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٣/ ١٢٢٦، ومن دون عزو في شرح ألفية ابن مالك: ص١٣، وشرح ابن عقيل:٣/ ٢٥، وشرح الرضي على الكافية: ٤/ ٢٧٢

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو[1] قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاها

أي: إذا رضيت عني. وبنو قشير بضم القاف وفتح الشين المعجمة: اسم قبيلة[2]. ولذلك أعاد الضمير عليها مؤنثا. ويحتمل أن "رضي" ضُمِّنَ معنى: عَطَفَ.

وَبَا: أي: والمعنى الرابع أنها تأتي موافقة للباء. كقوله تَعَالَى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[3]. أي: بأن لا أقول، فعلى بألف بعد اللام في اللفظ، وبذلك قَرَأَ "أُبَيٌّ"[4] رضي الله عنه وهي قراءة السبعة. وقالوا:" ركب على اسم الله"؛ أي: باسم الله.

مَعْ: بالسكون لغة في مَعَ؛ أي: والمعنى الخامس أنها تأتي للمصاحبة، "كَمَعَ". قوله تَعَالَى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى﴾[5]. أي: مع حبه. وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[6]. أي: مع ظلمهم. وَلَكِنْ بَلْ: أي: والمعنى الخامس أنها تأتي للاستدراك والإضراب. **مَعًا**: كقوله[7]:(الطويل)

بكلٍّ تداوَينا فلم يُشفَ ما بنا على أن قرب الدارِ خيرٌ من البعد

على أن قربَ الدار لَيسَ بِنافعٍ إذا كان مِنْ تهواهُ ليسَ بذي وُد

أَبْطَلَ بِعَلَى الأول عموم قوله: "فلم يشف ما بنا"، فقال: بل إن فيه شِفَاءً مَا، ثُمَّ أَبْطَلَ بالثانية قوله:" على أن قرب الدار خير من البعد".

تَصَلِ: تتميم للبيت. أي: تصل على المعنى: الاستدراك والإضراب. والله أعلم. **عَلِّلْ**: والمعنى التاسع أنها تأتي للتعليل كاللام، كقوله تَعَالَى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[8]. أي: لهدايته إياكم. وكقول

---

(١) في الأصل: (بني). خطأ.

(٢) قشير بن كعب: بطن من عامر بن صعصعه، من هوازن، من العدنانية، وهم: بنو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان. معجم قبائل العرب: ٣/ ٩٥٤

(٣) الأعراف: الآية١٠٥

(٤) أُبَيُّ بنُ كَعْبِ بنِ قَيسِ بنِ عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر: صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود، ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وفي الحديث: "أَقْرَأُ أُمَّتِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ". مات بالمدينة سنة ٢١هـ. الأعلام للزركلي: ١/ ٨٢.

(٥) البقرة: الآية١٧٧

(٦) الرعد: الآية٦

(٧) لأبي صخر الهذلي في أمالي ابن الحاجب: ١/ ٤٥٤، والبيت الأول في الديوان: ص٨٢، ونقل محققه البيت الثاني في الهامش، كأنه زيادة فيها. وهما ضمن قصيدة له في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ١/١٦٠، ومن دون عزو في حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٣٣٢

(٨) البقرة: الآية ١٨٥

الشاعر[1]:(الطويل)

عَـــلامَ تَـقـــولُ الـــرُّمْـــحُ يُـثْـقِـلُ عـاتِـقـي إذا أَنـــا لَـــمْ أَطـعـنْ، إذا الـخَـيْـلُ كَـرَّتِ

وَزِدْ: أنت. **مَعْنَى مِنْ**: قوله: زد: فعل أمر، ومفعوله معنى؛ أي والمعنى الثامن أنها تأتي موافقة "لمن". كقوله تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾[2]. أي: من الناس.

زِيَادَةٌ: بالعطف على المفعول، زد بحذف حرف العطف؛ أي والمعنى التاسع أنها تأتي زائدة لغير تعويض، كقول حميد بن ثور[3]:(الطويل)

أبـــى الـــلـــهُ إلّا أنَّ سَـــرْحَـــةَ مـالـكٍ عـلـى كُـــلِ أفـنـــانِ الـعِـضـاهِ تَـــروقُ

فعلى: زائدة؛ لأن راق متعدية بنفسها. تقول: رَاقَنِي حُسْنُ الجَارِيَةِ. قال في المغني: "وفيه نظر لأن راقه الشيء بمنزلة أعجبه، ولا معنى له هنا، وإنما المراد تعلو"[4]. والله أعلم.

عِوَضًا: أي: والمعنى العاشر أنها تأتي زائدة للتعويض من أخرى محذوفة. كقوله[5]: (الرجز)

إنَّ الـــكَـــرِيـــمَ وأبْـــيـــك يَـعْـتَـمِـلْ إنْ لَـمْ يَـجِـدْ يَـوْمـاً عَـلَـى مَـنْ يَـتَّـكِـلْ

أي: عليه، فحذف "عليه"، وزاد "على" قبل الموصول تعويضًا.

فَذَاكَ خَمْسٌ وَخَمْسٌ: أي: عشرة معاني لعلَى. وزاد في التصريح[6] أنها تأتي بمعنى "عند". كقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ ﴾[7]. أي: عندي. وإن جهلت: معانيها.

سَلِ: عنها. وكسرت اللام للقافية. والله أعلم.

١٥- {عَـنْ لِـلـتَّـجَـاوُزِ وَاسْـتِـعَـانَـةٍ وَأَتَـــى كَـالْـبَـا وَفِـي مِـنْ وَجَـا مِـنْ أَحْـرُفِ العِلَلِ

١٦- وَاسْـتَـعْـلِ وِفْـقَـهُ بَـعْـدَ زِدْهُ لِـلْـعِوَضِ تَـــمَـــامُ عَـشْـرَتِـهِ إنْ عُـدَّ بِـالـبَـــدَلِ}

---

(١) لعمرو بن معدي كرب في ديوانه: ص٧٢، والأصمعيات: القصيدة ٣٤، ومطلع القصيدة:

ومُـــردٍ عَـلَـى جُـــردٍ شَـهِـدْتُ طِـرادَهـا قُـبـيـلَ طُـلُـــوعِ أو حـيـــنَ ذَرَّتِ

وشرح التسهيل لابن مالك: ٢/ ٩٥، ومن دون عزو في التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١١/ ٢٣٦، وحاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٤٧

(٢) المطففين: الآية٢

(٣) الديوان: ص٤١، والبيت من قصيدة طويلة ذكرها الميمني في الديوان ومطلعها:

نـــأتْ أمُّ عـمـرٍو فـالـفـؤادُ مَـشـوقُ يـــحِـــنُّ إلـيـهـا نـــازعـــاً ويَـــتُـــوقُ

وهو في ارتشاف الضرب: ٥/ ٢٣٩٥، وشرح شواهد المغني: ١/ ٤٢٠

(٤) مغني اللبيب: ص: ١٩٢

(٥) رجز قيل في سعد بن زيد مناه - وانظره في: الأشموني: ٢/ ٢٢٢، والتصريح: ٢/ ١٥١، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٢٩٦٧. والجنى الداني في حروف المعاني: ص٨١،

(٦) التصريح: ١٥١/١

(٧) الشعراء: الآية١٤

هذه معاني عن، وهي عشرة كما ذكر الناظم رحمه الله تَعَالَى. **عَنْ لِلتَّجَاوُزِ**؛ أي: المعنى الأول أنها تأتي للمجاوزة، وهي الأصل فيها، نحو:" سافرت عن البلد"، "وَرَمَيتُ عَنِ القَوْسِ". والمجاوزة هي بُعْدُ الشيء عن المجرور بها بواسطة مصدر الفعل المعدى بها؛ أي بُعْدَ السَّهْمِ عَنِ القَوْسِ //٩بِسَبَبِ الرَّمْيَ في نحو قولك:" رَمَيتُ عَنِ القَوْسِ بِهَا".

وَاسْتِعَانَةٍ: أي: والمعنى الثاني أنها تأتي للاستعانة، نحو:" رميت عن القوس"؛ أي: بالقوس. **وَأَتَى كَالبَا**: أي: والمعنى الثالث أنها تأتي موافقة للباء، كقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[١]. قال في المغني: "والظاهر أنها تأتي موافقة للباء، وعلى حقيقتها، وأن المعنى: وما يصدر قوله عن هوى"[٢].

وَفِي: أي والمعنى الرابع أنها تأتي للظرفية، "كفي". كقوله[٣]:(الطويل)

وآس سـراةَ الـحـيّ؛ حـيـث لـقِـيـتَـهـم ولا تـكُ عـن حَـمْـل الـرّبـاعـة وانـيـا

أي: في حمل، بدليل قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾[٤]. "والظاهر أن معنى وَنَا عن كذا: أي: جاوزه ولم يرَ فيه. ووني فيه: دخل فيه، وفتر". قاله في المغني[٥]. والرُّبَاعِيَةُ بِالمُوَحَدَةِ: نُجُومُ الحَمالَة. والله أعلم.

مِنْ: أي: والمعنى الخامس أنها تأتي موافقة "لِمِنْ". كقوله تَعَالَى: ﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾[٦]. أي من عباده. وقوله تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾[٧]. أي: منهم، بدليل قوله تَعَالَى: ﴿فَنُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾[٨].

وَجَا مِنْ أَحْرُفِ العِلَلِ: أي: والمعنى السادس أنها تأتي حرف علة من أحرف العلل، كقوله تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾[٩]. أي إلا لموعدة. وقوله تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾[١٠]. أي: لقولك.

---

(١) النجم: الآية٣

(٢) مغني اللبيب: ص ١٩٨، وفي النص زيادة مقحمة من الناسخ، وأظنها وهما منه.

(٣) للأعشى في ديوانه: ص٣٧٩، من قصيدة مطلعها:

ذريـنـي - لـك الـويـلات - آتـي الـغـوانـيـا مـتـى كـنـت زرّاعـا أسـوق الـسّـوانـيـا

من دون عزو في شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ١٦١، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٢٩٦٧، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١١/ ٢٢٦

(٤) طه: الآية٤٢

(٥) مغني اللبيب: ص ١٩٨

(٦) الشورى: الآية ٢٥

(٧) الأحقاف: الآية١٦

(٨) المائدة: الآية٢٧

(٩) التوبة: ١١٤

(١٠) هود: الآية٥٣

وَاسْتَعْلِ: أي والمعنى السابع أنها تأتي للاستعلاء "كَعَلَى". كقوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[1]. أي: على نفسه. وكقول ذِي الإِصْبَعِ العَدْوَانِي، واسمه حُرْثَانُ بنُ الحَارِثِ بنِ مُحَرِّثٍ[2](البسيط):

لاَهِ ابـنُ عَـمِّـكَ! لاَ أُفْـضِـلْـتَ فـي حَـسَـبٍ عَـنِّـي وَلا أَنـتَ دَيَّـانـي فَـتَـخْـزُونـي

لاه: أصله: لله، فحذفت اللاَّمَانِ الجَارَّةُ، والأخرى شُذُوذًا؛ أي: لله در ابن عمك. لا أفضلت في حسبك عني؛ أي: علي؛ لأن المعروف أن يقال: أفضلت عليه. "والحَسب: الدِّينُ، وما يعده الإنسان من مفاخر آبائه. والديان: الملك. وتخزوني: تسوسني؛ أي: ولا أنت مالكي فتسوسني". انظر المغني[3] والتصريح[4]. والله أعلم. **وِفْقَهُ**: بغير مد للهاء للوزن. والله أعلم. **بَعْدَ**: أي: والمعنى الثامن أنها تأتي موافقة "البعد". كقوله تَعَالَى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[5]. وقوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾[6]. أي: حالا بعد حال.

زِدْهُ لِلْعِوَضِ: أي: والمعنى التاسع أنها تأتي زَائِدَةً للتَّعْويضِ مِنْ أَخْرَى مَحْذُوفَةٍ، كقوله[7]: (الطويل)

أتـجـزَعُ إنْ نـفـسٌ أتـاهـا حِـمـامُـهـا فـهـلّا الـتـي عـن بـيـن جـنـبـيـكَ تـدفَـعُ

أي: " فهلا تدفع التي عن بين جنبك"[8]، فحذفت "عَنْ" مِنْ أَوَّلِ المَوْصُولِ، وَزِيدَتْ بَعْدَهُ تَعْويضًا. تَمَامُ: مبتدأ. عَشْرَتِهِ إِنْ عُدَّتْ: معانيه خبره.

بِالبَدَلِ: أي والمعنى العاشر أنها تأتي للبدل، كقوله تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[9].

---

(١) هود: الآية٣٨

(٢) البيت من قصيدة طويلة قالها ذو الإصبع في مزين بن جابر ومطلعها:

يَـا مَـنْ لِـقَـلْـبٍ شَـدِيـدِ الـهَـمِ مَـحْـزُونِ أمْـسَـى تَـذَكَّـرَ رَيَّـا أمَّ هَـرْونِ

ديوانه: ص٨٩، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٣/ ١٢٢٩، وحروف المعاني: ص: ٧٩، ومن دون عزو في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:٣/٤١، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢/ ٧٦٠، هذا ما ورد في الأصل خطأ، والصحيح: الحرثان بن الحارث بن مجرب.

(٣) مغني اللبيب: ص ١٩٦

(٤) التصريح: ٦٥٣/١

(٥) المؤمنون: ٤٠

(٦) الانشقاق /١٩

(٧) البيت لزيد بن رزين بن الملوح المحاربي شاعر فارس، في المؤتلف والمختلف: ص٨٧، ضمن أربعة أبيات منسوبة إليه، والشاهد خامسها. ومن دون عزو في تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٤/ ١٦٦٣، شرح التسهيل لابن مالك: ٢/ ١٤٠. وفي الأصل: "أتجزع نفس إن أتاها".

(٨) القول هنا لابن جني. انظر التصريح: ص٦٥٤

(٩) البقرة: الآية٤٨، ١٢٣

أي: بدل نفس. وفي الحديث: " صُومِي عَنْ أُمِّكِ"[1]. والله أعلم.

١٧- {بِالكَافِ شَبِّهْ وَعَلِّلْ زِدْ وَوِفْقَ عَلَى يَا للهُ لِي كُنْ غَفُورًا سَاتِرًا زَلَلِ}

هذه معاني الكاف، وهي أربعة، **بِالكَافِ شَبِّهْ**؛ أي المعنى// ١٠ الأول أنها تأتي للتشبيه، وهو الأصل فيها نحو:" زيد كالأسد". ومنه قوله تَعَالَى: ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾[2]. قال في ذي الجلالين: فكانت يعني: أسماء. وردة؛ أي: مِثْلَهَا مُحْمَرَّة، "كَالدِّهَانِ" كَالْأَدِيمِ الْأَحْمَر عَلَى خِلَاف الْعَهْد بِهَا"[3].

وَعَلِّلْ: أي: والمعنى الثاني أنها تأتي للتعليل، كقوله تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾[4]. فالكاف: تعليلية. وما: مصدرية. أي: لهدايته إياكم.

زِدْ: أي: والمعنى الثالث أنها تأتي للتوكيد، وهي الزَّائِدَةُ، كقوله تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[5]. أي: ليس مثله شيء، إذ لو لم تقدر زائدة، صار المعنى ليس شيء مثل مثله، فَيَلْزَمُ المُحَالُ، وهو إِثْبَاتُ المِثْلِ.

وَوِفْقَ عَلَى: أي: والمعنى الرابع أنها تأتي للاستعلاء "كَعَلَى". قيل لبعضهم، وهو رؤبة كيف أصبحت ؟ قال كخير: أي: على خير. وقيل المعنى بخير، ولم يثبت مجيء الكاف، بمعنى الباء، وقيل هنا هي للتشبيه على حذف مضاف؛ أي: كصاحب خير.

يَا للهُ لِي كُنْ غَفُورًا: لذنوبي، وسَاتِرًا زَلَلِ: أي: عثرتي. والزَّلَلُ: العُدُولُ عَنِ الحَقِّ الذي هو شَبِيهٌ بِالزَّلَلِ فِي طِينٍ، أو وَحَلٍ.

١٨- {حَتَّى لَهُ غَايَةٌ وَوِفْقَ كَيْ وَيَجِئْ وِفْقًا لإِ لاَّ وَفِيهِ الابْتِدَاءُ جَلِي}

هذه معاني حتى: الجَارَّةُ وهي ثَلاثَةٌ، وتُستَعْمَلُ حَتَّى علَى ثَلاثَةِ أَوجُهٍ:

الوجه الأول: أن تكون جارة بمنزلة "إلى" في المعنى والعمل، وإليه أشار الناظم بقوله: **حَتَّى لَهُ غَايَةٌ**؛ أي: المعنى الأول من معاني حتى الجارة أنها تأتي لانتهاء الغاية في المكان والزمان. مثالها في المكان:" أكلت السمكة حتى رأسها". ومثالها في الزمان: قوله: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[6]. وقوله تَعَالَى:

(١) أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دَاوُدَ الْعَلَوِيُّ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بِشْرٍ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَطَاءٍ الْمَدَنِىُّ حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِىُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى كُنْتُ تَصَدَّقْتُ بِوَلِيدَةٍ عَلَى أُمِّي فَمَاتَتْ أُمِّي وَبَقِيَتِ الْوَلِيدَةُ قَالَ: " قَدْ وَجَبَ أَجْرُكِ وَرَجَعَتْ إِلَيْكِ فِى الْمِيرَاثِ ". قَالَتْ: فَإِنَّهَا مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ قَالَ: " صُومِى عَنْ أُمِّكِ ". قَالَتْ: وَإِنَّهَا مَاتَتْ وَلَمْ تَحُجَّ قَالَ: " فَحُجِّى عَنْ أُمِّكِ ". أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِى الصَّحِيحِ مِنْ أَوْجُهٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطَاءٍ. السنن الكبرى للبيهقي:٤/ ١٥١

(٢) الرحمن: الآية٣٧

(٣) تفسير الجلالين: ١٠/ ٤٤٩

(٤) البقرة: الآية١٩٨

(٥) الشورى: الآية١١

(٦) القدر: الآية٥

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[1]. قال خالد[2] في شرح قواعد الإعراب: " وهل مجرورها داخل فيما قبلها، أو خارج عنه، أو داخل تارة وخارج أخرى أقوال؟ ذهب سيبويه إلى الأول، وأبو حيان إلى الثاني[3]، وثعلب إلى الثالث"[4]. وهي تجر الاسم الصريح كما مثلنا والاسم المؤول من أنّ مضمرة ومن الفعل المضارع، كقوله تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[5]. الأصل حتى أن يرجع؛ أي: إلى رجوعه بتأويل المصدر منْ أَنَّ والفعل؛ أي: إلى زمان رجوعه.

وَوِفْقَ كَيْ: أي: والمعنى الثاني أنها تأتي للتعليل وهي التي تصلح "كي" في موضعها، وذلك إذا كان ما قبلها علة لما بعدها نحو:" أسلم حتى تدخل الجنة". أي: كي تدخل الجنة؛ أي: لأجل دخول الجنة. وتختص حتى التي بمعنى "كي" التعليلية بجر الاسم المؤول من أن والفعل، فلا تكون حتى الجارة للاسم الصريح بمعنى//١١ "كي" والله أعلم. **وَيَجِئْ**: أي: حتى. **وَوِفْقًا لِإِ لا**: أي: والمعنى الثالث أنها تأتي موافقة لإلا في الاستثناء، كقوله[6]: (الكامل)

لَيْسَ العَطاءُ مِن الفُضُولِ سَماحةً حتى تَجودَ وما لَدَيْكَ قَليل

أي: إلا أن تجود، والواو في: وما لديك للحال.

الوجه الثاني من أوجه حتى أن تكون حرف عطف، ولم يذكر الناظم؛ لأن المقصود هنا حتى الجارة لا العاطفة، وهي أي: حتى العاطفة تفيد مطلق الجمع من غير ترتيب، ولا معية على الأصح كالواو، ويشترط في المعطوف بها أمران: أحدهما أن يكون غاية لما قبلها في شرف. نحو: قولك: "مات الناس حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"، أو دناءة نحو:" زارني الناس حتى الحجامون"، أو ضَعْف، أو قوة، كقوله[7]: (الطويل)

قَهَرْنَاكُمُ حَتَّى الكُمَاةَ فَأَنْتُمُ تَهَابُونَنَا حَتَّى بَنِينَا الأَصَاغِرَا

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام غاية للناس في شرف المقدار، والحجامون غاية للناس في دناءة

(١) يوسف: الآية٣٥

(٢) خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن أحمد الجرجاوي، الأزهري، المصري، الشافعي، ويعرف بالوقاد (زين الدين) نحوي، لغوي ولد بجرجة من الصعيد سنة ٨٣٨هـ تقريبًا، وتوفي بالقاهرة في المحرم من سنة ٩٠٥هـ. له عدة مؤلفات. انظر معجم المؤلفين: ٤/ ٩٦.

(٣) انظر رأيه في ارتشاف الضرب: ٤/ ١٧٥٥

(٤) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: ص ١٠٥

(٥) طه: الآية٩١

(٦) للمقنع الكندي، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية. والبيت مع بيتين في ديوانه: ص١١٠، وينظر شرح الحماسة للمرزوقي ١٧٣٤/٤ ، من دون عزو في الجنى الداني في حروف المعاني: ص٩٤، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٣/ ١٢٥٠، وشرح شذور الذهب: ٢/ ٥٢٨

(٧) من دون عزو في شرح ألفية ابن مالك: ص١٣٢، شرح ألفية ابن مالك للشاطبي:٥/ ٩٦، وحاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ١٤١، وارتشاف الضرب: ٤/ ١٩٩٩، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: ص: ١٠٨

المقدار، والكُماةُ[1] غاية في القوة، والبَنُون الأصاغر غاية في الضعف.

وثانيهما أن يكون بعضًا من المعطوف عليه حقيقة، أو حكمًا، فالبعض الحقيقي، نحو: "أكلت السمكة حتى رأسها". والبعض الحكمي، نحو:" أعجبتني الجارية حتى كلامها"؛ لأن الكلام في عدم استقلاله بنفسه واحتياجه إليها كجزء منها، ويمتنع أن تقول:" أعجبتني الجارية حتى ولدها"؛ لأن الولد مستقل بنفسه وغير قائم بها، والضابط ما صح استثناؤه مما قبله على الاتصال صح دخول حتى عليه، ألا ترى أنه يصح أن يقول: "أعجبتني الجارية إلا كلامها"، ويمتنع أن يقال: إلا ولدها لعدم دخوله فيها. **وفيه:** أي: حتى **الابتداء** جلي أي: ظاهر. أي: الوجه الثالث من أوجه حتى أن تكون حرف ابتداء، يبدأ بعدها الجمل؛ أي: يستأنف، فتدخل على ثلاثة أشياء تدخل الجملة الفعلية المبدوءة بالمضارع المرفوع، كقوله تَعَالَى: ﴿ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾[2]. في قراءة نافع[3]. وأما إن نصب المضارع كقراءة باقي السبعة[4]، فهي جارة، ومجرورها اسم مأوَّل مِنْ: أنَّ والفعل كَمَا تقدم في الجارة . وتدخل أي: حتى الابتدائية على الجملة الفعلية المبدوءة بالماضي، كقوله تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ ﴾"[5]. وتدخل أيضًا على الجملة، -ورجع-[6] الاسمية، كقول جرير[7]:(الطويل)

فَمَا زَالَتِ القَتْلَى تَمُجُّ دِمَاءَهَا بِدَجْلَةَ، حَتَّى مَاءُ دَجْلَةَ أَشْكَلُ

وكقول الفرزدق[8]:(الطويل)

فيا عَجَباً حَتَّى كُلَيْبٌ تَسَبُّني كأنَّ أباها نَهْشَلٌ أو مُجَاشِعٌ

قال في المغني: " قَدْ يَكُونُ المَوْضِعُ صَالِحًا لِأَقْسَامِ حَتَّى الثَّالِثة، نَحْوُ: أَكَلْتُ السَّمَكَةَ حَتَّى رَأْسِهَا،

---

(١) في الأصل بالتاء المبسوطة.

(٢) البقرة، الآية: ٢١٤.

(٣) قَرَأَ نافع حتى يقول الرسول بالرفع وحجته أنها بمعنى قال الرسول على الماضي وليست على المستقبل وإنما ينصب من هذا الباب ما كان مستقبلا مثل قوله:" أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ "، " حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ "، فرفع يقول ليعلم أنه ماض. حجة القراءات: ص١٣١، والجنى الداني في حروف المعاني: ص: ٩٤

(٤) وقرأ الباقون حتى يقول بالنصب وحجتهم أنها بمعنى الانتظار، وهو حكاية حال المعنى وزلزلوا إلى أن يقول الرسول. حجة القراءات: ص: ١٣١

(٥) الأعراف: الآية ٩٥

(٦) هذه كلمة معترضة لم أتبين لها معنى.

(٧) البيت من قصيدته المذكورة سابقا، وروايته:

ومَا زَالَتِ القَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهَا...

انظر الديوان: ص١٤٣، والجنى الداني في حروف المعاني: ص٩٤

(٨) البيت من قصيدته الشهيرة التي يهجو فيها جريرا ويرد عليه، ومطلعها:

منا الذي اختيرَ الرجالَ سَماحةً وخيراً إذا هبّ الرياحُ الزعازعُ

وفيه: فيا عجبي" بدل ما هنا. انظر الديوان: ص٣٦١

فَلَكَ أَنْ تَخْفِضَ عَلَى مَعْنَى إِلَى، وَأَنْ تَنْصِبَ عَلَى مَعْنَى الوَاوِ، وَأَنْ تَرْفَعَ عَلَى الابْتِدَاءِ؛ أي: حَتَّى رَأْسُهَا مَأْكُولٌ"[1]. وقد روى بالأوجه الثلاثة[2]:(البسيط)

عَمَمْتَهُم بِالنَّدَى حتّى غواتهم فكنت مالك ذي غيٍّ وذي رَشَد

إلا أن الرفع في المثال والبيت شاذ لكون الخبر غير مذكور. والله أعلم.

١٩- {خَلاَ وَحَاشَى للاسْتَثْنَا كَذَاكَ عَدَا لِمُنْذُ مُذْ وفْقَ فِي مِنْ عِهْ وَلاَ تَمِلِ}

هذا معنى: خلا وحاشا بإثبات الألفين، وحاش بإسقاط الألف الثانية، وحشا بإسقاط الأولى، **وعدا ومعينا منذ ومذ خلا، وحاشا للاستثناء**: يعنى أن خلا و حاشا: معناهما الاستثناء، //١٢ما خلا فتستعمل على وجهين، أحدهما: أن تكون حرفًا جارًا للمستثنى، كقوله[3]:(الطويل)

خَلاَ اللهِ لاَ أَرْجُو سِوَاكَ وَإِنَّمَا أَعُدُّ عِيَالِى شُعْبَةً مِنْ عِيَالِكَا

الثاني: أن تكون فعلاً متعديًا ناصبًا للمستثنى، نحو:" قاموا خلا زيدًا"[4]. وأما حشا فكخلا أيضًا في جر المستثنى بها على أنها حرف جر[5]، ونصبه بها على أنها فعل ناصب له، نحو: "قام القوم حاشا زيد بالجر، وحاشا زيدًا بالنصب". ومن النصب قوله[6]:(البسيط)

حاشا قريشاً فإنّ الله فَضَّلَهُم على البَرِيَّةِ بالإسلامِ والدِّينِ

كذاك عدا: يعني أن عدا معناها الاستثناء كخلا، وحاشا، وهي كهما في ذكرنا من الوجهين، فالتشبيه تام، فتستعمل على وجهين، أحدهما: أن تكون حرفًا جارًا للمستثنى، وهو أي الجر بها قليل ولقلته لم يحفظه سيبويه[7]، كقوله[8]:(الوافر)

تَرَكْنَا فِي الحَضِيضِ بَنَاتَ عُوجٍ عَوَاكِفَ[9] قَدْ خَضَعْنَ إلَى النُّسُورِ

(١) مغني اللبيب: ص١٧٥

(٢) شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ١٦٧، والجنى الداني في حروف المعاني: ص٩٤، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١١/ ٢٤٩، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٢٩٨٥

(٣) شرح ألفية ابن مالك: ص: ١٣٥

(٤) واتفق النحويون إلا أبا عمرو والجرمي على وجوب نصب المستثنى بما عدا وما خلا كقول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ.

شرح التسهيل لابن مالك: ٢/ ٣١٠

(٥) الجر بحاشا هو الكثير الراجح، ولذلك التزم سيبويه وأكثر البصريين حرفيتها ولم يجيزوا النصب، لكن الصحيح جوازه فقد ثبت بنقل أبي زيد، وأبي عمرو الشيباني، والأخفش، وابن خروف، وأجازه المازني، والمبرد، والزجاج. انظر حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٢٤٢

(٦) شرح ألفية ابن مالك: ص١٤٥، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٢٣٩

(٧) عمدة السالك في شرح ألفية ابن مالك. مخطوط بحوزتنا.

(٨) كتاب اللمحة في شرح الملحة: ٩/ ٧١، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٣/ ١١٠٥

(٩) في الأصل: "كواع"، خطأ. والتصحيح من المصادر.

أَبَـحْـنَـا حَـيَّـهُـمْ أَسْـرًا وقَـتـلا عَـدَا الـشَّـمْـطَـاءِ والـطِّـفـل الـصَّـغِـيـرِ

فالقول في مَجْرُورِه، والشمطاء مجرورة بعَدَا، وهي أنثى الأشمط: "وهو الذي لا يخالط سواد شعر بياض"[1]. وحيهم بالمثناة التحتية: مفعول أبحنا من الإباحة. وقتلا: تمييز محول عن المفعول. انظر التصريح[2].

وثانيهما: أن تكون فعلاً متعديًا ناصبًا للمستثنى، نحو: قاموا عدا عمرا.

لِمُنْذُ مُذْ وِفْقَ فِي: يعني أن معنى منذ ومذ الظَّرْفِيَّة "كفي" فيكونان بمعني "في" إذا دخلا على اسم الزمان الحاضر، نحو: "ما رأيته منذ شهرنا"؛ أي: في شهرنا هذا. "وما ضربته مذ يومنا"؛ أي: في يومنا هذا.

مِنْ: أي: والمعنى الثاني ابتداء الغاية في الزمان، فيكونان بمعنى "من"، إذا دخلا على الزمان الماضي، نحو: "ما رأيته منذ يوم الخميس"؛ أي: من يوم الخميس، "وما ضربته مذ يوم الجمعة"؛ أي: من يوم الجمعة.

عِهْ: فعل أمر من وعى، لفيف مفروق يأتي الأمر منه على حرف واحد، كوَدَى، وَوَشَى، تقول فيهما: دِيَة فُلانٍ، وَشِ الثَّوْبَ. والهاء في عه: هاء السَّكْتِ. أي: احفظ ما ذكرت لك من المعاني. وَلاَ تَمِلْ: عنه.

٢٠- {أَقْسِمْ بِـوَاوٍ وَتَـاءٍ وَارْجُـوَنْ بِلَعَلْ وَمَـا مَـتَـى عَـنْ وِفَـاقٍ مِـنْ بِـمُـنْـعَـزِلِ

٢١- وَكَـوْنُ رُبَّ لِـتَـقْـلِـيلٍ يَـقِـلْ وَمَـا يَـقِـلَّ إِذْ هُـوَ لِـلـتَّـكْـثِـيرِ مُـحْـتَـفِـلِ}

هذا معنى الواو والتاء ولعل ومتى، أَقْسِمْ بِوَاوٍ: " يعني أن الواو معناها القسم، ولا تدخل إلا على الظاهر، نحو: "والله"، "والقرآن الحكيم"، "والطور". ولا تتعلق إلا بمحذوف وجوبا كما مثلنا، فإن تلتها واو أخرى نحو: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾[3]، فالآتية واو العطف، وإلا لاحتاج كل من الاسمين إلى جواب"[4]، قاله في المغني. أقسم ب: يعني أن تاء الجر معناه هاء القسم، وتختص باسم الجلالة نحو: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾[5]. وبلفظ رب مضافا للكعبة أولياء المتكلم، نحو: "تَربَّ الكَعْبَةِ"، وَ"تَرَبِّي لأفعلن"، وَنَذَرَ "تَالرَّحمَنِ"، و"تَحِياتِك".

---

(١) هذه العبارة غير مستقيمة وصحتها ما نقله الأزهري، وهو: " الشمطاء: وهي أنثى الأشمط، وهو الذي يخالط سواد شعره بياض" ولعله وهم من المؤلف. انظر التصريح: ٥٦٣/١

(٢) التصريح: ٥٦٣/١

(٣) التين: الآية١

(٤) الفقرة بتصرف بسيط تجدها في مغني اللبيب: ص٤٧٣

(٥) الأنبياء: الآية٥٧

وَارْجُوَنْ فِي لَعَلَّ: يعني أن "لعل" معناها الترجي، والجر بها لغة عقيل بالتصغير[1]. قال الشاعر[2]:(الوافر)

لَعَلَّ اللهِ فضّلكم علينا بشيءٍ أنّ أمَّكُمُ شَرِيمُ

يجر لفظ الجلالة بلَعَلَّ، وشَريم بفتح الشين المعجمة: المرأة المفضاة. ولهم في لامها الأولى الإثبات والحذف. وفي الثانية الفتح والكسر، فهذه أربع لغات، ولا يجوز الجر في بقية لغات[3] "لَعَلَّ"، وفيها عشر لغات، وجمعها ابن الوردي[4] (في)[5] تحفته في بيت ونصف بيت، فقال[6]:(الرجز)

لَعَلَّ، عَلٌّ، ولَعَنَّ، عَنَّا لَغَنَّ، غَنَّ، وَلَأَنَّ، أَنَّا

رَعَنَّ، مع رَغَنَّ تِلْكَ عَشْرُ.

وأما **مَتَى** الجارة **عَنْ وفَاقِ مِنْ** الابتدائية، **بِمُنْعَزِلِ**: //١٣أي: ما هي بمفارقة لهذا المعنى. والله أعلم. يعني أن متى الجارة تأتي بمعنى من الابتدائية، والجر بها لغة هذيل بالتصغير. وسمع من بعضهم: أخرجها متى كُمِّه. قال شاعرهم، وهو أبو ذؤيب في وصف السحاب[7]: (الطويل)

شَرِبْنَ بماءِ البحرِ ثمَّ تَرَفَّعَتْ متى لُجَجٍ خُضرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

مِنْ لُجَجٍ. واللُّجج: جمع لُجَّةٍ بضم اللام، وَهُوَ مُعْظَمُ المَاءِ. وَالنَّئِيجُ: المَرُّ السَّرِيعُ مَعَ الصَّوتِ[8]. هذان معنياً رب، وكون رب **لِتَقْلِيلٍ يَقِلْ**: يعني أن رب تكون للتقليل قليلا، كقوله وهو رجل من أَزْدِ

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٦/٣، شرح قطر الندى وبل الصدى: ص: ٢٤٩

والجر هنا بلعل شاذ، يحفظ ولا يقاس عليه، ودائمًا يحكم جمهور النحاة بأن ما اختص به طائفة دون سائر العرب لا يقاس عليه يجعل خاصًا بلغة فلان أو قبيلة، وذلك مثل لغة أكلوني البراغيث، وعليه كلُّ ما اختصت به قبيلة لا ينزل عليه عام القرآن وإنما ينزل القرآن على ما اشتهر وشاع في لسان العرب. انظر فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية: ص٦٣٦

(٢) البيت غير منسوب في معظم مصادر اللغة، انظر الجنى الداني في حروف المعاني: ص: ٩٩، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٣/ ١١٩٧ حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٣٠٢

وشريم" بفتح الشين المعجمة وكسر الراء، وهي المرأة المفضاة، قال الجوهري: وكذلك الشروم، وهي المرأة التي اتحد مسلكاها.

(٣) رسمت بالتاء المربوطة.

(٤) عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري، الحلبي، الشافعي، المعروف بابن الوردي، زين الدين، فقيه، اديب، ناثر، ناظم، لغوي، نحوي، مؤرخ.

ولد بمعرة النعمان بسورية، وولي القضاء بمنبج، وتوفي سنة: ٧٤٩هـ بحلب، وقد جاوز الستين. وله عدة مؤلفات. انظر معجم المؤلفين: ٨/ ٣

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) نظم التحفة الوردية: ص٥

(٧) البيت سبق تخريجه.

(٨) الشرح في التصريح: ٦٣١/١

السَّرَاةِ[1]:(الطويل)

ألا رُبَّ مولودٍ وليسَ لـه أبٌ ... وذي ولَدٍ لَمْ يَلِدْه أَبَوَانِ

وَذِي شَامَةٍ سَوْدَاءَ، فِي حَرِّ وَجْهِهِ ... مُجَلَّلَةٍ، لاَ تَنْقَضِي لِزَمَانِ

ويكْمُلُ في خَمْسٍ وتِسعٍ شبابُه ... ويهرُم في سَبعٍ مَضَتْ وثمَانِ

يريد بذلك عيسى، وآدم، والقمر. الأحرف تنبيه؛ أي: تنبه. رُبَّ مولود متعلق بمحذوف جوازا تقديره: رب مولود عرفته. وليس له أب: الواو واو الحال. ليس له أب: ليس واسمها وخبرها. وذي: معطوف على مولود. ولد: مجرور بالإضافة. لم يلده: لم حرف نفي وجزم، يلده: بفتح الدال أو ضمها: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون المقدر، منع من ظهوره تعذر النطق بساكنين، أصله لم يَلِدْه بكسر اللام وسكون الدال، فَسُكِّنَتِ اللاَّمُ تَشبِيهًا لَهَا بِتَاءِ كَتِف، فالتقى ساكنان، فحركت الدال بالفتح إتباعا لفتحة الياء، أو بافهم إتباعًا لحركة الهاء. والجملة في محل جر صفة لذي. والشَّامَةُ: الخَالُ، وهي النكتة السوداء المخالفة. والحر من الوجه: ما بدا من الوجنة، وهي ما ارتفع عن الخد. ومجللة: ذات جلال؛ أي: معظمة. ويهرم: أي: يشيب. والله أعلم.

وَمَا يَقِلَّ إِذْ هُوَ لِلتَّكْثِيرِ مُحْتَفِلِ: يعني أنها تكون للتكثير كثيرًا، كقوله صلى الله عليه وسلم: " يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ يوم في الآخرة"[2]. يا: حرف نداء، والمنادى محذوف، تقديره: يا قوم. رب كاسية: متعلق وجوبا بفعل ماض تقديره: عرفتها. في الدنيا: متعلق بعارية. وكقول بعض العرب عند انقضاء رمضان:" يا رُبَّ صائمِه لن يَصومَه وقائمه لن يَقومَه"[3]. وكقول الشاعر[4]: (الطويل)

فيا رُبَّ يومٍ قد لَهَوتُ ولَيلةٍ ... بِآنِسةٍ، كأنَّها خَطُّ تِمثالِ

٢٢- {عَلِّلْ بِكَيْ تَمَّ مَا قَدْ رُمْتُ مُنْتَظِمَا ... بِحَمْدِ رَبِّي مُصَلِّيًا عَلَى الرُّسُلِ}

هذا معاني معني كي[5]. عَلِّلْ بِكَيْ: يعني أن "كي" معناها التعليل، نحو جئتك كي تكرمني. أي

(١) شرح شذور الذهب: ٢/ ٥٥٧، والجنى الداني في حروف المعاني: ص٧٤، وحكى أبو علي الفارسي أن قائله هو عمرو الجنبي، وإنه لقي امرأ القيس في بعض المفاوز، فسأله فقال له: عمرو: عجبت لمولود.. البيت. انظر المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٣/ ١٢٨٣

(٢) هذا ما ورد في الأصل والصحيح: " يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَة". انظر صحيح البخاري: ٢/ ٦٢، وسنن الترمذي: ٤/ ٤٨٧، والمعجم الكبير للطبراني: ١٧/ ١٧٨

(٣) شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ١٧٨، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١٠/ ٣٢٧، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٣٠٢١

(٤) البيت لامرئ القيس في ديوانه: ص٢٩، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: ١٠/ ٧٣، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٣٠٣٦

(٥) هذا ما ورد في الأصل. والأضبط عندي هو: "هذا معنى كي" إذ لم يورد المؤلف لها إلا معنى وحد.

لتكرمني. ونحو قول النابغة[1]:(الطويل)

إذا أَنـــتَ لَـم تَـنْـفَـعْ فَـضُـرَّ، فـإنَّـمـا يُـــرادُ الْـفَـتَـى كـيْـمـا يَـضُـرُّ وَيَـنْـفَـعُ

فكي حرف تعليل بمعنى اللام؛ أي: إنما يراد الفتى للضر والنفع؛ أي: لضر من يستحق الضر، ونفع من يستحق النفع، وهي؛ أي: "كي" جارة لمصدر مؤول من ما وصلتها، ولا تجر أي: كي معربًا، ولا اسمًا صريحًا.

خاتمة: وأسأل الله تَعَالَى حسنها، قد يحذف حرف الجر ويبقى عمله، وذاك في ثلاثة عشر موضعًا[2]:

الأول: لفظ الجلالة في القسم دون عوض، نحو: "والله لأفعلن".

الثاني: بعد "كَمْ" الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جر، نحو:" بكم درهم اشتريت"؛ أي: من درهم.

الثالث: في جواب ما تضمن مثل المحذوف، نحو: "زيد"، في جواب "بمن مررت".

الرابع: في المعطوف على ما تضمن مثل المحذوف بحرف متصل، كقوله تَعَالَى: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾[3]. ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[4]. أي: وفي اختلاف. وكقوله[5]:(البسيط)

أَخْـلِـقْ بِـذي الـصَّـبْـرِ أَنْ يَـحْـظى بِحاجَتِهِ //١٤ومُـدْمِـنِ الْـقَـرْعِ لِـلأَبـوابِ أَنْ يَلِجا

أي: وبمدمن.

الخامس: في المعطوف عليه بحرف منفصل، كقوله[6]: (الرجز)

مـا لِـمـحُـبٍّ جَـلَـدٍ أَنْ يَـهْـجُـرا وَلا حَـبـيـبٍ رَأْفـــةٌ فَـيَـجْـبُـرَا

ولا لحبيب.

---

(١) حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٣٠١،

وهو للنابغة الجعدي في ملحق ديوانه ص٢٤٦؛ وله أو للنابغة الذبياني في شرح شواهد المغني ١/ ٥٠٧؛ وللنابغة الجعدي أو للنابغة الذبياني، أو لقيس بن الخطيم في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٣/ ١١٩٦، وخزانة الأدب ٨/ ٤٩٨؛ والبيت مختلف النسبة وبقافية مغايرة لما هنا، انظر ديوان قيس بن الخطيم وتخريج البيت هناك: ص٢٣٥-٢٣٦

(٢) حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٣٤٩

(٣) الجاثية: الآية٤

(٤) البقرة: الآية١٦٤

(٥) البيت لمحمد بن يسير في الأغاني ٤/ ٤٠؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١١٧٥؛ والشعر والشعراء ص٨٨٣؛ وبلا نسبة في العقد الفريد ١/ ٧٠. وانظر شرح التسهيل لابن مالك: ١/ ٣٨٨، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٣/ ١٢٥٢، وحاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٣٤٩

(٦) من دون عزو في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٦٧/٣، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢/ ٧٨٠، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٣/ ١٢٨٢

السادس: في المعطوف بحرف منفصل بلو، كقوله[1]:(الطويل)

متى عُذتُم بنا ولو فئةٍ منّا كُفيتم ولم تخشَوا هَوانًا ولا وَهْنا

ولو بفئة منا.

السابع في المقرون بالهمزة بعدما تضمن مثل المحذوف، نحو أزيد ابن عمرو؟ استفهامًا لمن قال لك: أمررت بزيد؟.

الثامن: في المقرون بهلا بعدها، نحو: هلا دينار لمن قال: جئت بدرهم.

التاسع: في المقرون بأن بعدها، نحو امرر بأيهم أفضل، إن زد، وإن عمرو. وجعل سيبويه إضمار هذه الباء بعد أن أسهل من إضمار رب بعد الواو، فعلم بذلك اطِّرَادُهُ.

العاشر: في المقرون بفاء الجزاء بعدها، حكي يونس: مررت برجل صالح، إلا صالح فطالح، بجر طالح بحرف جر محذوف؛ أي: إلا امرر بصالح فقد مررت بطالح[2].

الحادي عشر: لام التعليل إذا جرت كي وصلتها، ولهذا تسمع النحويين يجيزون في نحو:" جئت كي تكرمني"، أن تكون كي تعليلية، وأن مضمرة بعدها، وأن تكون مصدرية واللام (مقدرة)[3] قبلها.

الثاني عشر: مع أَنَّ وأَنْ، نحو: عَجِبتُ أَنَّكَ قَائِمٌ، وَأَنْ قُمْتَ[4].

الثالث عشر: في المعطوف على خبر ليس، كقوله[5]:

بَدَا لي أنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ ما مَضَى ولا سَابِقٍ شيئاً إذَا كَانَ جَائِيا

لسيبويه الخفض في سابق على توهم وجود الباء في مدرك[6].

(١) شرح التسهيل لابن مالك: ٣/ ١٩١، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٦/ ٣٠٦١

(٢) "والذي حكاه سيبويه إلا صالحًا فطالح، وإلا صالحًا فطالحًا، وقدره إلا يكن صالحًا فهو طالح، وإلا يكن صالحًا يكن طالحًا". هذه الفقرة توضيحية وثابتة في المصدر الأصلي. انظر حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٣٥٠

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) هذا ما ذهب إليه الخليل والكسائي. انظر حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٣٥١

(٥) لزهير بن أبي سلمى، شرح شعر زهير، ص ٢٠٨

(٦) انظر حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك: ١/ ٣٥١

ونظمها المحجوب بن محمد بن الحاج أحمد الولاتي فقال[1]:

يَـطَّـرِدُ الـحَـذْفُ بِـحَـرْفٍ مُـنْـحَـذِفْ ... فِـي عَـشْـرَةٍ مَـعْ ثَـلاَثَـةٍ أَلِـفْ

لَـفْـظُ الـجَـلاَلَـةِ بِـبَـاءِ الـقَـسَـمِ ... وَبَـيْـنَ دِرْهَـمٍ وَلَـفْـظٍ بِـكَـمِ

جَـوابُ قَـولِـهَـا بِـمَـنْ مَـرَرْتُ؟ ... وَقَـبْـلَ كَـيْ إِذَا لَـهَـا جَ رَرْتُ

وَمَـا عَـطَـفْـتَـهُ عَـلَـى الـذِي اشْـتَـمَـلْ ... بِـمِـثْـلِ مَـحْـذُوفٍ بِـحَـرْفٍ مُـتَّـصِـلْ

وَمَـا بِـلاَ مُـنْـفَـصِـلٍ مِـنْ حَـرْفِ ... أَوْ لَـوْ كَـمِـثْـلِ مَـا خَـلاَ فِـي الـعَـطْـفِ

وَبَـعْـدَ هَـمْـزَةٍ خَـلاَ مَـا اشْـتَـمَـلاَ ... مِـنْ قَـبْـلِـهَـا بِـمِـثْـلِ مَـحْـذُوفٍ جَـلاَ

وَبَـعْـدَ هَـلاَّ فِـي أَتَـى بِـدِرْهَـمِ ... وَبَـعْـدَ إِنْ فِـي امْـرُرْ بِـمَـنْ تُـعَـظِّـمِ

وَبَـعْـدُ فَـالـجَـزَاءُ إِثْـرَ إِلاَّ ... بَـعْـدَ مَـرَرْتُ بِـالـتَّـقِـي أَصْـلاَ

نَـحْـوُ عَـجِـبْـتُ أَنَّـهُ مِـنْ ذَا عُـرِفْ ... وَمَـا عَـلَـى خَـبَـرِ لَـيْـسَ قَـدْ عُـطِـفْ

رَحَّـمَ رَبِّـي نَـاظِـمَ الأَبْـيَـاتِ ... بِـحُـرْمَـةِ الـكِـتَـابِ وَالآيَـاتِ

تَمَّ: أي: كمل **مَا قَدْ رُمْتُ**: أي: قصدت، وطلبت حال كونه **مُنْتَظِمَا**: أي: منظوما، بِحَمْدِ رَبِّي: الباء بمعنى : مع. والله أعلم. أي: مع حمد ربي: أي: مالكي؛ أي: مع الثناء عليه تَعَالَى الثناء الجميل اللائق بجلال عظمته، وجزيل نعمته التي منها هذا النظم. **مُصَلِّيًا**: يريد ومسلما؛ أي: طالبا من الله زيادة الرحمة وزيادة الأمان. **عَلَى** سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى جميع الأنبياء. **والرُّسْلِ** علي نبينا وعليهم كلهم أفضل الصلاة وأزكي السلام، وآل كل وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، وهذا آخر التقرير المبارك. والله تَعَالَى أسأل أن ينفعنا به وينفع به جميع من نظره من العلماء، والمتعلمين، وأن يختم لي ولهم ولجميع المسلمين بحسن الخاتمة بجاه سيد الأولين والآخرين، آمين صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه وأزواجه، وذريته، وأمته أجمعين.

قال جامعه: إلى عليه انظر الوجه الأول من الورقة الأولى من هذا الكتاب(كذا)؟

وكان الفراغ من جمعه قبل القائلة بقليل في يوم الاثنين أواسط شهر الله تَعَالَى شوال عام عشرين بعد المئتين والألف، والحمد لله رب العالمين.

(١) هو المحجوب بن محمد بن الحاج أحمد اند عبد الله بن علي بن الشيخ المحجوبي، أحد علماء ولاتة المشهورين، له نصيب من علم الفقه، وله أنظام في ذلك، كما أن له أنظاما في اللغة منها المنظومة المستشهد بها هنا. توفى رحمه الله في ليلة الخميس ١٢ من ذي الحجة سنة ١٢٢٤هـ، انظر تاريخ جدو. مخطوط بحوزتنا. ومنح الرب الغفور: ص٤٤، وتاريخ ولاتة: ص٢٥، وحوادث السنين: ص٣٠٧، رثاه ابن أبي كفه بقصيدة وقفت على أبيات منها على سبيل المثال:

أضحى الزمان وركنه متضعضع ... يبكي فجيعا خاشعا يتصدع

واه ذليل شمله متشعب ... إلمام بارح صرفه يتوقع

ولت مقهقرة نجوم رشاده ... وتطلعت شهب السفاهة تلمع

المصادر والمراجع:

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى: ٧٤٥ هـ، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
- الأصمعيات، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، طبع دار المعارف.
- إعراب كامل لآيات القرآن مع التعرض لبعض وجوه القراءات
- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي ابن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى: ١٣٩٦هـ
الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م
- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية، تح. سمير جابر
- أمالي ابن الحاجب، لعثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي المتوفى: ٦٤٦هـ، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، الناشر: دار عمار - الأردن، دار الجيل - بيروت. عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
- أمالي ابن الشجري، لضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري المتوفى: ٥٤٢هـ، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١م.
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، المتوفى سنة ٦١٦هـ، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، الناشر: المكتبة العلمية- لاهور – باكستان.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لجمال الدين عبد الله الأنصاري ٧٦١هـ، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- أيام العرب في الجاهلية، تأليف: محمد أحمد جاد المولى علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان.
- تاريخ ولاتة: مرقون.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، الناشر: دار القلم - دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا. الطبعة: الأولى.
- تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة ٨٦٤هـ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، المؤلف: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم

المصري، المعروف بناظر الجيش المتوفى سنة ٧٧٨ هـ، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون

الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ.

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله ابن عليّ المرادي المصري المالكي المتوفى: ٧٤٩هـ، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي. الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م
- ثلاث كتب في الحروف، للخليل بن أحمد، وابن السكيت، والرازي، تحقيق: رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، الناشر مكتبة الخانجي، دار الرفاعي بالرياض.
- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وعلق عليه وزاد في حواشيه: د. محمد علي الهاشمي. طبعه: جامعة محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٩٨١.
- الجنىّ الداني فيَ حروف المعاني، لابن أُمّ قَاسِم المرادي، طبع: مكتبة مشكاة الإسلام.
- حاشية العلامة الصبان" على شرح الشيخ الأشموني: على ألفية الإمام ابن مالك، لمحمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.
- حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار النشر / مؤسسة الرسالة – بيروت.الطبعة الثانية ١٤٠٢ – ١٩٨م.
- الحماسة المغربية، لأبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣هـ، تحقيق: محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب الناشر: دار الكتب العلمية. سنة النشر: ١٩٩٨م. مكان النشر: بيروت
- ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ط ١٩٨٣/٧.
- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له على فاعور دار الكتب العربية. بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- شعر النابغة الجعدي، عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق: ١٩٦٤.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة: دار المعارف بمصر.
- ديوان الهذليين، ط. دار الكتب، القسم الثاني (٨٨، ١٩٥٥م).

- ديوان امرئ القيس، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٣/١٩٦٩م.
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، طبعة دار المعارف - ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مصورة عن دار الكتب المصرية. الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٥م.
- ديوان ذي الإصبع العدواني، جمعه وحققه: عبد الوهاب محمد عالي العدواني ومحمد نائف الدليمي، مطبعة الجمهور – الموصل، ١٩٧٣م.
- ديوان سويد بن أبي كاهل، جمع وتحقيق شاكر العاشور، مراجعة محمد جبار المعيبد، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.
- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، طبعة: دار صادر بيروت.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م مسنن الترمذي.
- السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي المتوفى: ٣٠٣هـ، روجعت أرقام هذه النسخة على طبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق: حسن عبد المُنعم حسن شلبي - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري المتوفى: ٧٦٩هـ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
- شرح أشعار الهذليين للسكري أبي سعيد الحسن ابن الحسين المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ومراجعة محمود محمد شاكر، طبعة دار الكتب سنة ١٩٦٥م.
- شرح تسهيل الفوائد، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين المتوفى سنة: ٦٧٢هـ، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، المؤلف: أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (المتوفى ٧٩٠ هـ)، المحقق: مجموعة.
- شرح المفصل للزمخشري، المؤلف: يعيش بن علي ابن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، مشرح ديوانه الحماسة للمرزوقي.

- شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ٦٨٦هـ، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لشمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٩هـ)، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق)

الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.
- شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- شرح شواهد المغني، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى: ٩١١ هـ، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، مذيل وتعليقات: الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي، الناشر: لجنة التراث العربي. الطبعة: بدون، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- شعر عمرو بن أحمر الباهلي، جمعه وحققه: الدكتور حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- شعر المقنع الكندي، جمع وتحقيق ودراسة: أ.د. أحمد سامي زكي منصور، حوليات الآداب والعلوم الإنسانية، الحولية الثانية والثلاثون، ٢٠١١م.
- شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، محمد بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، تح. أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة١٩٧٧م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. لمحمد بن حبان أبي حاتم البُستي المتوفى: ٣٥٤هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. المشكول نسخة جامع السُّنَّة، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.
- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت- ضرائر الشِّعْر، لعلي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبي الحسن، المعروف بابن عصفور المتوفى: ٦٦٩هـ

المحقق: السيد إبراهيم محمد، الناشر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م.

- العقد الفريد لابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ. القاهرة: لجنة الآتيف والترجمة والنشر ١٩٤٨م.
- غريب الحديث، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن جعفر، تحقيق: د.عبدالمعطي أمين قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تأليف: أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي

الولاتي، تحقيق وتعليق: عبد الودود ولد عبد الله د. جمال بن الحسن، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، سنة ٢٠١٠م.
- فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي)، المؤلف (مؤلف الشرح): أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، الناشر: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.
- القاموس المحيط، المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
- كتاب اللامات، المؤلف: أبو القاسم عبدالرحمن ابن إسحاق تحقيق: مازن المبارك، الناشر: دار الفكر - دمشق. الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- كتاب حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: د.علي توفيق الحمد، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
- كتاب سيبويه، لأبي البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار النشر: دار الجيل - بيروت
- مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٩١ هـ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

طبعة: دار المعارف، ١٩٨٠م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جنى، الناشر: وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الْمُخْتَصَرُ النَّصِيحُ فِي تَهْذِيبِ الْكِتَابِ الْجَامِعِ الْصَّحِيحِ، المؤلف: المُهَلَّبُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي صُفْرَةَ أَسِيْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَسَدِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ، المَرِيِيُّ المتوفى: ٤٣٥هـ، المحقق: أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ السَّلوم، الناشر: دار التوحيد، دار أهل السنة - الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم، المؤلف: أبو عَوانة يَعقُوب بن إسحَاق الإسفرَاييني المتوفى ٣١٦ هـ، تحقيق: لفيف من المحققين، الناشر: الجَامِعَة الإسلاميَّة، المملَكة الْعَرَبيَّة السَّعُودية. الطبعة: الأوُلى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
- معجم البلدان المؤلف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب ابن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المتوفى: ٣٦٠هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمدال، الناشر: دار الفكر - بيروت. الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
- المفصل في صنعة الإعراب، المؤلف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: د.علي بو ملحم، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت. الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- المفضليات، للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي، المتوفى سنة ١٧٨هـ. تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. طبع: دار المعارف.
- منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، للطالب ببكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، تحقيق محمد الأمين بن حمادي جامعة انواكشوط السنة الجامعية ١٩٩٢ـ ١٩٩٣م.
- المؤتلف والمختلف، للآمدي أبي اقاسم الحسن بن بشر بن يحيى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ. تحقيق: عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٩٦٢م.
- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، لخالد بن عبدالله الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥هـ، تحقيق: د.عبدالكريم مجاهد الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.
- موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – مصر.
- نظم التحفة الوردية، منظومة في النحو والصرف عمر بن الوردي، اعتنى بها: أحمد سالم الشنقيطي، مكة المكرمة، سنة١٤٣٥هـ/٢٠١٣م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - سنة الوفاة ٩١١هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية. مكان النشر: مصر.

المخطوطات:

عمدة السالك في شرح ألفية ابن مالك. مخطوط بحوزتنا.

“Kifāyatuṭṭālibin” by. Uthman bin Omar Al–Yunisi

Dr. Islam Ibn al-Sabti

The scholars of Shinguet have authored a lot of books in the field of grammatical science, which invites us to introduce and present them to those who are ignorant of these efforts, they are no less important than the books of other scholars in other Arab and Islamic regions, rather they are distinguished with the educational significance that whenever I read a book of their books, it touches me, in terms of its style, language, evidence and approach. This is a qualitative addition provided by Osman Ibn Omar through this book.

As we present this work in its attire, we hope that it has filled a gap in the grammatical library of the scholars of Shinguet, and we call on researchers to direct their direction towards these many works, and edit them and bring them to their counterparts in Arab and Muslim countries.

Sinai Bedouins in the eyes of European travelers The era of the Mamluk Sultans

Dr. Mustafa Wageh Mustafa/ Egypt

Western travelers cared to monitor many images of the Sinai Bedouins, the inhabitants of this vast desert. Western travelers or "Pilgrims of Jerusalem" had strange eye and the camera that records what it sees as strange and unfamiliar and some of the practices of these Bedouins living in the Sinai Desert from the view point of their cultures, while Sinai Bedouins practice their lives according to their value system, moral habits and traditions that they created generation after generation, they did not see any strangeness in it.

Arcade of Amalo Mosque in Bejaia, updated as a result of religious factors (as a model)

Hayat Makki/ Algeria

Most of the research studied the Arab cities and many of their monuments such as mosques, markets and houses. Some of them were only confined to architectural study. And all are considered a study of architectural and constructional phenomena in the Arab Islamic city, but in the whole it was limited to the study of the mentioned monuments and other architectural phenomena without touching the subject of the phenomenon of Arcade. The French Orientalists rarely attempted to speak about this phenomenon in a detailed way, mentioning it only in the narrowest of its borders, where these studies mentioned the names of the Arcades and their locations at that time without taking into account their formal framework, description and knowledge of their nature and patterns. And interest in the construction of Arcades dates back to the era of the Prophet (peace and blessing be upon him) with the construction of the shed Bani Saaida, as it was also tradition in the Umayyad period in Syria, and moved this tradition to the Abbasid state, where they established the Arcades in their palaces.

Abstracts of Articles

The return of pronoun to the noun that is not mentioned, in the Holy Quran

Dr. Mahmoud Al- Hasan/ Syria

This research seeks to identify the views of the Grammarians and the rhetorical in the possibility of returning the pronoun to the noun that is not mentioned in the context, provided there is verbal, moral and intellectual evidence linking pronoun to the noun that is not mentioned. In the research it has emerged that the use of pronoun not returning to the noun mentioned is many in the literal styles. The research has shown many places in the Holy Quran, Hadith and poetry, in which the pronoun used not returning to the noun mentioned. It also appeared that, if the evidence is sufficient to denote the non-mentioned, this use leads to semantic and rhetorical characteristics, Such as brevity, exaggeration, suspense, imagination, and transition from the particular to the general.

The importance of Susiya customs in the organization of tribal affairs and the stand of the sultans and scholars of Morocco in this regards

Dr. Mohammed Al-Safi/ Morocco

The customs are the birth of tribal systems, which are homogeneous social units known by the Moroccan Badia or tribal communities since ancient times. The customs are based on a set of ancient values largely influenced by all the prevailing religions in the southern Mediterranean. And the general observer of the customs maintained by the time in the isolated areas of the Great Atlas Mountains and the eastern desert and the Moroccan desert in particular, feel that they are perceived as detailed and classified as Roman legal rules. It is a proven fact that the Moroccan man has laid down a law for himself, has practiced and complied with its provisions and lived in its shadow since his presence on the Earth over thousands of years. Therefore, the legitimacy and credibility of the talk about this law, which Moroccan man knew through different historical stages, is based mainly on the existence of this man.

Ibn Nafaza Al-Sulami (D 601 AH)

Edited presented and explained by

Dr. Abdel Raziq Huwezi /Egypt

In our literary heritage, there are still periods in which further studies are needed to extract their full texts and complete their entire literary image, including the sixth century AH; so I was interested in the literature of this century. This interest has resulted in the shape of this fruit that is in our hands, which is the product of the remaining poetry of a glorious poet; Ibn Nafaza Al-Sulami. Who contributed to the literary life at very large scale, the results of finding his poetry in the manuscript and printed sources are (500) verses.

INDEX

Editorial

Characteristics of Islamic Art.

Editing Director 4

Researches Titles:

The return of pronoun to the noun that is not mentioned, in the Holy Quran

Dr. Mahmoud Al- Hasan 6

The importance of Susiya customs in the organization of tribal affairs and the stand of the sultans and scholars of Morocco in this regards

Dr. Mohammed Al-Safi 20

Ibn Nafaza Al-Sulami (D 601 AH) Edited presented and explained by

Dr. Abdel Raziq Huwezi 44

Sinai Bedouins in the eyes of European travelers in The era of the Mamluk Sultans

Dr. Mustafa Wageh Mustafa 86

Arcade of Amalo Mosque in Bejaia, updated as a result of religious factors (as a model)

Hayat Makki 126

Manuscripts' Verification

"Kifāyatuṭṭālibin" by. Uthman bin Omar Al–Yunisi

Dr. Islam Ibn al-Sabti 151

Abstracts 206

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 27 : No. 106 - Shawwal - 1440 A.H. - June 2019

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍّ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديلٍ أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتابٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Quarterly Journal of Cultural Heritage

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Volume 27 : No. 106 - Shawwal - 1440 A.H. - June 2019

القول الرامز والطرف الغامز في الفعل المضارع المعتل اللام إذا أسند للضمير البارز

أبو عبد الله: محمد العلمي

Al-Qawl Al-Ramiz wa Al-Taraf Al-Ghamiz fil Al-Fel Al-Mudari Al-Mutall Al-Laam Iza Usnida lizzameer Al-Bariz

Abu Abdullah: Mohammed Al-alami

Published by:

Department of Studies, Publications and Foreign Affairs

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage